دروس في التفسير والتدبر

سلسلة «مع الصادقين» (٢)

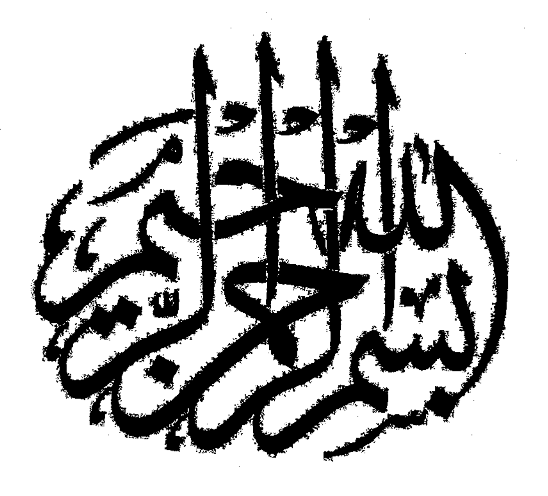
لماذا لم يصرح باسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم؟

آية الله
السيد مرتضى الحسيني الشيرازي

لماذا لم يصرح باسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم؟ آية الله السيد مرتضى الحسيني الشيرازي


لماذا لم يصرح
باسم الإمام علي عليه السلام
في القرآن الكريم ؟


شبكة الفكر
alfeker.net



دروس في التفسير والتدبر

سلسلة «مع الصادقين» (٢)

لماذا لم يصرح باسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم؟

آية الله
السيد مرتضى الحسيني الشيرازي

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م



هيئة خدام المهدي عليه الصلاة والسلام

هيئة تثقيفية إسلامية تطوعية هدفها تنمية المجتمعات إيمانيا
وفق رسالة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

توزيع:
مركز نور محمد
صلى الله عليه وآله وسلم
الكويت - ٢٢٥٦٣٠٢٣ (٩٦٥+)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ

ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ

إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ

ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ

غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ

المقدمة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم والصلاة على محمد الأمين وآله الغر الميامين، واللعنة على أعدائهم إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[2].

كانت هذه الآية القرآن الكريمة هي (المفتاح) الأول و(البوابة) الكبرى و(المدخل الرحب) لسلسلة من الدروس والبحوث النوعية الهامة والمصيرية حول ﴿الصَّادِقِينَ﴾.

فمن هم (الصادقون)؟

---

(١) لقد أدرجنا هذه المقدمة في هذا الجزء أيضاً، نظراً لتضمنها عناوين البحوث الأساسية في الجزئين ورؤوس نقاطها. الناشر.

(٢) التوبة: ١١٩.

ولماذا لم يذكر الله تعالى أسماء ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في القرآن الكريم بكلمات صريحة؛ رغم أنه جل اسمه أمر بشكل واضح بإتباعهم والكون معهم في كل الأحوال والظروف والمواقع؟

وهل من تخلّف عن هذا الأمر الإلهي فلم يكن مع ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، يعد (مؤمناً)؟ أم انه يدخل في دائرة (الضالين) و(الكاذبين)؟

ولماذا خصص الله تعالى الخطاب بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ دون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾؟

إن هذا الكتاب يتضمن الإجابة عن تلكم الأسئلة... وأسئلة أخرى متنوعة، عديدة.

وهذا الكتاب يقع في جزئين، أفردنا لكل منهما باباً:

الباب الأول:

دروس وبحوث في آية ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وقد تضمن عناوين مثل:

- المعاني الأربعة للصدق والصادق.
- (الصادق) بقول مطلق هو (المعصوم).
- (أل) في ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ للعهد الذكري.
- مقارنة آية التطهير بآية الصادقين.
- المرجعية المطلقة للصادقين لا للسلاطين.
- الترابط الجوهري بين آية (الولاية العظمى) وآية ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.
- أحكام شرعية وعقدية تستفاد من آية ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.
- منهج ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ومنهج الفلاسفة.

- الإيمان بالأنبياء والأوصياء حقيقة ترابطية.
- منهج ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ومنهج العرفاء الشامخين!
- أن تكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ يعني أن تكون من طليعة المجاهدين.
- ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ لدى كل نظرة وفكرة.
- العلاقة العلية والمعلولية التبادلية بين (التقوى) و(الكون مع الصادقين).
- البراهين الخمسة الساطعة على إمامة العترة الطاهرة (عليهم السلام).
- العلل الست لوجود المتشابهات والضعاف في «بحار الأنوار».

كما جرى فيها بعض الحديث عن (الإمام جعفر بن محمد الصادق) (عليهما سلام الله).

والإمام علي بن موسى الرضا (عليهما سلام الله).

والإمام محمد بن علي الجواد (عليهما سلام الله).

بمناسبة تزامن الحديث عن هذه الآية المباركة مع ذكرى مولدهم الميمون أو شهادتهم المؤلمة، وفي إطار الحديث عن الآية الشريفة.

كما سجّلت عناوين أخرى تستنبط من آية ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أو تستلهم منها، عسى أن يوفق الرب الكريم لكتابتها في المستقبل في مجلد خاص، بلطفه وكرمه.

الباب الثاني:

لماذا لم يذكر الله تعالى اسم الإمام علي المرتضى (عليه سلام الله) والإمام الحسن المجتبى والإمام الحسين الشهيد بكربلاء والإمام علي السجاد والإمام محمد الباقر والإمام جعفر الصادق والإمام موسى الكاظم والإمام علي الرضا والإمام محمد الجواد والإمام علي الهادي والإمام الحسن العسكري والإمام الحجة بن الحسن المهدي صلوات الله عليهم أجمعين، في القرآن الكريم بصريح العبارة وبالإسم واللقب؟

وقد كان من عظيم توفيق الله تعالى لعبده الفقير أن فتح عليه مائة وعشرة جواباً، كان منها (١٤) جواباً (نقضياً) و (٩٦) جواباً (حليّاً) على هذا التساؤل، وسنتطرق بإذن الله تعالى لـ(٣١) إجابة منها في مطاوي هذا المجلد (الثاني) والذي كان عبارة عن سلسلة دروس تفسيرية ألقيت في الحوزة العلمية الزينبية لليالي الخميس من نهايات العام الدراسي ١٤٣٠ هـ ثم نقحتها وأضفت لها الكثير من الإضافات الضرورية ولله الحمد.

وسنحاول أن نضغط الـ(٧٩) جواباً في المجلد الثالث إذا وفّق الله تعالى.

والكتاب ـ إضافة إلى ذلك ـ تضمن التصدي للإجابة على عدد من أهم التساؤلات التي قد تثار أمام الإنسان المسلم، بل والتي قد تعتصر العقل البشري ومنها:

لماذا سمح الله تعالى لـ(قوى الشر والظلام) بالوجود والاستمرار؟

ولماذا يوجد (المتشابه) في القرآن الكريم؟

وما هي فلسفة (الفتن) و(المحن) و(الأمراض)؟

وسائر الابتلاءات؟

ولماذا لم يذكر القرآن الكريم شيئاً صريحاً ـ سلباً أو إيجاباً ـ عن (الاقتصاد الإسلامي) ومعالمه وحدوده وقواعده؟ أو عن (حقوق المرأة) و(حقوق الطفل) أو (حقوق المعارضة) و(حقوق السجناء) في الإسلام؟ أو عن (السياسة في الإسلام) ونظام (فصل السلطات) و(تعدد الأحزاب)؟ و(المرجعية الدينية)؟ وغيرها.

أو لماذا لم يتحدث بالصراحة عن الكثير من مسائل (أصول العقيدة) ومسائل (أصول الفقه) ومسائل (القواعد الفقهية) و(المسائل الفقهية)؟

فمثلاً: لماذا لم يذكر القرآن الكريم شيئاً صريحاً عن عدد من القضايا العقدية الهامة مثل:

هل الله تعالى جسم أو جسماني؟

هل التبرك بمراقد الأولياء والصالحين شرك أم هو خالص التوحيد؟

أو القضايا الخلافية التي غطت التاريخ الإسلامي كله كـ:

السجود على التربة..

البداء....

النسخ...

الجمع بين الصلاتين...

ولماذا لم يتحدث القرآن الكريم عن (الهرمنيوطيقيا)؟ وهكذا.

إن هذا (الكتاب) يتضمن مجموعة متنوعة من الأجوبة على كل تلك الأسئلة ذلك أن (هندسته) جرت على أن يتضمن حزمة من الإجابات المشتركة على كل هذه الأسئلة إضافة إلى إجابات خاصة عن السؤال الكبير: لماذا لم يذكر الله تعالى أسماء ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في الذكر المبين؟

والأمل بالعلماء الأعلام والمفكرين الكرام أن (يتحفوني) بأفكارهم وآرائهم وملاحظاتهم؛ لكي يتكامل هذا البحث أكثر فأكثر فإن «المؤمن مرآة المؤمن» و«الدال على الخير كفاعله».

والله سبحانه وتعالى أسأل: أن يتقبل هذا الجهد المتواضع بقبول حسن، وأن ينفع به (الخاصة) و(العامة)، وأن يثيبني عليه (الجنة) و(الذرية الصالحة إلى يوم القيامة) و(التوفيق) لإيصال نور أهل البيت الأطهار (عليهم سلام الله) للعالم كله، ولكي أكون من المستشهدين بين يدي ولي الله الأعظم الإمام الحجة المنتظر روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء.

إنه سميع الدعاء، فعال لما يشاء.

وقد أهديت ثواب هذا الكتاب للأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين ولعامة شيعة أمير المؤمنين ومولى الموحدين (علي بن أبي طالب) عليه صلوات المصلين، من مضى منهم، ومن لا يزال على قيد الحياة، ومن هو آتٍ، كي يكونوا شفعائي يوم الحشر الأكبر...

والحمد لله رب العالمين

[١]

(الإمام الصادق (عليه سلام الله) سيد الصادقين)

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين بارئ الخلائق أجمعين باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيب قلوبنا أبي القاسم محمد ﷺ، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تمهيد[1]

يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.[2]

هناك (محطات) عديدة للتوقف، والتأمل، والتدبر والتزود والاستضاءة في هٰذه الآية القرآنية الكريمة.. نشير إلى بعضها ههنا كتمهيد للإجابة على التساؤل الكبير: لماذا لم يذكر الله تعالى اسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم كما قيل:

(١) كان هٰذا البحث استكمالاً للأبحاث السابقة حول هٰذه الآية الشريفة.. وبمناسبة شهادة الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليهما الصلاة وأزكى السلام) سنتناول في هٰذا البحث جانباً من الحديث عن الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) على ضوء هٰذه الآية الشريفة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، ولأن مذهب ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ عليهم صلوات المصلين ينسب إليه عادة في عرف الناس فيقال: (المذهب الجعفري) وهو صحيح، لكن ليس لأنه هو المؤسس الأول للمذهب؛ فإن مؤسس المذهب هو رسول الله ﷺ حيث قال: «يا علي، أنت وشيعتك هم الفائزون» «بحار الأنوار: ج٦٥، ص٧، ح١» وحيث نصب أمير المؤمنين علياً عليه السلام خليفة من بعده بلا فصل، وجعله بأمر الله تعالى وزيره والولي من بعده، وصرح بكونه باب مدينة علمه، وأنه مع الحق، والحق معه يدور معه حيثما دار...

بل المؤسس من قبلُ، هو رب العزة والجلالة؛ فإنه الذي أمر رسوله ﷺ بكل ذلك، وقد فصل ذلك عدد من كبار العلماء في كتبهم الكلامية، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ «الصافات: ٨٣» كما أنزل في شأنه المئات من الآيات القرآنية، كما ستأتي الإشارة لبعضها وكما فصلها المحدث الشهير السيد هاشم البحراني قدس سره في كتاب «ألف آية نزلت في الإمام علي عليه السلام» والمرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله في كتاب «علي في القرآن».

بل إنه صحيح: لأن الإمام الصادق «عليه أفضل الصلاة والسلام» أعطى دفعة قوية لمذهب ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ و(منهجهم) حيث سنحت له الفرصة؛ إذ خفّت قبضة الإرهاب في فترة من حياته، فربى ألوف العلماء، وضخ عشرات الألوف وربما مئات الألوف من الأحاديث في شتى الحقول الدينية والمعرفية.

(٢) التوبة: ١١٩.

المحطة الأولى:

أدلة خمسة على وجوب الكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾

ونشير لها باختصار، هي أن قوله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ دليل على وجوب أن يكون الإنسان ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في مختلف حالاته وفي شتى الأزمنة، والظروف، وفي كافة الشؤون والمواضيع.

والأدلة التي يمكن أن تذكر على وجوب الكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ استناداً إلى هٰذه الآية الشريفة[1]، هي خمسة:

أولاً: الأمر؛ لأن الأمر ـ مادةً وصيغة ـ يدلُّ على الوجوب، وقد قال تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾..

بل قد يقال: بأن صيغة الأمر إذا كانت في مادة الكون، فإنها أقوى دلالة على الوجوب مما لو كانت في مادة أخرى كالذهاب مثلاً.[2]

ثانياً: السياق؛ لأن السِّياق أيضاً دليل على الوجوب؛ إذ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ للوجوب فـ: ما عطف عليه وأردف به أيضا يكون للوجوب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.. والسياق يعد من الأدلة عرفاً، وعليه بناء العقلاء. نعم، هو في مرتبة متأخرة من مراتب الظواهر؛ ولذا عده بعض الأصوليين[3] في الدرجة الخامسة.

ثالثاً: العقل؛ ولأن العقل بملاحظة هٰذه الآية يدلُّ على الوجوب أيضاً، حيث أن مَنْ لم يكن مع الصادقين سيكون مع الكاذبين؛ وذلك

---

(١) مع قطع النظر عن الأدلة الأخرى، وما أكثرها.

(٢) فإن: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أقوى وأشمل وأوسع دلالة من (اذهبوا مع الصادقين) مثلاً.

(٣) كالمحقق الآشتياني قدس سره في «بحر الفوائد في شرح الفرائد».

لأن هناك جبهتين هما: جبهتا الحق والباطل، وهما (ضدان لا ثالث لهما) كالليل والنهار، فمن خرج من دائرة النور دخل في دائرة الظلام، ومَنْ خرج من دائرة الهدى دخل قهراً في دائرة الضلال و:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، فإن لم يكن الإنسان ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فإنه لابد أن يكون مع الكاذبين شعر بذلك أم لم يشعر، علم أم لم يعلم.. فإنه لا منطقة وسطى بين (الحق والباطل)، فالعقل بعد أن يلاحظ هٰذا الأمر القرآني ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ واستناداً إليه يقول بضرورة أن يخرج الإنسان من دائرة الكاذبين، ويدخل في دائرة ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وذلك على الرغم من أن للعقل (حكماً مستقلاً) بذلك أيضاً، إلا أن الكلام أنه لو خلِّي وهذه الآية وحدها لاستفاد منها الوجوب بلحاظ التقابل بين الجبهتين، وقد يستفيده بلحاظات أخرى أيضاً.

ورابعاً: الرجحان؛ كما أن العقل أيضاً يحكم، بعد رؤيته دلالة الآية على الرجحان في أقل الفروض، بـ(الوجوب)؛ لأن هٰذه القضية مما لو رجح لوجب، ومن وجوهه أن الأمر دائر عقلاً بين الوجوب والحرمة ولا غير.

وخامساً: الإعتبار؛ ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أيضاً دليل الوجوب من جهة أخرى إضافة إلى الصيغة، والسياق، والعقل، إذ يؤيد الوجوب ويدلُّ عليه أيضاً الاعتبار؛ لأن ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ هم الذين (يُمثلون) الله تبارك وتعالى في الكون، ومادة ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ تشعر بذلك أيضاً فإنهم (الصادقون) فيما يروونه عن الله تعالى، وما يوصلونه للبشرية من قوانينه وأحكامه ودساتيره، فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ يتضمن (الأمر الأول)، وبعد ذلك[1] وعندما تخاف من الله وتتقي غضبه، وسخطه، فما

---

(١) هٰذه الـ(بعدية) رتبية، وليست زمنية.

الذي عليك أن تعمل؟ عليك أن تكون مع الذين: ﴿صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾[١] إذ يقول جل اسمه: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾[٢]، أي يتوجه لك (الأمر الثاني).[٣]

فإذاً: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ تدلُّ على الوجوب بهذه الجهات والأدلة الخمسة، وبأدلة أخرى ربما نتطرق لها في وقت آخر..لكن حيث أن هٰذه الكلمة ليست الآن هي محط البحث الرئيسي مررنا عليها مروراً خاطفاً.

المحطة الثانية:

الإمام الصادق عليه السلام من سادات ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾

إن الإمام جعفراً الصادق (عليه الصلاة وأزكى السلام) هو بلا شك من أبرز السادات ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، فالآية إذا انطبقت على جمع كانت منطبقة على الأئمة الهداة المعصومين إن لم تكن (أل) للعهد، وإلا فهم «صلوات الله عليهم» المقصودون حصرياً بذلك، فيكون من أجلى مَنْ تنطبق عليهم الآية هو الإمام السادس من أئمة أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) وذلك بإجماع المسلمين..

(١) الأحزاب:٢٣

(٢) الأحزاب:٢٣

(٣) وقد فصلنا الحديث عن (العلاقة العلية والمعلولية التبادلية) بين تقوى الله تعالى والكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في فصل سابق، فليلاحظ.

ولنذكر لكم بعض النماذج السريعة على ذلك، حتى نعرف بأن الإمام الصادق (عليه الصلاة وأزكى السلام) كجده الرسول المصطفى محمدﷺ وبقية أئمة المسلمين من أهل البيتعليهم السلام هم أبرز مصاديق ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾؛ اذ إننا عندما نستمع الأمر الإلهي بـ:﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، فإن أول ما يخطر في البال، وأول ما يتجلى أمام الإنسان، ويُضاء له هو هٰذه الأسماء المباركة: الرسول الأعظمﷺ وابنته فاطمة الزهراء (عليها سلام الله) والأئمة الطاهرون (عليهم سلام الله).. وذلك حتى لو لم يكن شيعياً، بل حتى لو لم يكن مسلماً، فإن الباحث المحقق ولو كان من أي دين آخر، لو اطلع على الإسلام والقرآن وأحوال أهل البيت والصحابة، واطلع على هٰذه الآية الشريفة، لرأى بوضوح أن الرسول الأعظم والإمام علي بن أبي طالب والإمام الحسن والإمام الحسين وسائر أهل البيت (سلام الله عليهم) هم المصداق الأجلى لهذا الأمر الصريح.

هذا إضافة إلى أن أهل البيتعليهم السلام لا شك أنهم أحد الثقلين الذين أمر الرسول بإتباعهم حيث قال: «**إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي..**»[1] وكلمة «عترتي» هي التي وردت في عدد من أشهر وأهم كتب أهل العامة والخلاف، لا (سنتي) فإنها لم ترد في صحاحهم، بل لا سند تام لها عندهم.

إضافة إلى أن (أهل البيتعليهم السلام) مجمع عليهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[2] دون أمثال الأول والثاني والثالث من الصحابة، ممن دلّ البرهان التاريخي والروائي

(١) مسند أحمد: ج٣، ص١٤و١٧، سنن الدارمي: ج٢، ص٤٣٢، المستدرك للنيسابوري: ج٣، ص١٤٨ والسنن الكبرى للنسائي، والسنن الكبرى للبيهقي و....

(٢) الأحزاب: ٣٣.

والقرآني على كونهم من الظالمين الكاذبين؛ إذ يقول رب العالمين ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ ﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ ﴿...ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[١] ويقول جل اسمه عنهم ما يقول.[٢]

وبما أن الكلام عن الإمام الصادق عليه السلام فلنشر إشارة فقط إلى قيام إجماع المسلمين، على أن هٰذا الإمام العظيم هو إمام أئمة الطوائف والمذاهب جميعاً، دون منازع له..

تصريحات كبار علماء أهل الخلاف

ننقل هنا بعض التصريحات بشكل مقتضب؛ للدلالة والإشارة، وإلا فإن استيعاب الحديث عن ذٰلك يحتاج إلى مجلدات..

يقول الذهبي في «سير أعلام النبلاء» متحدثاً عن الإمام الصادق (عليه الصلاة وأزكى السلام): (كبير الشأن، من أئمة العلم، كان أولى بالأمر من أبي جعفر المنصور).[٣]

ويقول الذهبي في (تاريخ الإسلام): (مناقب جعفر الصادق كثيرة وكان يصلح للخلافة لسؤدده، وفضله، وعلمه، وشرفه).[٤]

ويقول مالك بن أنس إمام المالكية المعروف، عن الإمام الصادق عليه السلام: (اختلفتُ إليه زماناً فما كنتُ أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصلياً، وإما صائماً، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يُحدِّث إلا وهو على طهارة).

---

(١) المائدة: ٤٤و٤٥و٤٧.

(٢) راجع «النص والاجتهاد» للمرحوم العلامة السيد شرف الدين قدس سره و«العبقات» وغيرهما.

(٣) سير أعلام النبلاء: ج١٣، ص١٢٠.

(٤) تاريخ الإسلام: ج٩، ص٩٣.

ويقول مالك بن أنس أيضاً: (ما رأت عين، ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر، أفضل من جعفر الصادق فضلاً، وعلماً، وعبادةً، وورعاً)..[١]

كما أن أحمد بن تيمية إمام السلفية، وهو مَنْ هو في عوالم النصب والعداء لآل محمد عليهم السلام ينقل هٰذه الرواية عن أنس بن مالك[٢]، ولا يستطيع هو ولا غيره إنكارها؛ لأنها موجودة في أمهات المصادر والعديد من الكتب المعتبرة لدى القوم..

وهكذا إمام الأحناف النعمان بن ثابت أبو حنيفة، له شهادات لا تنكر كما ينقل عنه الذهبي في «سير أعلام النبلاء»، وينقل عنه في كتاب (تقريب الكمال) وفي كتاب «مناقب أبي حنيفة» لابن جوزي، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي والكثير من المصادر الموجودة بين يدي الآن.

يقول أبو حنيفة: إن المنصور استدعاه، وقال له: إنني قد ضقت ذرعاً بجعفر الصادق وقد أزعجني كثيراً بادعاءاته ودعواه، فجهز له أربعين مسألة من صِعاب المسائل حتى ينقطع ويفحم، وعلى أثر ذٰلك ذهب أبو حنيفة وأعدَّ له أربعين مسألة من أصعب المسائل حسب تحقيقه، ثم استدعوا الإمام الصادق عليه السلام دون سابق إعلام وإنذار، وطرح أبو حنيفة تلك المسائل الصعبة، وإذا به يفاجأ أن الإمام الصادق عليه السلام لا يجيبه فقط بالإجابات الدقيقة الواضحة عن تلك الأسئلة وإنما رآه روحي فداه يسترسل ويُفصِّل بطرح آراء مختلف المذاهب حول تلك القضية، حتى أذهل أبا حنيفة، حيث وجد الإمام الصادق عليه السلام يجيب قائلاً:

---

(١) كما ينقل عنه في كتاب «التهذيب» لأبن حجر حسب الطبعة التي لدينا، (المجلد الثاني صفحة٨٩) وكما ينقل ابن تيمية في كتاب «التوسل والوسيلة» حسب الطبعة التي عندنا صفحة ١٥٣، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب..

(٢) في كتاب «التوسل والوسيلة».

أنتم تقولون كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا، يقول أبو حنيفة: (حتى أتينا على الأربعين مسألة ما أخرم منها مسألة)، ثم قال أبو حنيفة: (أليس قد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس).[١]

وابن تيمية وهو المعروف بإمام الجماعات المتطرفة اليوم المناصبة العداء لشيعة أهل البيت عليهم السلام، يقول في كتاب (منهاج السنة): (فإن جعفر بن محمد لم يجئ بعد مثله[٢]) ـ لاحظوا: ألف سنة قد مضت ورغم ذٰلك يقول لم يجئ بعد مثله! رغم هٰذا الكم الهائل من الذين جاؤوا وراحوا من العلماء بل الفطاحل من العلماء ـ(فإن جعفر بن محمد لم يجئ بعد مثله، فقد أخذ العلم عنه هٰؤلاء الأئمة كمالك، وابن عيينة، وشعبة، وابن جريج، ويحيى بن سعيد، وأمثالهم من العلماء والمشاهير الأعيان..

يقول الجزري: وثبت عندنا، أن كلاً من الإمام مالك، والإمام أبي حنيفة درسا عند أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق حتى روينا عن الإمام أبي حنيفة، أنه قال: (ما رأيت أفقه منه)[٣]، ويقول ابن خلكان في موضع آخر في «وفيات الأعيان»: (لقب بالصادق لصدقه في مقالته، وفضله أشهر من أن يذكر).[٤]

وأما الآلوسي السلفي الوهابي المعروف، فإنه يقول في كتابه «مختصر التحفة الإثني عشرية»: هٰذا أبو حنيفة وهو من أهل السنة يفتخر ويقول بأفصح لسان: لولا السنتان لهلك النعمان. لأنه كان اسمه

(١) سير أعلام النبلاء: ج٦، ص٢٥٨، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٣٧٩.

(٢) «منهاج السنة» في المجلد الرابع صفحة ١٢١ حسب الطبعة التي لدينا..

(٣) الكاشف في معرفة من له رواية في كتب السنة: ص ٢٩٥ حرف جيم.

(٤) وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان: ج ١ ص ٣٢٧ بالرقم ١٣١: جعفر الصادق عليه السلام.

النعمان بن ثابت، يعني بالسنتين اللتين جلس فيهما لأخذ العلم عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام..(١)

والتصريحات في هٰذا الحقل كثيرة نكتفي بهذا المقدار حالياً.

وهكذا ظهر لنا أنه: وبحسب شهادة كبار علماء أهل السنة، وعلماء الشيعة كما هو واضح، فإن الإمام الصادق عليه السلام هو من أبرز مصاديق ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ بل من كبار ساداتهم، والآية الشريفة تنطبق عليه تمام الانطباق بكل وضوح وجلاء، وذلك مما لا ريب فيه ولا شك يعتريه.

المحطة الثالثة:

لماذا (الإعراض) عن ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ وتجاهلهم؟

وقد ظهر بذلك أن إجماع السنة والشيعة منعقد على أننا يجب أن نكون مع الإمام الصادق عليه السلام وذلك بضم هٰذه التصريحات والشهادات وغيرها لآية: ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ حيث أمر الله تعالى بـ:﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.

١- لماذا لا يدرّس المذهب الجعفري في المدارس؟

إذا كان ذٰلك كذلك ـوهو كذلكـ فلماذا لا يُدرَّس مذهب الإمام الصادق عليه السلام وهو مذهب ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ دون ريب في المدارس في مختلف البلاد الإسلامية؟! فليكن الشخص أو الدولة، دولة حنفية، فلتكن حنبلية، أو فلتكن مالكية، أو فلتكن شافعية، فلتكن ما تكون،

(١) ينظر الإمام الصادق عليه السلام لأسد حيدر.

لكنها لا تستطيع أن تنكر أن الإمام الصادق عليه السلام هو الإمام الذي أجمعت عليه جميع الطوائف..

الإمام الصادق عليه السلام هو الذي قد قال فيه علماء كل الطوائف وسادتها وفطاحل المذهب، ما قالوا! وقد ثبت عن كبار علمائهم، اعتقادهم فيه أنه (لم يُر مثله قط في علمه، وفضله، وورعه، وعبادته)، وما أشبه ذلك، من الأوصاف الصادقة والثناء النادر، فلماذا لا تدرس علوم الإمام الصادق عليه السلام، وفقه الإمام الصادق عليه السلام، وكلمات الإمام الصادق عليه السلام، في المدارس والمعاهد والجامعات؟!

ولماذا لا تكون دروس هٰذا الإمام العظيم وكلماته وحكمه وإرشاداته وعلومه في السياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق والطب، وفي الفيزياء والكيمياء والفلك، وفي الفقه والأصول والعقائد وغيرها.. لماذا لا تكون جزءً من المناهج المدرسية، لشتى المستويات والصفوف، وفي مختلف الاختصاصات؟!

إنهم ينقلون رأي أبي حنيفة، ويستندون إليه، كما يدرس فقهه في الكثير من المدارس، وذلك رغم أن أبا حنيفة يقول: لولا السنتان لهلك النعمان.. ولاحظوا الدلالة العميقة لكلامه؛ إذ لم يقل: إن فضل الإمام الصادق عليّ كبير أو عظيم، أو إنني استفدت من علومه كثيراً، أو حتى لم يقل: لو لم يكن الإمام الصادق لكنت لا شيء، بل يقول: لهلك النعمان.. وماذا تعني (هلك) و(هالك)؟ سل العرف والعقلاء وهم ببابك.

فبناء على هٰذا التأسيس نقول: لماذا لا تُدرَّس (المناهج الصادقية) في المدارس، إذ كيف تدرس كلمات وآراء التلميذ، وتترك آراء الأستاذ مع أنه لا قياس بينهما؟!

٢- لماذا لا يعد المذهب الجعفري رسمياً؟

نحن الآن لا نتكلم عن الكفار بل نتكلم عن المسلمين، وليس كلامنا حول الدول الغربية وأشباهها، بل حول الدول الإسلامية، قلنا أولاً: لماذا لا يُدرَّس فقه الإمام الصادق عليه السلام في المدارس الرسمية لهذه الدول؟

ونقول ثانياً: لماذا (المذهب الجعفري) لا يُعدُّ مذهباً رسمياً في هٰذه الدول؟ المذهب الحنفي أو الحنبلي، مثلاً رسمي، لكم ذلك، إن كانت الأكثرية في ذٰلك البلد من الأحناف، ولكن دعوا المذهب الجعفري يكون رسمياً أيضاً. ولا ضرورة لتسميتهِ بالمذهب الشيعي، بل سموّه (المذهب الجعفري)، سموّه مذهب الإمام جعفر الصادق (عليه سلام الله)؛ لأن الإمام الصادق عليه السلام له مذهب، وله منهج، وله طريقة، وله آراء[1] بل سلسلة من الآراء العلمية والفكرية والحضارية، بل منظومة فكرية وفقهية وحضارية متكاملة، وفي شتى الحقول العلمية، والمعرفية، والإنسانية، بل هو التجسيد الحقيقي للإسلام المحمدي، وهو أستاذ الكثيرين من أكابر علماء المسلمين، ومنهم عدد من أئمة المذاهب الأربعة المعروفين، الذين يدين الكثير من الأمة اليوم لفقههم، فلماذا لا يكون مذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام مذهباً رسمياً في هٰذه الدول؟

ونحن لا نُحمِّلكم شيئاً على خلاف رأيكم، ولا نطالبكم حتى بمقتضى قواعد احترام الإنسان وحقوقه، وحقوق الأقليات، وقد تكون مقاربة للأكثرية في الكثير من البلاد الإسلامية ولا نطالبكم حتى بالعدل والإنصاف، بل نقول: اعملوا بما ترونه أنتم، وبما توصلتم إليه، وبالحق الذي تدينون به؛ إذ إنكم تعترفون أن الإمام الصادق عليه السلام هو مَن يقول فيه إمامكم مالك: (ما رأت عين ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب

(١) وهذا من ضيق التعبير.

بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق)، وهو مَن يشهد له أبو حنيفة بأنه لولا تتلمذه عند الإمام الصادق عليه السلام لهلك، وغير ذلك.

إذا كان هذا قولكم، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ فلماذا ألغيتم الإمام الصادق عليه السلام ومذهبه، من أن يكون من المذاهب الرسمية في البلاد الإسلامية؟

وهل بذلك تكونون مع ﴿الصَّادِقِينَ﴾ أم في الدائرة الأخرى المقابلة لها؟ ولماذا ألغيتم فقهه وفكره وعلومه من المدارس والجامعات ومراكز الدراسات وغيرها؟

٣- لماذا لا تُشِيد إذاعات وفضائيات الدول الإسلامية، بالإمام الصادق (عليه سلام الله)؟

ولماذا إذاعات الدول الإسلامية وفضائياتها، وفي ليلة استشهاد الإمام الصادق عليه السلام أو مولده المبارك، لا نسمع فيها ذكراً للإمام الصادق عليه السلام ولا تذكيراً بشهادته ولا إشارة لمناقبه ولا حديثاً عن علومه؟! أليس هو سيد ﴿الصَّادِقِينَ﴾؟ أليس هو من السادة ﴿الصَّادِقِينَ﴾؟

وأكرر مرة أخرى: إننا لا نحملكم شيئاً على خلاف معتقداتكم، بل إننا نتكلم عن شخص مُجمَع عليه بين المسلمين: عوامهم وعلماءهم، ألم تعترفوا أنه من الكبراء، من العظماء، من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا؟.. فلماذا اسم الإمام الصادق عليه السلام ليس موجوداً في الإذاعات، وفي التلفزيونات، وفي الفضائيات؟!

ثم بعد ذلك، أليس الإمام الصادق عليه السلام مفخرة لكم، تفتخر به الأمة الإسلامية جمعاء، وهو حقيقة رفعة رأس لها، ومجد، وشرف، وقوة، وعزة؟

أيها المسلم!!

ويا أيها الحاكم، والوزير والنائب!

ويا أيها الصحفي والإعلامي!

ويا أيها المدير التلفزيوني، والإذاعي!

إن الإمام الصادق عليه السلام هو مفخرة ورفعة رأس لكم، وأي فخر وأي شرف؟

ألا تعلمون أن أحد تلامذة الإمام الصادق عليه السلام هو جابر بن حيان الذي كتب في الطب وحده (٥٠٠) رسالة، والذي كتب في الفلسفة والكلام (٣٠٠) رسالة، والذي كتب في المنطق والرياضيات (٣٠٠) رسالة، والذي كتب في الأجهزة والأدوات الحربية وغيرها (١٣٠٠) رسالة، والذي كتب في الكيمياء (٥٠٠)رسالة، والذي بلغت مجموع رسائله التي ابتدأها، بـ(حدثني جعفر بن محمد الصادق عليه السلام)، (٣٩٠٠) رسالة، حسب إحصاء عدد من المؤرخين المحققين، وهذا هو واحد من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام وقد كتب (٣٩٠٠) رسالة، هٰذا الشخص العظيم العملاق الذي هو أحد تلامذة الإمام الصادق عليه السلام، قد كتب من الرسائل ما ذكرنا من العدد الكبير الهائل، فهو مفخرة لكم إذن، بل إنه مفخرة للبشرية جمعاء.. فلماذا هٰذا الجفاء؟!

بل لماذا هٰذا الظلم والعداء؟!

فلماذا مذهبه الشريف لا يكون رسمياً في كافة الدول الإسلامية؟! هل تعتبرون ذٰلك والعياذ بالله منقصةً وهو مفخرة للإسلام والمسلمين بإجماع علماء المسلمين؟!

وهو سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسيد من أبرز سادات العالم، بل مفخرة لكل العالم بل لشتى العوالم، مثل هٰذا العظيم والعملاق الذي له هٰذه المكانة الكبرى، وله هٰذه المنزلة العظمى.. لماذا لا يُذكر في الإذاعات، والمحطات التلفزيونية، والفضائيات، لتفتخر به الأمة الإسلامية، ولتتعرف عليه أجيالها الناشئة؟

٤- ولماذا لا تعتبرون يوم شهادته عطلة رسمية؟

ولماذا لا يكون يوم شهادته، عطلةً رسمية في أرجاء البلاد؟

ولأن الأشياء تعرف بأمثالها كما تعرف بأضدادها، فلنلاحظ إنه ما من بلد إلا ولديهم (جندي مجهول) يقدسونه ويعظمونه، ويحيون ذكره ويحتفلون بذكراه، ولكن: يوجد لديكم فوق ذٰلك (إمام معلوم) ثم تتجاهلونه، لماذا؟!

ثم إنك تراهم يعطلون بمناسبات وطنية وغيرها، وبوفاة فلان أو علّان من المسؤولين أو الحكام لأنهم يعدونها خسارة وطنية، ولكن أليست فاجعة خسارة الإمام الصادق عليه السلام هي فاجعة كونية وليست فاجعة وطنية فقط؛ وذلك لأن الكون كله قد خسر بشهادة الإمام الصادق عليه السلام ركناً من أركان وجوده بل علة من علله الغائية.[1]

---

(١) راجع «من فقه الزهراء عليها السلام» لسيد الفقهاء الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره، للتعرف على جانب من مبحث العلة الغائية للكون وللخلقة.

٥- ولماذا لا تؤسس (كلّيات) متخصصة في حياة (الإمام الصادق عليه السلام) وعلومه وتاريخه وتعاليمه ومنهجه، في كافة البلاد الإسلامية وغيرها؟

٦- ولماذا لا تتشكل لجان متخصصة، ومراكز دراسات في كل وزارة من وزارات الدولة؛ للاستفادة من تعاليمه المباركة، بل لـ(هندسة) الوزارة وأوضاعها على حسب إرشادات الإمام الصادق عليه السلام وسائر الصادقين (عليهم صلوات رب العالمين)؟

المحطة الرابعة: (الجو العام) لآية ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾

١. فلسفة تغيير سياق الآيات في (آية التطهير)

كنتُ أتأمل في آية ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فاكتشفتُ اكتشافاً رائعاً وهاماً جداً يتوضح مع بعض التأمل في البحر المحيط بهذه الآية الشريفة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وذلك بعد الإذعان والإقرار: بأن الله سبحانه وتعالى دقيق جداً في عباراته وألفاظه وكلماته، وسياق كلماته وآياته والتسلسل والترتيب في عرض القضايا والأحكام.. وفي كل شيء، وذلك مما لا يجهله أي محقق منصف.

وعنوان هذا الاكتشاف هو: إن آية ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ هي بمنزلة (جنة عالية) وسط (مدينة سكنية) متراصّة الدور والمنازل والبيوت أو (واحة خضراء) في وسط الصحراء، أو كـ(حلقة ذهبية) في منتصف (سلسلة فضية).[1]

(١) والأمثلة تضرب ولا تقاس، ولا يراد بها حرفيتها، بل يكفي (الشبه) من جهةٍ، ولا يراد التشبيه من كل الجهات.

ولنبدأ بذكر شيء مشابه، قد ذكره بعض كبار علمائنا لدى التدبر في آية التطهير، وعندما كنتُ أتأمل في هٰذه الآية الشريفة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وجدتُ أن نفس الكلام الذي ذكره علماؤنا هناك يجري هنا أيضاً مع بعض التأمل..

يقول الله سبحانه وتعالى في آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.(1)

وكأن الله سبحانه وتعالى اقتطع هٰذه الآية من السياق وأرجعها مرة ثانية؛ حتى تكون إضاءة دائمة، لأن الآية لا تعود إلى أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا إلى الآخرين مع أن سياق الآيات كان حول أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأن الله سبحانه وتعالى غيَّر وضع الضمير، إذ كان الكلام يدور حول ضمير الجمع ونون النسوة (بيوتكن) مثلاً، ثم تحول إلى أهل البيت.. ثم رجع إلى ضمير الجمع ونون النسوة مرة أخرى.

لاحظوا الآيات الشريفة في آية التطهير، فإن دلالتها على المقصود واضحة جداً (وقرن بيوتكن) وليس بيتكم ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ هل قال تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ ـ عنكنّ ـ ٱلرِّجْسَ﴾؟ كلا.. ثم كلا.. وهل قال تعالى: ﴿أَهْلَ البيوت﴾؟ كلا؛ وهل قال: ﴿ويطهركن تَطْهِيرًا﴾؟ كلا.. بل إنه تبارك وتعالى غيّر الضمير فوراً، فبعد أن كان ضمير نسوة ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾، وقد تلته ضمائر مشابهة (تبرجن أقمن آتين أطعن) تحوّل مجرى الكلام والضمائر إذ لم يقل تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ ـ عنكنّ ـ ٱلرِّجْسَ﴾ ولم يقل (أهل البيوت) بل تغير الضمير من ضمير نسوة إلى ضمير جمع مذكر، وتغير

(1) الأحزاب: ٣٣

المضاف إليه ﴿بُيُوتِكُنَّ﴾ من جمع إلى مفرد ﴿ٱلْبَيْتِ﴾ وذلك كله ليعرف الجميع أن المخاطب قد تغير وأن الحكم قد توجه لأفراد آخرين.. ولتعرف أن هنا إضاءة لافتة كبرى.

ثم إننا نجد بعد إنتهاء آية التطهير: أن الضمائر قد رجعت للنسوة من جديد، وأن ﴿بُيُوتِكُنَّ﴾ قد عادت مرة أخرى.

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ﴾ أين؟ ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

إذاً (قبل ذلك) كان الكلام عن البيوت والنساء، و(بعد ذلك) عاد الكلام عن البيوت والنساء، ولكن في (وسط ذلك) تحول الكلام إلى ﴿ٱلْبَيْتِ﴾ وإلى ﴿عَنكُمُ﴾ و﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ بدل ﴿بُيُوتِكُنَّ﴾ و﴿وَأَقِمْنَ﴾، ولا يشك في ذٰلك كل من يعلم أن الله ﷻ دقيق جداً، وفي غاية الحكمة والفصاحة والبلاغة.

إذا آية التطهير توجد فيها هٰذه الالتفاتة بشكل واضح، أي أنها آية أفرزت من السياق العام بشكل مُلفت ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.(1)

٢. فلسفة تغيير سياق الآيات في ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وعندما تتدبرون في الآية الشريفة التي نحن في رحابها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ستجدون أن نفس هٰذه الملاحظة جارية في المقام، حيث إن السياق يختلف بشكل مفاجئ، فإن الله سبحانه يتكلم عن قضية أخرى، ثم يغير السياق بشكل دفعي مفاجئ.

ولنقرأ معاً الآيات الشريفة من سورة التوبة، قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ

(1) ق: ٣٧.

بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١)

فالآية تقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ولكن الآيات السابقة تتحدث عن شيء آخر، وبعدها كذلك تتحدث عن شيء آخر.. الآيات السابقة: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ الحديث في هذه الآيات عن توبة المهاجرين والأنصار، وبعدها يجري تخصيص الحديث بثلاثة من التائبين: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ ولاحظ أن الضمائر كلها للغائب: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ولكن السياق هنا فجأة يتغير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لقد كان الكلام عن ضمائر غائبة، ثم فجأة يغير رب العزة والجلال الخطاب ليصبح بصيغ المخاطب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، ثم مرة أخرى وفجأة يرجع السياق إلى الضمير الغائب، أي أنه تعالى يتحدث عن الغائبين: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ وكان يمكن أن يقول: (ما كان لكم)..

(١) (التوبة: ١١٧ـ١٢٠)

فقبل هٰذه الآية الشريفة، الحديث عن المسلمين (الغائبين) وبعد هٰذه الآية الشريفة الحديث عنهم (كذلك)، ولكن عندما يصل الأمر إلى هٰذه الآية نجد أن الله تعالى يخاطبنا خطاباً مباشراً، ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.. إذاً ما قبل هٰذه الآية الشريفة ـ الآية السابقة لها ـ وما بعد هٰذه الآية الشريفة ـ الآية اللاحقة بها ـ فإن وضع الخطاب والضمائر فيها بأجمعها بنحو آخر، ثم فجأة تقتطع هٰذه الآية (في الوسط) للألفات، وتقتطع هٰذه الآية وهي (في الوسط) بحيث يكون الحديث فيها موجهاً للمؤمنين على مرِّ التاريخ، وبشكل خطاب مباشر..

وإنكم إذا تدبرتم قليلاً في هٰذه الآية، والآيات الأخرى الكريمة تجدون هٰذا الشاهد شاهد صدق على الموضوع.

ولكن ما هي الفلسفة في ذلك؟

والجواب: إنها فلسفة عامة، ربما نذكرها بالتفصيل في وقت آخر، ولنكتفِ بالإشارة ههنا:

لماذا الله تبارك وتعالى وضع هٰذه الآيات في وسط جو آخر، ما السبب في ذلك؟

الجواب ـ بإيجاز ـ: السبب الظاهر هو: الإلفات، والسبب الباطن سنشرحه لاحقاً بالتفصيل ـ إذا شاء الله ـ وهو (التحريف): لولا ذٰلك لحرَّفوا القرآن الكريم!![1]

وهو السبب نفسه في عدم ذكر أسماء ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في القرآن الكريم؛ إذ الضُلّال والطغاة كما قتلوا الأنبياء، كما قتلوا الرسل، كما

(١) جدير بالذكر أن هٰذا الجواب سيكون في ضمن الـ٧٩ جواباً الأخرى التي سنبحثها في المجلد الثالث، بإذن الله تعالى.

حرَّفوا الإنجيل والتوراة، كذلك كانوا سيحرِّفون القرآن الكريم لو صرح بذكر أسماء ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ بشكل لا يقبل التأويل واللبس.

أسماء ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في القرآن الكريم

سنفصل هٰذا الجواب مع ما يمكن أن يورد عليه وأجوبته في جواب لاحق.. لكن لنبدأ الآن بالأجوبة النقضية على هٰذا التساؤل، وهو:

لماذا لم يصرح رب العالمين بأسماء ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في القرآن الكريم؟

لماذا لم يصرح الله تبارك وتعالى بأسماء ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ الذين أمرنا بإتباعهم، في القرآن الكريم؟

ولماذا لا نجد ـ كما زعموا ـ في القرآن الكريم تصريحاً باسم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، على الرغم من أنه سيد ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ بعد رسول رب العالمين صلى الله عليه وآله وسلم؟

وعلى الرغم من أنه عليه السلام باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

وعلى الرغم من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أعلمكم علي» و«أقضاكم علي»؟

وعلى الرغم من أنه «صديق هٰذه الأمة» و«فاروقها» بنص كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد اغتُصب منه هذان اللقبان، كما اغتصبت منه الخلافة!!

وعلى الرغم من أنه خليفة رسول الله دون فصل، والذي نزلت في شأنه العديد من الآيات كآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[١] وآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٢] وهما الآيتان اللتان أجمع علماء (أهل البيت) وعلماء (السقيفة) على أنهما نزلتا في شأن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام[٣]، إلى جوار آيات أخرى عديدة أجمع الكل على نزولها في شأنه صلوات الله عليه.

كما وردت بشأنه المئات بل الألوف من الروايات النبوية، والتي بلغ بعضها أعلى درجات التواتر كحديث «الغدير» مثلاً، أو التي لا يشك في صحتها عالم شيعي ولا عالم سني منصف كحديث المنزلة: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» وحديث «الطائر المشوي»... وغيرها.[٤]

فلماذا رغم كل ذلك لا نشهد تصريحاً باسم الإمام علي (عليه سلام الله)، في القرآن الكريم؟

وسنجيب على هذا التساؤل بواحد وثلاثين جواباً في هذا المجلد، وسيتلوها تسعة وسبعون جواباً آخر في المجلد الثالث بإذن الله تعالى[٥] ليبلغ المجموع ١١٠ أجوبة.. فنقول وبالله نستعين إنه خير ناصر ومعين:

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) راجع للتفصيل «علي في القرآن» للمرجع الكبير آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله و«ألف آية نزلت في الإمام علي» للمحدث الشهير السيد هاشم البحراني قدس سره وغيرهما.

(٤) راجع للتفاصيل «الغدير» للعلامة الأميني قدس سره و«العبقات» للسيد حامد الموسوي قدس سره و«ليالي بيشاور» للعلامة الشيرازي قدس سره و«المراجعات» للعلامة شرف الدين قدس سره وغيرها.

(٥) هذه الأجوبة الـ٧٩ قد وفقني الرب الجليل لكتابة عناوينها ورؤوس نقاطها ولله الحمد، وبقي أن تسنح الفرصة بتوفيقه جلّ اسمه لكتابتها بشكل مستوعب، وبما يعضدها من الشواهد والأمثلة، وبما يدفع ما قد يورد على بعضها، والله المستعان.

[١]

الجواب الأول

النقض بعدم ذكر أسماء من يسمون (الخلفاء)

الجواب النقضي الأول:

إنك تقول: إن الله ﷻ لم يذكر بصريح العبارة اسم ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ الذين يجب أن نكون معهم، أي أسماء: علي والحسن والحسين وبقية الأئمة الأطهار (عليهم صلوات الله وسلامه) في القرآن الكريم.

لكن نقول: هل يصلح عدم ذكر الاسم على فرض قبول ذلك كدليل على عدم كونهم أئمة وأوصياء وخلفاء للرسول ﷺ؟.. كلا.. ثم كلا، فإنه لا يحق للخصم أن يحتج بذلك علينا؛ إذ نجيبه: إن الله تعالى لم يذكر اسم أبي بكر وعمر وعائشة وأمثالهم.. فهل تنكرونهم ولا تقتدون بهم؟ وهل تنكرون (خلافتهم) ـ كما تزعمون ـ لأجل ذلك؟

خاصة إذا لاحظتم إن ذكر اسمهم كان ميسوراً، وفي قضايا ترتبط بهم مباشرة، وذلك كما في آية ﴿ٱلْغَارِ﴾ وهي قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ

سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[1]

فإنه جلَّ اسمه كان من الممكن أن يذكر اسم أبي بكر، فيقول: (إذ يقول لأبي بكر) أو (إذ يقول لصاحبه أبي بكر) أو ما أشبه، لماذا لم يقل ذلك حتى يرتفع الخلاف من الأمة، وإنما قال: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾؟

هذا إضافة الى الإشكال الكبير على استشهادهم بهذه الآية؛ إذ الآية عليهم وليست لهم، فإنها ذم لأبي بكر وليست مدحاً له، حيث قال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ ولم يقل (عليهما)، بل خصص الضمير بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقط، وهكذا نجد أن الفضيلة الأولى وهي: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ الضمير فيها خاص، وفي الجملة اللاحقة: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ أيضا نجد أن الضمير خاص، فعند الفضيلة الضمير خاص بالنبي، وعند الأمر العام وهو ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ مما ليس فضيلة، يكون الضمير عاماً، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾[2] فليس (إن الله معنا) مما يتضمن مدحاً أو فضيلة لأبي بكر أبداً.

والآية واضحة لا لبس فيها: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ﴾، فلم يقل جل اسمه: (فأنزل الله سكينته عليهما وأيدهما).

---

(١) التوبة: ٤٠.

(٢) الحديد: ٤.

[٢]

الجواب الثاني

النقض بعدم ذكر الكثير من أهم مسائل (فروع الدين)

كذلك في الجواب النقضي، نقول: يوجد خلاف حتى الآن بين أهل الخلاف وبين الشيعة منذ أكثر (١٤٠٠) سنة؛ حول (السجود)، وذلك رغم أن: «**الصلاة عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها، وإن ردت ردَّ ما سواها**»(١)؟ والسجود على ما لا يصحُّ السجود عليه يُبطل الصلاة.. والله سبحانه كان يعلم بأنّ هناك خلافاً سيقع في الأمة بخصوص السجود ـ على التراب والتربة، أو السجود على الفراش وما أشبه ـ ورغم أن الله سبحانه في القرآن الكريم تحدث عن السجود والسجدة، أي عن هٰذه المادة بمشتقاتها المختلفة في مواطن عديدة، ناهزت الـ(٩٨) موطناً، حيث استخدم الله سبحانه كلمة السجود بمعانيها المختلفة، وبالصيغ المختلفة (﴿ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، ﴿فَٱسۡجُدۡ﴾، ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾.. إلى آخره) إلا أنه لم يصرح

---

(١) تهذيب الأحكام للطوسي: ج٢، ص٢٣٩، ح (٩٤٦) ١٥، وفيه عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن أول ما يحاسب به العبد الصلاة، فإن قبلت قبل ما سواها، وفي مضمونه رواية «وسائل الشيعة: ج٤، ص٣٤، ح(٤٤٤٥) ١٣» عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن عمود الدين الصلاة، وهي أول ما ينظر فيه من عمل ابن آدم، فإن صحت نظر في عمله، وإن لم تصح لم ينظر في بقية عمله».

بكيفية السجود، وأنه على مطلق وجه الأرض أم على السجاد، مع أنه كان من الممكن بكلمة واحدة أن يقول: (اسجدوا على التراب أو التربة أو السجاد أو ما أشبه) أما كان يرتفع الخلاف عندئذٍ من الأمة؟

فلماذا لم يصرح الله تعالى بذلك؟

تصوروا (٩٨) مرة، يذكرﷻ السجود واسجدوا وما أشبه ذلك، ولكنه جل اسمه، ولو لمرة واحدة لم يُشِر إلى (على ماذا)، فلماذا لم يصرح بذلك؟

لماذا لم يذكر اسم السجود على التراب أو السجاد، إثباتاً أو نفياً؟ ولو ذكر لكان يحل المشكلة ـ كما تزعمون ـ كما أنه لو ذكر أسماء ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وصرح بأنهم الأئمة المعصومون أو أنهم أعم، لكانت ترتفع المشكلة والخلاف الممتد على امتداد التاريخ الإسلامي..

ولكن الله تعالى حكيم دون شك، ولحكمة ما لم يذكر ذلك..[1]

(١) سنشير ـ في أجوبة قادمة ـ إلى وجوه من الحكمة والمصلحة في ذلك، بإذن الله تعالى.

[٣]

الجواب الثالث

النقض بعدم ذكر عدد من أهم مسائل (العقائد)

وهناك أجوبة أخرى نقضية على ذلك، ألا يقول بعض من شذ وتطرف من المسلمين: أن التبرك بقبر النبي ﷺ أو الأئمة والأولياء شرك؟

فلماذا لم يذكر ذلك في القرآن؟!

إذن، حسب منطقكم، فعدم ذكر كون ذلك شركاً مذكوراً في القرآن الكريم، هو دليل على عدم كونه شركاً؛ وإلا لذكره القرآن الكريم للأهمية القصوى لمسألة الشرك، بل هي أهم مسألة على الإطلاق.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1]

هذا مع قطع النظر عن كونكم أقلية بل شذاذاً في هذا الرأي؛ إذ أن حوالي ملياري مسلم في العالم اليوم يقولون إن التبرُّك بقبور الأولياء والصالحين هو إطاعة لله تعالى وامتثال لأمره سبحانه، لقوله تعالى إذ

---

(١) النساء: ٤٨.

يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[١] وأنت تقول بأنه شرك؟! وأنتم مليونان، أو ثلاثة ملايين وهابي، أي أنكم لا تمثلون إلا نسبة مهملة لضآلتها في الأمة، وعلى ذٰلك نسألكم: لماذا لم يقل الله تعالى في صريح القرآن أن التبرك بقبور الصالحين شرك؟

فأنتم تحتجون بعدم ذكر اسم علي بن أبي طالب عليه السلام بالصراحة في القرآن الكريم، ونحن نجيب نقضاً بـ:(لماذا لم يردع الله في القرآن بصريح العبارة عن واحد من أهم مصاديق الشرك بنظركم، وواحد من أكثرها شيوعاً ورواجاً، وهو: التبرك بأضرحة وقبور ومشاهد وتراب الصالحين، بل وكل شيء يرتبط بهم؟).

ونجيب حلاً[٢]: بأنه من الكافي والوافي أن يذكر الله تعالى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ويثبت ولايته بالصفة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾[٣].

والروايات الصحاح لدى الفريقين، والإجماع أيضاً من الشيعة والسنة منعقد على أن هٰذه الآية الشريفة نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام حين تصدق بالخاتم في ركوعه..

والعاقل يكفيه ذكر الصفات، ولو تعلل لعدم إطاعة مولاه (بأنه لم يذكر الاسم)، لاستحق العقاب، بل لو كان معتقداً بذلك حقاً لوصفه العقلاء بالسفاهة، وهذا جواب سيأتي تفصيله لاحقاً.

---

(١) المائدة: ٣٥.

(٢) وسيأتي تفصيل الحديث عن ذلك في ضمن الأجوبة الحلّية، وقد استطردنا ههنا لذكر أحد الأجوبة الحلية، وسط الأجوبة النقضية، كي لا يعلق في بال متوهم أن الإشكال لا جواب له.

(٣) المائدة: ٥٦.

كما أننا ـسنجيب لاحقاً بتفصيلـ إجابة أخرى هي: إنك تقول (لا إله إلا الله)، والمفروض أنك تؤمن بالله فكيف تعترض عليه بأنه لماذا لم يذكر كذا، أو لماذا لم يقل كذا، أو لماذا ذكر بهذه الطريقة دون تلك؟! أو إنه يجب عليه أن يذكر الاسم، ولا يكتفي بالصفات والإشارات؟!

إن من يؤمن بالله لا يسأله ولا يوجب عليه، فالله تعالى يقول: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[1].

أأنت تحاسب ربك أو تعترض أو تحتج عليه، بأنه لماذا ذكر شيئاً، ولماذا لم يذكر شيئاً آخر؟!

إن الله تعالى حكيم، وكثيراً ما يذكر الحكيم المصاديق والأوصاف ليعطيك العلة في الانتخاب الإلهي، والحكمة والسبب والمقياس، وليسير القرآن مع الأمة في نهر الزمان وساحات المكان[2].

ورغم ذٰلك نلزمك بما تطالبنا به، فنسألك: لماذا لم يقل السجود على التربة شرك.

ولماذا لم يقل التبرك بقبور الصالحين هو من الشرك؟

ولماذا لم يورد أسماء الخلفاء؟ ونضيف ـسلسلة أمثلة أخرى مما يتعلق بالعقائدـ: فلماذا لم يصرح الله بأنه (جسم أو ليس بجسم)؟ وإنه ينزل للسماء الدنيا أو لا يعقل ذلك؟وأن القرآن مخلوق أم لا، وقد أريقت دماء كثيرة لذلك كما تعلمون؟

وأن (المعاد جسماني أو روحاني)؟ إلى غير ذلك..

(١) الأنبياء: ٢٣.

(٢) وليمكن انطباقه على سائر الأئمة الإثني عشر (عليهم سلام الله)، كما سيأتي تفصيله.

[٤]

الجواب الرابع

النقض بعدم ذكر (الاقتصاد الإسلامي)

والأجوبة النقضية على (اعتراضكم) كثيرة وفي أبعاد أخرى للحياة أيضاً، فإن الله ﷻ لم يتحدث عن (الاقتصاد الإسلامي) بالصراحة في القرآن الكريم، وأنه هل يوجد (اقتصاد إسلامي) أم لا يوجد؟ رغم أن هٰذه القضية هامة جداً، كما هي مورد خلاف شديد، والله كان بمقدوره أن يصرح في القرآن بوجود (اقتصاد إسلامي)، فلماذا لم يصرح؟ كما كان بمقدوره أن يقول: لا يوجد اقتصاد إسلامي، وأنتم بعقولكم البشرية حللوا الأمور، لماذا لم يقل؟ أليست المسألة الاقتصادية مهمة؟ بل مهمة جداً، هل الاقتصاد يجب أن يكون إسلامياً أو لا؟ بل هل يوجد (اقتصاد إسلامي)؟ وما هي معالمه؟ وما هي فوارقه عن الاقتصاد الرأسمالي أو الإشتراكي أو التوزيعي؟[١]

وكذلك عدم ذكر الكثير من أهم المسائل الاقتصادية بالصراحة في القرآن الكريم مثل «بيع الكالي بالكالي» والذي يعد من أهم أسباب إنهيار

---

(١) راجع موسوعة الفقه/ الاقتصاد: ج١٠٧و١٠٨ لمعرفة الفوارق بين هٰذه الأنواع الأربعة من الاقتصاد.

الاقتصاد العالمي في السنة الماضية[١]، ومثل (الضرائب) وأنه لا توجد ضريبة على الإرث أو على الأرض أو على تأسيس الشركات والمعامل، ومثل (حرية التجارة) و(عولمة الاقتصاد) وتقييد الصادرات والواردات، وغير ذلك، مما يؤثر على المجتمع كله، وبأشد الصور سلباً أو إيجاباً.[٢]

(١) أي في عام (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م) وقد أوضحنا ذلك في بعض بحوثنا التفسيرية عند الحديث عن الآية الكريمة: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ «هود: ٨٨».

(٢) لمعرفة الإجابة بل عدد من الأجوبة التي توضح السبب في عدم الحديث الصريح عن (الاقتصاد الإسلامي) في القرآن الكريم شأنه في ذلك شأن السبب في عدم التصريح باسم الأئمة الأطهار عليهم السلام راجع الأجوبة: ١٨ـ ١٩ـ ٢٢ـ ٢٤ـ ٢٥ـ ٢٦ـ ٢٩ و٣٠ في هذا الكتاب، كما سنذكر مجموعة أجوبة أخرى في المجلد الثالث، بإذن الله تعالى.

[٥]

الجواب الخامس

النقض بعدم بحث (الهرمنيوطيقيا)

الجواب النقضي الآخر: إن الله تعالى لم يتحدث في القرآن الكريم عن (الهرمنيوطيقيا)، لماذا لم يتحدث عنها؟ علماً أن (الهرمنيوطيقيا) يعدّ من أهم العلوم[١] التي اتخذها الغربيون ذريعة وحجة لنسف القرآن الكريم، كما توهموه بعقولهم القاصرة!

الله ﷻ، لماذا لم يذكرها، وينبه الأمة على بطلانها؛ لأن هٰذا العلم موجه لنقض القرآن الكريم نفسه بزعمهم، والإشكال فيه على القرآن نفسه؟

والحديث عن (الهرمنيوطيقيا) التي يسمونها علماً، مُفصل في محله وإجماله[٢] بكلمة واحدة: إن هٰذا العلم يقول: بأن الألفاظ، والجمل، والكلمات، عندما تصدر من قائلها أو كاتبها، فإنها تخرج عن ملكيته وتكون ملكاً للسامع، فلا يعود المتكلم صاحب القول الفصل فيها على

(١) وهي في الواقع نظرية بل فرضية وليست علماً.

(٢) حسب بعض تقريرات هٰذه النظرية.

الإطلاق، بل هي حيَّة متحركة متغيرة بتغير النفسيات والعقول والأفهام.. وبتغير الأوضاع والظروف وملابسات الزمان والمكان وشرائطهما أيضاً، فكلٌ يفهم شيئاً من هٰذا النص، وكل تلك الأفهام المتخالفة بل والمتضادة أو المتناقضة، هي صحيحة أيضاً، هٰذا ملخصها..

وبعض جهلة المسلمين ـ مع الأسف ـ حاولوا تطبيق هٰذا العلم (الذي في الواقع ابتكره الغربيون لمحاكمة الإنجيل المحرَّف والمكتوب بأيدي بشرية وفي فواصل مئات السنين) على القرآن الكريم، الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1]

ونسألك: لماذا الله جل اسمه لم يصرح بـ(أن الهرمنيوطيقيا باطلة)؟ كما أنه لم يصرح حسب زعمك باسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم؟

والجواب لدينا واضح بحمد الله وهو: إن الله تبارك وتعالى ليس منهجه في القرآن على التصريح بكل شيء، بل كثيراً ما يكتفي بإعطاء القواعد والضوابط، أو يكتفي بالصفات دون الأسماء، أو يكتفي بالإشارة والكناية دون التصريح.

ونشير إلى أنه يكفي لرد من ينكر إمامة وولاية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ مع ما ورد في شأن نزولهما وغيرهما، وسنبين ذٰلك لاحقاً بإذن الله تعالى.

---

(١) فصلت: ٤٢.

كما أنه يكفي للعاقل لرد الهرمنيوطيقيا قوله تعالى في الآية المتقدمة: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ وهذا كاف في الجواب إذ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1].

(١) سورة ق: ٣٧.

[٦]

الجواب السادس

النقض بعدم ذكر جملة من (القضايا الحقوقية)

الجواب النقضي الآخر يتعلق بإحدى أهم القضايا التي شغلت أذهان العالم في هٰذا العصر، ولم يتطرق لها القرآن الحكيم بعبارة صريحة، وهي: لماذا لم يتكلم الله عن (حقوق المرأة) في القرآن الكريم، كأن يقول: (يا أيها الناس حقوق المرأة مساوية لحقوق الرجل) أو يقول: (ليست مساوية)، أو مساوية في هٰذه الجهة دون الأخرى، لماذا لم يُصرِّح بذلك؟ بل أشار إشارات تحتاج إلى (استنباط) و(استخراج) للفروع منها، وليست صريحة في العموم أو الإطلاق، كقوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ أو: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ وما معنى: ﴿أَوْلِيَآءُ﴾ هنا؟ وما هي مجالاتها؟

وما علاقتها ونسبتها مع: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾؟

مع أن المبحث واسع النطاق جداً ومورد الابتلاء بشدة، ومهم لكل الناس في كل زمان ومكان.

بل لماذا لم يصرح القرآن الكريم ببعض أهم البحوث والمصاديق التي تتعلق بالمرأة مثل: هل لها أن تكون رئيساً للجمهورية أم لا؟

وهل تستطيع أن تصبح مرجعاً للتقليد، أو قاضية، أو وزيرة؟ كأن يقول الله: (يا أيها الناس لا يحل للمرأة، أو يحل لها، ويحق لها أن تكون قاضية، أو رئيسة وزراء، أو ما أشبه ذلك)..؟[1]

(١) قد تطرقنا في هذا الكتاب لذكر مجموعة من العلل والأسباب والحِكَم التي اقتضت عدم الحديث الصريح في القرآن الكريم عن عدد من البحوث المطروحة ههنا، فراجع الأجوبة: ١٨ـ ١٩ـ ٢٢ـ ٢٤ـ ٢٥ـ ٢٦ـ ٢٩ و٣٠ وانتظر المزيد من الأجوبة في الجزء الثالث، بحول الله وقوته.

[٧]

الجواب السابع(١)

النقض بعدم ذكر العديد من أهم مسائل (أصول الفقه) صراحة(٢)

وذلك كـ:

١ـ (مباحث الحجج) النقلية كمبحث: (حجية ظهورات الكتاب)، إذ يقال:

لو ذكر القرآن بالصراحة حجية الظهورات لإرتفع الخلاف بين (الأصوليين) و(الأخباريين) وبين (الظاهريين)(٣) من أهل العامة، وغيرهم.

---

(١) للتوضيح: قد أضفنا الجواب السابع إلى الرابع عشر، كتابةً، على ما ذكرناه في محاضرة (الدرس التفسيري) كما أن هناك إضافات عديدة هامة أخرى جرت، على ما ذكرناه في (الدرس التفسيري).

(٢) من الواضح أن علماء الأصول استنبطوا كثيراً من المسائل الآتية من القرآن الكريم، إضافة إلى السنة والعقل، إلا أن الكلام هو عدم (تصريح) القرآن الكريم بتلك المسائل والأحكام أو بأكثرها، وليس عدم إشارته لها، أو عدم ذكره ما يمكن استنباطه منها أو استلهامه.

(٣) الذين ذهبوا إلى (الجمود) على (ظواهر الكتاب) حتى مثل: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ و﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ فأجيبوا بأمثال: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾!

٢ـ و(حجية خبر الواحد) ككبرى كلية، ثم كمصاديق: هل أخبار الآحاد الموجودة في «الكافي» مثلاً عند الشيعة، وفي «البخاري» مثلاً عند السنة قطعية، أو ظنية بالظن المعتبر، أو ظنية بالظن غير المعتبر؟ وهل هي صحيحة، أو موثقة، أو حسنة، أو ضعيفة، أو مزيج من كلها؟

٣ـ ونقول نقضاً[1]: لماذا لم يذكر الله تعالى وهو العالم بالغيب والمستقبل، في القرآن الكريم بأن كتاب «البخاري» ـ مثلاً ـ الذي سيؤلفه فلان، صحيح كله، ليرتفع الخلاف من الأمة؛ إذ ألم ينبأ الله تعالى بالغيب في كثير من الآيات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾؟

وأليست قضية صحة «البخاري» وهو اسم أهم كتاب عندهم بعد القرآن الكريم، ويشتمل على الألوف من مسائل الأصول والفروع، أهم من قضية: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾؟!!

٤ـ وكمبحث حجية الإجماع المنقول وعدمها.

٥ـ وكمسألة حجية الشهرة وعدمها.

٦ـ وكبحث حجية أحد الخبرين لدى التعارض.

٧ـ وكبحث (الظن الانسدادي) على (الكشف) نقلاً.

٨ و٩ـ وكقضية حجية (القياس) و(الاستحسان) وعدمها، ولو كان القرآن ـ مثلاً ـ قد صرح بحجية القياس والاستحسان أو عدمها، لارتفع

(١) بناءً على الاعتراض بـ(لماذا لم يذكر الله تعالى اسم الأئمة الإثني عشر في القرآن الكريم ليرتفع الخلاف من الأمة؟).

الخلاف كما تقولون[1] بين عامة أتباع أهل البيت عليهم السلام وعامة أهل الخلاف، والذي لا يزال مستمراً منذ ١٤٣١ سنة!

١٠ ـ١٣ـ وكالعديد من (مباحث الألفاظ) التي توقف عليها الاستدلال بكل القرآن الكريم كمسألة (هل (الأمر) ظاهر في الوجوب مادة وصيغة وضعاً، أو بمقدمات الحكمة؟ أو غير ذلك؟)

وماذا عن (النهي)؟

وهل الأمر الواقع عقيب الحظر ظاهر في الإباحة أم لا، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾؟

وهل العام المخصص بالمنفصل، ظاهر في تمام الباقي أم لا؟

١٤ـ وهل الأصل في أوامر القرآن ونواهيه، أنها إرشادية أو مولوية؟

١٥ـ وهل المشتق حقيقة في المتلبس بالمبدأ، أو حتى فيمن انقضى عنه المبدأ مطلقاً أو بلحاظ حال التلبس؟

١٦ـ وكذلك علائم الحقيقة والمجاز؟[2]

وهكذا.

---

(١) إذ تقولون: لو ذكر الله تعالى اسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم لارتفع الخلاف من الأمة.

(٢) وغير خفي، أنه تتفرع على هذه المباحث مجموعة من أهم البحوث العقدية وليس الفقهية فقط، فمثلاً: يتفرع على الذهاب إلى القول بأن المشتق حقيقة في المتلبس بالمبدأ والمنقضي عنه المبدأ، الاستدلال بآية: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ وعلى القول بأنه حقيقة في المتلبس فقط، فإن الاستدلال بالآية عندئذٍ يتوقف على القول بأن (الظالم) من قبيل (القاتل) مما يكفي فيه جري المبدأ على الذات، ولو آناً ما في (الاتصاف) مطلقاً، أو على ضم المقدمة العقلية وهي: أن طلب (إبراهيم عليه السلام) لا يعقل أن يكون: جعل النبوة أو الإمامة في ذريته حال ظلمهم، بل إنه طلب جعل النبوة لهم وإن ظلموا لحظة فصاعداً، ثم تابوا وأصلحوا فأجاب الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ إذ لو طلب جعل الإمامة خاصة لمن لم يظلم مطلقاً ولو ثانية، لما تطابق جواب الله تعالى معه،

١٧ـ وكـ(مباحث الأصول العملية) الشرعية منها والعقلية كـ: (أصالة الاحتياط) مطلقاً، نظراً لمسلك (حق الطاعة)، أو في خصوص الشبهة البدوية قبل الفحص (توقفاً أو احتياطاً)، أو في خصوص ما لو كانت الشبهة في المكلف به في أطراف العلم الإجمالي، إذا كانت الشبهة محصورة، أو كانت بحكمها كما في شبهة الكثير في الكثير.

١٨ـ وهل الاحتياط جارٍ في (الأقل والأكثر الاستقلاليين) كـ(الارتباطيين) و(المتباينين) أم لا؟

١٩ـ و(أصالة التخيير)، أو (التساقط) لدى تعارض الدليلين.

٢٠ـ وماذا عن موارد (التزاحم)، ودوران الأمر بين المحذورين في (التوصليات) و(التعبديات)؟

٢١ ٢٣ـ و(الاستصحاب) سواء لدى الشك في (المقتضي) أم (الرافع)، وسواء كان الشك في (وجود الرافع) أم (رافعية الموجود)، وسواء كان في الشبهة الحكمية أم الموضوعية... وهكذا؟

نعم، قد يقال: إن (البراءة) في الشك في التكليف هو الأصل الوحيد الذي دلّ عليه القرآن الكريم بالصراحة؛ إذ يقول تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ و﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ وفيه ما لا يخفى.

٢٤. وكـ(مباحث الحجج العقلية) ومنها مباحث الاستلزامات، وذلك مثل: هل الأمر بالشيء يستلزم الأمر بالمقدمة، وهل يترشح الوجوب منه إليها، في المقدمة الموصلة وغيرها؟

وتفصيل ذلك يطلب من علم الكلام، وعلى ما ببالي فإن العلامة المجلسي قدس سره في كتابه العظيم «بحار الأنوار» قد تطرق إلى ذلك.

٢٥. وهل الأمر بالشيء يقتضي النهي عن ضده العام؟ أو ضده الخاص؟

٢٦. وكمباحث (الظن الانسدادي) على (الحكومة).

وهكذا وهلم جراً...

[٨]

الجواب الثامن

النقض بعدم ذكر (الإكتشافات والإختراعات والعلوم)

النقض بعدم التصريح بالإكتشافات أو الاختراعات العلمية الكبرى التي ستحدث طوال القرون القادمة، ليقطع القرآن عذر المعتذرين والمشككين فيه.

وكذلك: النقض بعدم التصريح بالإخبار عن كثير مما سيحدث من أحداث كبرى في المستقبل.

وذلك بأن يذكر مثلاً بالصراحة: (الليزر) و(الأشعة الكهرومغناطيسية) وأنَّ بُعد (بلوتون) عن الأرض كذا؟ و(طبقة الأوزون والغلاف الجوي) و(النظرية النسبية) و(الخارطة الجينية الوراثية) و(الكمبيوتر) و(الانترنت) وأجهزة (النقال) و(التلفاز) وتركب (الذرة) من الكترون وبروتون وغيرهما، وكذلك علاج (السرطان) و(مرض نقص المناعة المكتسبة) وغيرها.

إذ لو كان يذكر كل ذٰلك ونظائره، كان الخلاف في (حقانية) الإسلام يرتفع من البشرية؟!

فلماذا لم يصرح بذلك، واكتفى بإشارات وكنايات وتلميحات تحتاج لإجتهاد وجهد لمعرفتها والاستدلال بها، ثم قد لا يقتنع الخصم بها، عكس ما لو صرح؟!

إن أي جواب تجيبونه على هٰذا التساؤل، يعد بدوره إجابة على السؤال: لماذا لم يذكر الله أسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام في القرآن الكريم؟.

وصحيح أنه مما لا ريب فيه، أن القرآن الكريم تضمن كنايات وإشارات يمكن بالتدبر والتأمل فيها اكتشاف عظمته، وإعجازه في إخباره بأعظم الدقائق العلمية وحتى التي لم يتوصل إليها البشر، والتي قد لا يتوصل إلى الكثير منها في المستقبل أيضاً، إلا أن الكلام في (التصريح) بكل ذلك؛ (ليرتفع الخلاف) و(يغلق الباب) بشكل واضح ونهائي على كل مشكك أو مرتاب؟[1]

(١) سيجد القارئ الكريم عدداً من الإجابات على هٰذا التساؤل في مطاوي هٰذا الكتاب، ومنها الأجوبة: ٢٤ـ ٢٥ـ ٢٦، وأجوبة أخرى ستأتي في المجلد الثالث، إن شاء الله تعالى.

[٩]

الجواب التاسع

النقض بـ(القضايا السياسية)

النقض بعدم التطرق الصريح لمجموعة من أهم القضايا السياسية التي تمس حياة المجتمع الإسلامي بل المجتمع البشري بأكمله، سلباً أو إيجاباً.

وذلك مثل:

ـ (فصل السلطات) و(استقلالية السلطات الأربع).

ـ (تعدد الأحزاب).

ـ (السلطة الخامسة) ومؤسسات المجتمع المدني.

ـ (ولاية الحاكم الجائر) كما يقول به كثير من أهل الخلاف أو عدمها.

ـ (ولاية الفقيه) أو (شورى الفقهاء) أو (ولاية عدول المؤمنين) أو لا هٰذا ولا ذاك؟

ـ (حرية المعارضة) وبأية درجة؟ و(حرية الصحافة والإعلام) وإلى أي حد؟

ـ (مواصفات الحاكم) و(شروط عزله)؟...

وهٰكذا وهلم جراً.[1]

وقد وفقني الرب الجليل بلطفه وكرمه لاستنباط أحكام الكثير من أمثال هٰذه القضايا من القرآن الكريم، بل من آيات عديدة لأكثر تلك العناوين[2]، إلا أن الشاهد هو عدم ذكر ذٰلك بالصراحة في القرآن الكريم، كما لم يذكر اسم الإمام علي عليه السلام بالصراحة في القرآن الكريم كما قيل.

(١) سيجد القارئ الكريم عدداً من الأجوبة على هٰذه التساؤلات في الصفحات القادمة خاصة الأجوبة: ١٨ـ ١٩ـ ٢٢ـ ٢٤ـ ٢٥ـ ٢٦ـ ٢٩ و٣٠ كما سنذكر إجابات أخرى في الملجد الثالث: بإذن الله تعالى.

(٢) وقد كتبت شطراً من ذلك في «دروس في التفسير والتدبر» المجلد الرابع [وهو مخطوط] وفي كتاب «شورى الفقهاء» وكتاب «فقه التعاون على البر والتقوى» وغيرها.

[١٠]

الجواب العاشر

النقض بـ(المتشابهات)

النقض بأنه: لماذا لم يقتصر الله تعالى على ذكر (المحكمات) فقط في القرآن الكريم، بل إنه جل اسمه أكثر من ذكر (المتشابهات) في القرآن الكريم؛ رغم أن ذلك يوجب (ضلال الكثيرين)، وذلك في العديد من شؤون العقيدة والشريعة معاً، بدءً من البارئ جل اسمه وصفاته ووصولاً للصلاة وبعض أحكامها؟[١]

وهذا النقض أشد بكثير من مجرد عدم ذكر اسم ﴿الصَّٰدِقِينَ﴾ في القرآن الكريم؟ فإن (عدم صنع شيء يؤدي للهداية) أهون من (صنع ما يسبب الضلالة).

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾.[٢]

(١) وسنذكر في ضمن الجواب الحلي القادم عن المتشابهات، أمثلة عديدة على ذلك.

(٢) آل عمران :٧.

وسنذكر في ضمن الأجوبة الحلية، بإذن الله تعالى، ما يكشف الستار عن (فلسفة) ذكر المتشابهات في القرآن الكريم، وعن (فلسفة) عدم ذكر أسماء ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ بالصراحة على فرضه فانتظر.[1]

(١) ومنها الأجوبة ٢٤ـ ٢٦.

[١١–١٢]

الجواب الحادي عشر والثاني عشر

النقض بـ: (النسخ) و(البداء)

أ- النقض بـ(النسخ) في القرآن الكريم بأقسامه من:

١- (نسخ التلاوة دون الحكم)، كما مثّل له (أهل الخلاف) بآية الرجم. فراجع «البخاري» وغيره وسيأتي بحثه، وهو صريح في تحريف القرآن العظيم، وإلتزام صريح بحذف بعض آياته من القرآن الكريم.

٢- (نسخ الحكم والتلاوة) كما فيما رواه في «صحيح مسلم» عن عائشة أنها قالت: (كان فيما أنزل من القرآن «عشر رضعات معلومات يحرِّمن» ثم نسخن بـ«خمس معلومات» فتوفي رسول الله وهن فيما يقرأ من القرآن).[1] وهو صريح في تحريف القرآن أيضاً.

٣- (نسخ الحكم دون التلاوة) وهو مشهور بين علماء العامة ومفسريهم، وقد ألف فيه جماعة من العلماء كتباً مستقلة، ومنهم الحافظ المظفر الفارسي.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الرضاعة، باب التحريم بخمس رضعات، الرقم ١٤٥٢، (وحسب طبعة ٣٥٨٧).

كما ادعى أبوبكر النحاس في كتاب (الناسخ والمنسوخ) أن الآيات المنسوخة هي ١٣٨ آية، وذهب السيد الخوئي قدس سره إلى: (وقد عقدنا هذا البحث لنستعرض جملة من تلك الآيات المدعى نسخها، ولنتبين فيها أنه ليست في واقع الأمر واحدة منها منسوخة فضلاً عن جميعها).[١]

ب- والنقض بـ(البداء)[٢] قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٣] وقال: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾[٤] وقال: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[٥] و﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.[٦]

فإن (النسخ) و(البداء) مما يوقعان الناس في الخلاف الشديد، بل مما قد ضل بهما قوم كثيرون.

فلماذا لم يصرح القرآن الكريم بالأنواع الثلاثة للنسخ بصريح العبارة؟

ولماذا لم يصرح بعدد الآيات المنسوخة؟

ولماذا لم يحدد بصريح العبارة (الآيات المنسوخة)؟

علماً بأن (نسخ القرآن نفسه) لا يقل (أهمية) عن مبحث ذكر اسم الأئمة عليهم السلام في القرآن الكريم بالصراحة وعدمه.

بل قد يقال: هو أهم؛ لتعلقه بنفس القرآن وبالثقل الأكبر، وأما (التصريح) باسم الأئمة عليهم السلام فهو مسألة لاحقة؛ لأن المسألة الأصلية

(١) البيان في تفسير القرآن: ص٢٧٥.
(٢) وغير خفي أن (البداء) في الله تعالى إنما هو بمعنى (الإبداء).
(٣) الرعد: ٣٨.
(٤) الأعراف: ١٤٢.
(٥) الزمر: ٤٧.
(٦) الكهف: ٧.

هي: (إقامة الدليل على أن الأئمة عليهم السلام هم الولاة والخلفاء) وهو موجود في القرآن الكريم بما لا مجال للشك فيه، كما سيأتي تفصيله في مثل آية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

كما أنه ليس مهماً أبداً، أن يكون (الدليل) بشكل (ذكر اسم) أو بأشكال أخرى، كذكر الصفات القطعية، وشأن النزول المجمع عليه، وغير ذلك، كما سيأتي، بإذن الله تعالى بيانه.

ثم: لماذا لم يصرح القرآن الكريم بوجود (البداء) بهذه اللفظة الخاصة؟

وما هو (معناه)؟

وما هي (حكمته)؟

وما هي علائمه أو معالمه؟

وما هي حدوده؟

فإنه تعالى قال: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ لكن ما الذي محاه؟ وما الذي أثبت؟ سواء في عالم التكوين أم عالم التشريع؟ إن ذلك بتفاصيله لا نجده في ظاهر القرآن الكريم.

[١٣]

الجواب الثالث عشر

النقض بـ(القواعد الفقهية)

النقض بعدم ذكر كثير من أهم (القواعد) بشكل صريح في القرآن الكريم[١] أو ذكرها المجرد دون إيضاح حدودها، رغم الخلاف الكبير منذ مئات السنين في حدودها، والذي سيبقى إلى ما شاء الله تعالى.

وذلك مثل:

١ـ قاعدة «لا ضرر» رغم شدة الابتلاء بها في الشؤون الفردية والعائلية والاجتماعية، وفي الشؤون السياسية والاقتصادية، وغيرها.[٢]

وعلى الرغم من أن بعض العامة قال: (إن الفقه يدور على خمسة أحاديث، أحدها حديث: لا ضرر ولا ضرار).[٣]

---

(١) وإن ورد في القرآن الكريم ما قد يستنبط منه تلك القواعد، فراجع تفصيله في كتب (القواعد الفقهية).

(٢) راجع للتفصيل «قاعدة لا ضرر» للسيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله والسيد علي الحسيني السيستاني دام ظله وغيرهما.

(٣) تنوير الحوالك للسيوطي: ص٥٥٦، (١٤٢٩).

٢ـ وقاعدة «الصحة» سواء بمعنى الحمل على المباح دون المحرم، أم بمعنى ترتب الأثر وعدم كون العمل فاسداً، المستفادة من رواية: «ضع أمر أخيك على أحسنه».[١]

٣ـ وقاعدة «التسامح في أدلة السنن» نظراً لقوله عليه السلام «من بلغه ثواب»؟[٢]

وهل تفيد (إسقاط شرائط الحجية) أم (الاستحباب) أم (صرف الثواب) أم غير ذلك؟

٤ـ وقاعدة: «اليد» المكنى بها عن الاستيلاء، وكون الشيء في سلطة شخص وفي حوزته وتحت تصرفه.

٥ـ وقاعدة: «على اليد».

٦ـ وقاعدة: «القرعة لكل أمر مشكل» رغم وجود ﴿فَسَاهَمَ﴾[٣] و: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾[٤] إلا أنها حكاية عن قضية خارجية.

٧ـ وقاعدة «التقية بحدودها» فإن أصلها مصرح به في القرآن الكريم ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾[٥] لكن حدودها وشروطها وأزمنتها واستثناءاتها وحكمها الوضعي، بحاجة لـ(استنباط).

(١) وسائل الشيعة: ج١٢، ص٣٠٢، ب١٦١ تحريم تهمة المؤمن وسوء الظن به، ح(١٦٣٦١)٣.
(٢) الكافي: ج٢، ص٨٧.
(٣) الصافات: ١٤١.
(٤) آل عمران: ٤٤.
(٥) آل عمران: ٢٨.

٨ـ وقاعدة «الميسور لا يسقط بالمعسور» لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يترك الميسور بالمعسور»[١] أو: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم».[٢]

٩ـ وقاعدة: «الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم وحقوقهم» والمصطيدة من آية: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾[٣] و: ﴿فَإِن طِبۡنَ﴾[٤] و: ﴿عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ﴾[٥] ومن الأولوية وتنقيح المناط والروايات.

١٠ـ وقاعدة: «من حاز ملك» لصحيحة الباقرين عليهما السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحيى أرضاً مواتاً فهي له»[٦] وغيرها.

١١ـ وقاعدة: «من سبق إلى ما لم يسبقه إليه مسلم، فهو له»[٧] ومفادها (الأولوية) لا (الملك) فلا تغني قاعدتا (الحيازة) و(الإحياء) عنها.[٨]

١٢ـ وقاعدة: «الإلزام» لقوله عليه السلام: «ألزموهم من ذٰلك ما ألزموه أنفسهم»[٩] وإن استفدناه من سورة ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ كما فصلناه في المجلد الأول من التفسير «بحوث في العقيدة والسلوك».[١٠]

---

(١) عوالي اللئالي: ج٤، ص٥٨، ح٢٠٥.
(٢) المصدر: ح٢٠٦ وفيه: «إذا أمرتم بأمر فأتوا منه ما استطعتم».
(٣) الأحزاب: ٦.
(٤) النساء: ٤.
(٥) النساء: ٢٩.
(٦) وسائل الشيعة: ج٢٥، ص٤١١، كتاب إحياء الموات، ب١، ح٥و٦.
(٧) مستدرك سفينة البحار: ج٤، ص٤٥٢.
(٨) فتأمل.
(٩) وسائل الشيعة: ج٢٢، ص٧٣، الباب ٣٠ من أبواب مقدمات الطلاق، ح٥.
(١٠) بحوث في العقيدة والسلوك: ج١، ص٢٨٩.

١٣ـ وقاعدة: «الإمضاء» المستفادة من قول الإمام الرضاعليه السلام: «من كان يدين بدين قوم لزمته أحكامهم»[١] أو: «تجوز على أهل كل ذوي دين ما يستحلون».[٢]

١٤ـ وقاعدة: «الجب» لقولهصلى الله عليه وآله وسلم: «الإسلام يجبّ ما قبله»[٣] و«التوبة تجب ما قبلها»[٤]، وإن استدل لها بـ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[٥] ـ فتأمل.[٦]

١٥ـ وقاعدة: «الغرور».

١٦ـ وقاعدة: «ما يضمن بصحيحه يضمن بفاسده» وبالعكس.

١٧و١٨ـ وقاعدتي:[٧] «الإقرار» وهما: «إقرار العقلاء على أنفسهم جائز»[٨]، و«من ملك شيئاً ملك الإقرار به» وإن استدل لأولاهما بقوله تعالى: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾.[٩]

١٩ـ وقاعدة: «تبعية العقود للقصود».

٢٠ـ وقاعدة: «الطهارة» خاصة في الشبهات الحكمية[١٠]، وغيرها.

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢٢، ص٧٥، ب٣٠، ح١٠.
(٢) المصدر، ج٢٦، ص١٥٨، ح٥.
(٣) مستدرك الوسائل: ج٧، ص٤٤٨، ح٢.
(٤) المصدر: ج١٢، ص١٢٩، ح١٢.
(٥) الأنفال: ٣٨.
(٦) إذ هل تشمل (القضاء) و(التدارك)؟ وهل تشمل (المرتد)؟
(٧) عطف على قوله: مثل قاعدة..
(٨) وسائل الشيعة: ج٢٣، ص١٨٤، ب٣ من أبواب الإقرار، ح٢.
(٩) النساء: ١٣٥.
(١٠) فصلنا الحديث عن ذلك في «مباحث الأصول» القطع الجزء الثاني.

٢١ـ وقاعدة: «المسلمون عند شروطهم» لقوله عليه السلام: «والمسلمون عند شروطهم مما وافق كتاب الله عز وجل».[1]

٢٢ـ نعم، بعض القواعد كقاعدة «الإحسان» ورد فيها نص قرآني صريح: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾.[2]

وهذه القواعد وإن وردت فيها روايات شريفة، أو استفيدت من آيات قرآنية كريمة، إلا أن الشاهد أنها (لم يُصرَّح) بها في القرآن الكريم، كما (لم يُصرَّح) باسم الإمام علي عليه السلام كما قيل.

(١) وسائل الشيعة: ج١٨، ص١٦، ب٦ من أبواب الخيار، ح١.
(٢) التوبة: ٩١.

[١٤]

الجواب الرابع عشر

النقض بـ(المضلات)

النقض بفعل كل ما يضل به بعض الناس، أو التسبيب إليه.

قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾.(١)

و: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾.(٢)

و: ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.(٣)

و: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾.(٤)

ومنه: خلق إبليس، والنفس الأمارة بالسوء، والشهوات، وغير ذلك.

وإذا كان فعله تعالى: (ما يُضِل بعض الناس) لحكمةٍ ولسبب(٥) بل لحِكَم وأسباب، فإن عدم ذكره اسم الإمام علي عليه السلام بالصراحة

(١) الأعراف: ١٥٥.

(٢) النساء: ٨٨.

(٣) الأنعام: ٣٩.

(٤) الرعد: ٢٧.

(٥) وسيأتي تفصيله في الأجوبة الحلية لاحقاً، بإذن الله تعالى، ومنها الأجوبة: ٢٤ـ ٢٥ـ ٢٦.

في القرآن الكريم كما أُدعي هو لنفس الحكم والأسباب، كما سيأتي تفصيله، بل الأمر فيه أسهل وأهون وأوضح.

معنى: أن القرآن تبيان لكل شيء

وقد ظهر لنا بذلك، أن القضية ليست قضية واحدة أو قضيتين أو ثلاثة.

ثم إنك تقول: إن القرآن الكريم جاء ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ ثم تُشكل فتقول: فلماذا لم يذكر اسم علي بن أبي طالب عليه السلام صراحة، لنقرأه جهاراً نهاراً.. وحيث لم يذكره تعالى صراحة، فهو إذن ليس أول خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!

ونجيب: صحيح أن القرآن الكريم (تبيان) ولا ريب في ذلك، ولكنه لم يقل: (إنه تبيان بنص العبارة، وصريح العبارة) لأن القرآن الكريم له ظاهر، وله باطن فهو: (تبيان لكل شيء) لكن تارة بظاهره، وأخرى بباطنه.

أو هو (تبيان لكل شيء) تارة بصريح العبارة، وتارة بظاهرها، وتارة برموزها.

أو أنه: (تبيان لكل شيء) لكن لمن؟[1]

ولا تتوهمنَّ بأن ظاهر القرآن تبيان لكل شيء، ولكل أحد؛ إذ أولاً: ننقض عليك بكل تلك النقوض الأربعة عشرة السابقة وغيرها..

وثانياً: نقول: إن القرآن الكريم إذا كان ظاهره تبياناً لكل شيء، فيجب أن يكون القرآن عشرين مليون مجلد، بل يجب أن يبلغ مليارات

(١) إنه تبيان لكل شيء، للذين نزل القرآن في بيوتهم «صلوات الله عليهم».

المجلدات؛ إذ (كل شيء) لا يُحصى، وهذه الكلمات لا نهاية لها، بل إذا كان الله يريد أن يجعل القرآن تبياناً ـ كما تتوهم ـ صريحاً وبالأدلة المطابقية لكل شيء، فاللازم أن يجعله تريليونات المجلدات، ولا ينتهي أيضاً، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾[1]..

فهو: (تبيان لكل شيء) بظاهره، وبباطنه، وبرموزه وإشاراته وبمفسريه، وهم الذين نزل القرآن في بيوتهم.

وهو: (تبيان لكل شيء) لكن تارة بالدلالة المطابقية، وأخرى بالتضمنية، وثالثة بالدلالة الإلتزامية.

وهو (تبيان)، لكن أحياناً بدلالة (الاقتضاء) وأخرى بدلالة (الإيماء) وأخرى بدلالة (الإشارة).

وهو: (تبيان)، لكن تارة بالصراحة وأخرى بالكناية.

وهو: (تبيان) لكن أحياناً باستخدام الألفاظ الحقيقية، وأخرى باستخدام الألفاظ المجازية.. وهكذا.

فهذه أربعة عشر جواباً نقضياً، ويمكن ذكر أجوبة نقضية أخرى كثيرة، لكن فيما ذكر الكفاية بإذن الله تعالى.

ولننطلق الآن للأجوبة الحلية:

---

(١) الكهف: ١٠٩.

[١٥–١٦]

الجواب الخامس عشر والسادس عشر:

(مقياس الحق والباطل) و(مقياس الأهم والمهم) يحددهما الباري تعالى

الجواب الخامس عشر والسادس عشر: وهما جوابان حلّيان: نحن نسأل أولاً: ما هو (مقياس الحق والباطل)؟

ونسأل ثانياً: ما هو (مقياس الأهمية واللا أهمية)؟

ثم نسأل: هل أنت تحدد تلك المقاييس أم الله يحددها؟!

هل أنت أفهم بالقرآن ـ والعياذ بالله من هٰذا التعبير ـ من الله سبحانه؟!

والجواب بديهي، فإن الله جل اسمه يحدد (مقاييس الحق والباطل)، وهو الذي يحدد (مقاييس الأهمية واللاأهمية) أو (الضرورة واللاضرورة) في القرآن.

فمَنْ الذي قال لك: بأن (ذكر الاسم وعدم ذكره) مقياس الحق والباطل في القرآن الكريم؟!

ومن قال ذلك: بأن (الأهم) هو (ذكر الاسم بالصراحة)؟! فلعل الأهم هو (ذكر الصفات) التي ترشد إلى الإمام، والتي أجمع المسلمون على أنها كانت خاصة بالإمام علي عليه السلام؟

وإليكم بعض البراهين على ذلك:

أ. اسم المهدي المنتظر عجل الله فرجه:

فالإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشيعة والسنة مُجمعون؛ على أنه يخرج في آخر الزمان رجل يصلح به الله العباد والبلاد، ويظهر به العدل والحق، ويملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً..

أجمعوا على ذلك أم لا؟ لقد أجمعوا عليه دون ريب[1]، والخلاف بين الشيعة والسنة ليس في أصل أن «المهدي» سيظهر في آخر الزمن، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وأنه حلم كل الأنبياء والمصلحين والبشرية جمعاء، وإنما الخلاف في بعض التفاصيل، مثل: أنه عجل الله فرجه هل هو حي غائب الآن كما هو الحق، أم إنه سيولد فيما بعد؟

وهكذا.

فلماذا لم يذكر الله تعالى اسمه في القرآن الكريم.؟ كأن يقول: اسمه فلان وسيظهر مثلا بعد ٥٥٥٥ سنة..؟ لماذا لم يذكر الله ذلك، أليست هذه مسألة مهمة وعالمية بل كونية؟!

لماذا لم يتحدث وبصراحة ـ حسب توهمك ـ عنه؟

(١) ففي كتب الأمة حوالي ستة آلاف حديث عن هذا الموعود المنتظر لإصلاح الدنيا، ويندر جداً وجود مثل هذا الكم الهائل من الأحاديث حول قضية واحدة سواء في أصول الدين أم فروعه، فلا يمكن لعاقل إنكاره.

ولكننا نقول: إن الله سبحانه وتعالى تحدث، لكن حسب ما تقتضيه حكمته، وحسب المنهج القرآني المتميز، وبما يكون (حجة) على العباد دون ريب؛ إذ قال: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[1] وقال: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[2]، وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾[3] إلى سائر الآيات القرآنية.

كما قال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[4]، وكما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾[5].

ولكن مشكلتك: أنك تريد القرآن كما تهوى وكما تريد وكما تتوهمه بعقلك القاصر، فتتصور أن (المقياس) عند الله يجب أن يكون ذكر الاسم ولا غير، ولكن الله تعالى هو الخالق، والقرآن كلامه، وليس بناؤه أو دأبه وديدنه في القرآن الكريم على ذكر الأسماء بالضرورة، فأحياناً يذكر وأحياناً أخرى وهي الأعم الأغلب بل شبه المستغرق لا يذكر، وذلك حسب مصالح سنشير لبعضها في الأجوبة اللاحقة، ونبين فيها عدداً من وجوه المصلحة في ذلك..

وتأسيساً على ذلك نكرر السؤال:

لماذا لم يذكر اسم المهدي الموعود أو الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف في القرآن الكريم.؟

---

(١) الصف: ٩.

(٢) الزمر: ٦٩.

(٣) النور: ٥٥.

(٤) المائدة: ٥٥.

(٥) المائدة: ٦٧.

لنفس الأسباب أو ما يقاربها، لم يذكر اسم الإمام علي (عليه سلام الله) في القرآن الكريم.. وكما أن عدم ذكر اسم المهدي المنتظر لا يشكل أبسط خدشة في صحة وجوده وظهوره، بل وبداهة ظهوره آخر الزمن، فكذلك عدم ذكر اسم الإمام علي عليه السلام لا يشكل أبسط خدشة في كونه الولي والإمام والوصي والقائم بالأمر والخليفة بلا فصل، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ب. أسماء الأنبياء (على نبينا وآله وعليهم السلام)

وقبل ذلك، لماذا لم يذكر الله تعالى أسماء ألوف الأنبياء في القرآن الكريم؛ إذ هنالك (١٢٤٠٠٠) نبي على قول، ولم يذكر القرآن إلا عشرين ونيفاً منهم فقط؟

وأنت تتصور أن الله سبحانه إذا ذكر اسم شخص أو شيء في القرآن الكريم صار هو (الأهم)، وإنّ ما لا يذكر اسمه يكون من (المهم) أو (الهامشي)؟! إنه توهم عليل جداً وباطل؛ لأنه قد يكون شيء في الدرجة الدانية ومع ذلك يذكره القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا﴾.(١)

ثم إنه لا قياس بين أنبياء الله ورسله وبين (نملة) حيث ينقل الرب تبارك اسمه قولها، ولا ينقل اسم ولا حياة ولا أقوال أكثر الأنبياء.

ولا قياس بين المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، والذي ينتظر ظهوره المبارك عامة الشيعة والسنة بل أكثر البشرية، وبين (هدهد سليمان) حيث ينقل

---

(١) البقرة: ٢٦.

الرب صوراً عن قضيته: ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾[1] ﴿فَقَالَ أَحَطتُ﴾[2] فإنه ومع قطع النظر عن مكانة (الهدهد) بالقياس (للإنسان) فكيف بالقياس (للمهدي المنتظر) فإن قضيته كذبحِهِ عقوبةً بل حتى إخباره عن ملكة سبأ قضية لا تقاس من حيث الأهمية والشمولية والعالمية بقضية المهدي المنتظر.

فليس المقياس لـ(ما هو حق وما هو باطل) ولا المقياس (للأهمية واللاأهمية)، ذكر الله للأسماء، فالمهم أن يذكر المعالم والصفات والضوابط، والمهم أن يعطيك المقاييس الكلية للحق والباطل.

وهذه الإجابة سيأتي ـلاحقاًـ تفصيل الحديث عنها، بإذن الله تعالى، فإن الله يريد أن تُعمل عقلك وتفكر، ولا يريد أن تكون (حرفياً) أو (ظاهرياً) أو ذا عقلية جامدة قدت من صخر.

ج. أسماء السور القرآنية

كما أنه ليس وضع اسم شخص أو شيء، عنواناً لسورة قرآنية كاملة أو عدمه، هو المقياس (للحق والباطل) أو المقياس (للأهمية وعدمها)، فالله في القرآن الكريم لم يسمّ سورة باسم النبي موسى، ولا سمّى سورة باسم نبيه عيسى، ولكنه سمّى سورة باسم مريم، مريم أهم أم النبي عيسى؟! عيسى نبي من أولي العزم، والسيدة مريم ليست كذلك، ومع ذلك هناك سورة كاملة تحمل اسمها!

هل اتضح لك الآن: أن (الاسم) ليس هو المقياس؟!

---

(١) النمل: ٢٠.

(٢) النمل: ٢٢.

وكذلك نجد في القرآن الكريم سوراً بأسماء: «الفيل» و: «النمل» و: «التين» وما أشبه ذلك، فهل هٰذه صارت أهم من «موسى» و: «عيسى» و: «آدم أبي البشرية»، الذين لم يسمّ الله تعالى، سورة في القرآن بأسمائهم؟

د. تكرار اسم النبي موسى عليه السلام أكثر من اسم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

كما أن (العدد) و(التكرار) وعدمه ليس هو المقياس، فإذا ذكر الله اسم شيء خمس مرات، هل يكون أهم من ذٰلك الذي ذكر اسمه مرة واحدة.؟ أو يعد مؤشراً على أنه أقل أهمية من الذي ذكر اسمه أكثر من مائة مرة ـ مثلاً ـ ؟!

ولنتأمل معاً في المثال التالي: فإن نبي الإسلام وخاتم الرسل وأفضل أنبياء الله بل أفضل كافة خلائق، الله قد ذكر في القرآن الكريم اسمه (محمد) صلى الله عليه وآله وسلم، أربع مرات فقط، ومع أسمائه الأخرى، مثل أحمد، وطه، ويس.. ربما يكون قد ذكر حوالي عشر مرات، ولكن اسم النبي موسى ذكر (١٣٦) مرة في القرآن الكريم.. فهل صار النبي موسى أهم لأن اسمه ذكر أكثر؟! لماذا يذكر الله اسم (موسى) أكثر بكثير من اسم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إن ذٰلك لسبب آخر لا يرتبط أبداً بأهمية أو درجة أهمية الشخصية التي جرى الحديث عنها.

كما أن اسم (عيسى) مذكور في القرآن الكريم (٢٥) مرة، أ عيسى أهم أم الرسول المصطفى (على نبينا وآله و عليهم السلام أجمعين)؟

والخلاصة: إنه ليس ذكر الاسم، ولا تكرار ذكر الاسم، ولا عدد مرات ذكره، ولا إفراد سورة بإسمه، وأشباه ذٰلك أو عدمه، حسب الحكمة الإلهية وحسب المعادلات التي قررها الله تعالى في القرآن

الكريم، (مقياس الحق والباطل)، ولا (مقياس المهم واللامهم، أو المهم والأهم).

والأمثلة على ذٰلك كثيرة وقد اقتصرنا على نماذج منها فقط، وللمتتبع أن يلاحظ الكثير من أمثالها.

[١٧]

الجواب السابع عشر

لو ذكر الله اسم (الصادقين) لما انتهى الخلاف

الجواب السابع عشر الحَلّي، هو: إنك تقول: لو ذكر الله سبحانه وتعالى اسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم، أو اسم (الصادقين) عليهم السلام لانقطع الخلاف وتوحدت كلمة الأمة واجتمعت على كلمة واحدة سواء، لكنه لم يذكر، فحدث الخلاف، مما يكشف أنه تعالى لم ينصب علياً عليه السلام الخليفة بلا فصل بعد رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم !![١]

والجواب من وجوه منها[٢]: (إنكار الملازمة) إذ لو ذكر الله اسم الإمام علي واسم سائر الأئمة الأطهار (صلوات الله عليهم) لما انقطع الخلاف، وإليكم بعض البراهين:

---

(١) وبعبارة أخرى: الله لطيف بعباده، رؤوف رحيم، ولو ذكر أسماءهم لزال الخلاف والشقاق والنزاع، وإزالة الخلاف مقتضى لطف الله ورحمته، وحيث لم يذكر أسماءهم كشف ذلك بالبرهان الإني عن عدم نصبهم الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله!!

(٢) ومنها ما سنذكره في الأجوبة: ٢٤ـ ٢٦، ومنها أجوبة أخرى مذكورة في مطاوي الكتاب لاحقاً، بإذن الله تعالى.

أ. سورة ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾

سورة ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ أين نزلت، وفيمن نزلت؟

ولنتساءل: أليس اسم (النبي الأعظم محمد المصطفى)ﷺ، مذكوراً في القرآن الكريم، ومع ذلك كان ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ ضد رسول الله شخصياً؟ اسم الرسول موجود في القرآن الكريم ومع ذلك، الإنكار موجود، والنفاق موجود، والكفر المبطن موجود، والكفر المعلن موجود!!

إذاً، لا يوجد تلازم بين أن يذكر الله فلا نختلف، أو لا يذكر فنختلف؛ وذلك لأن الإنسان الصالح الذي طينته طينة طيبة سيهتدي أخيراً مهما كان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾[1] كما وأن الذي طينته طينة خبيثة سيبقى ضالاً مهما كان، كأمثال أبي لهب.

قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾.[2]

فمع أن اسم رسول اللهﷺ جاء في القرآن الكريم بصريح القول، مع ذٰلك ما أكثر المنافقين في ذٰلك الزمن؟

وما أكثر الكفار حينذاك، وفي هٰذا الزمن أيضاً؟

بل هم أكثرية العالم.

فليس الأمر ـ كما تتوهم ـ من أنه لو ذكر الاسم بالصراحة لارتفع الخلاف، كلا.. حتى لو ذكر الاسم فإن من يبقى للأخير منكراً ويموت على الإنكار، فإنه كان سيبقى منكراً ويموت على الإنكار حتى لو صرح

(١) الأنبياء: ١٠١ـ١٠٢.

(٢) المنافقون: ١.

الله له بالاسم، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾[1].

وقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾[2]

وقال: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾.[3] وتفصيل الكلام حول هذه الآيات ووجوه الاستدلال بها يعرفه اللبيب، ونوكله للكتب الكلامية المفصلة، ولعلنا نتطرق له في بحث قادم إذا شاء الله تعالى.

ب. أوقات الصلوات الثلاثة

مثال آخر: أوقات الصلوات كم هي، أ هي خمسة أم ثلاثة؟ هم يقولون: هي خمسة وليست ثلاثة، إلا إذا كنت على سفر، أو عند نزول المطر، أو ما أشبه ذلك، ونحن نقول هي ثلاثة، ويحق لك أن تصليها في خمسة أوقات، ولا مُشكلة فأنت مُخيَّر بين الثلاثة والخمسة. لكن الله في القرآن الكريم ذكر ثلاثة أوقات فقط، قال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾،[4] وغسق الليل في معناه قولان، الأول: (الظلام)، والثاني: هو (شدة الظلام)، وعلى أي تقدير، فالله لماذا لم يذكر خمسة أوقات؛ كي لا يقع خلاف في الأمة!

(١) نوح: ٧.
(٢) المؤمنون: ٩٩-١٠٠.
(٣) الأنعام: ٢٨.
(٤) الإسراء: ٧٨.

وذلك بأن يقول: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ ولوقت العصر، ولوقت المغرب، ولوقت العشاء[١] ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾!

بل الأمر بالعكس؛ إذ الله ذكر في القرآن الأوقات الثلاثة فقط، ومع ذٰلك تجد هٰذا الخلاف الطويل والعصيب في الأمة.. بل تجد إن أغلب المسلمين عددياً صاروا الى عدم كفاية هٰذه الأوقات الثلاثة، بل عدم صحة الصلاة إلا في الأوقات الخمسة.

إذن، مَنْ قال لك: إنه إذا ذكر الله أسماء ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في القرآن الكريم لارتفع الخلاف؟! فإن الله تعالى ذكر كثيراً من الحقائق والأحكام وبعض الأسماء في القرآن الكريم ولم يرتفع الخلاف في الأمة الإسلامية، حتى يومنا هذا، وسوف لا يرتفع حسب الظواهر إلى يوم ظهور القائم من آل محمد «صلوات الله عليه وعليهم أجمعين».

ج. التجسيم ورؤية الله سبحانه

كما أن الله جل اسمه وتعالى صرح وقال لموسى الكليم(على نبينا وآله و عليه السلام): ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[٢]، ولكنكم تقولون:أنه شاب أمرد، وأنه يُرى، بل وأكثر من هذا، تقولون: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا على حمار..!!

ويقول سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٣] وهذه عبارة صريحة في أنه لا شيء مثل الله تعالى، ثم تقولون بالتجسيم، وأنه تعالى يضع رجله في النار حتى تمتلأ ،كما في «صحيح البخاري» وغيره!! بل إن أحد

---

(١) بدل أن يقول: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ كان يقول: (ولوقت المغرب ولوقت العشاء) لأن غسق الليل وقت واحد شامل للصلاتين.

(٢) الأعراف: ١٤٣.

(٣) الشورى: ١١.

علمائكم يقول: اسألني عن كل شيء ـ عن الله ـ إلا العورة ـ والعياذ بالله ـ..[1]

فمَنْ قال إن الله لو ذكر اسم الشخص في القرآن الكريم لارتفع الخلاف، أو لو ذُكِر شيءٌ بالصراحة في القرآن الكريم لارتفع الخلاف؟

كلا، الخلاف يبقى، كما بقي في موارد عديدة، منها ما ذكرناه من أنه رغم أنه تعالى صرح بـ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ لكنكم تقولون بالتجسيم، وغير ذلك.

(١) يقول ابن العربي في «كتابه العواصم من القواصم»: وأخبرني من أثق به من مشيختي، أن القاضي أبا يلعى محمد الحسين الفراء الحنبلي رئيس الحنابلة ببغداد، كان إذا ذكر الله تعالى يقول وما ورد في صفاته تعالى: ألزموني بما شئتم فإني ألتزمه إلا اللحية والعورة. وانتهى بهم القول إلى أن يقولوا: إن أراد أحد أن يعلم الله فلينظر إلى نفسه فإنه الله بعينه إلا أن الله منزه من الآفات. العواصم من القواصم: ج٢ ص٢٨٣ ط١ تركيا.

[١٨]

الجواب الثامن عشر:

كلام الرسول(ص) في (الحجية) كالقرآن الكريم

الجواب الثامن عشر: إن كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في (الحجية) مثل القرآن الكريم نفسه في (الحجية)، ولذلك لا ضرورة لأن يذكر الله كل شيء بالصراحة التي تطلبها وكما تطلبها في القرآن الكريم، فإن ما ذكره الله في القرآن الكريم (حجة) يجب الأخذ به، وما ذكره الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم أيضا (حجة) بنص القرآن الذي قال عنه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[١] وقال الله تعالى عنه «صلوات الله عليه»: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾.[٢]

والروايات الدالة على تصريح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، باسم علي بن أبي طالب عليه السلام وأنه خليفته وأنه الولي وأنه منه (بمنزلة هارون من موسى) وغيرها، هي بالمئات بل الألوف، وقد بلغت أعلى درجات التواتر.

(١) الحشر: ٧.

(٢) النجم: ٤.

وللقارئ الكريم أن يراجع كتاب «الغدير» للعلامة الأميني قدس سره و«ليالي بيشاور» للعلامة السيد محمد الموسوي الشيرازي قدس سره و: «المراجعات» للعلامة السيد شرف الدين قدس سره.[١]

لكن نكتفي في هٰذه العجالة بالإشارة إلى رواية واحدة فقط.

من روايات أهل الخلاف حول (إثني عشر خليفة)

إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم -بتصريحكم وباعترافكم- صرح بأن هنالك اثني عشر أميراً، أو خليفة، أو ما أشبه، وصرح بأن «كلهم من قريش».. وهذا ليس كلامنا فقط، بل هو موجود في «صحيح البخاري»[٢]، وفي «صحيح مسلم» هناك بعض الروايات في هٰذا الحقل.

وإليكم إحدى الروايات: قال دخلت مع أبي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسمعته يقول: «إن هٰذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة»، قال: ثم تكلم بكلام خفي، فقلت لأبي: ماذا قال؟ قال (يعني الرسول): «كلهم من قريش».

الرواية الثانية عن جابر بن سمرة، يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش».[٣]

---

(١) وأيضا بعض الكتب المكتوبة مؤخراً مثل «ثم اهتديت» و«لأكون مع الصادقين» و«وركبت السفينة» وغيرها.

(٢) في «صحيح البخاري» حسب الطبعة التي بأيدينا المجلد الأول صفحة ١١٣ وفي «صحيح مسلم» في باب الناس تبع لقريش والخلافة لقريش والخلافة في قريش

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأحكام المجلد الثاني صفحة ١٢٧.

وإليكم رواية ثالثة في هٰذا السياق، يقولﷺ: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة..».[١]

إذاً، هٰؤلاء الإثنا عشر، لهم الإمتداد على مرّ الزمن إلى يوم القيامة، وليسوا محدودين بزمن الأمويين والعباسيين والعثمانيين وغيرهم: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش».

والحاصل: إن الله تعالى إذا ذكر شيئاً، ثم أوضحه الرسولﷺ وبيّنه وفصّله، أو عيّن مصداقه، فإن إيضاحهﷺ في الحجية بقوة أيٍّ تصريح يوجد في القرآن الكريم، بنص القرآن الكريم كما في الآيات المتقدمة..

فتح البيت الأبيض

وختاماً نذكر مثالاً آخر، إذ نتسائل: لماذا لم يذكر الله تعالى في القرآن الكريم، هٰذا (النبأ الغيبي)، الذي أخبر به رسول اللهﷺ رغم أهميته الكبرى وهو مذكور في كتبكم وبعض صحاحكم: «عصيبة من المسلمين يفتتحون البيت الأبيض» أليس هٰذا مهماً؟ وهذا يعد تتمه للجواب النقضي الأول؛ إذ أليس أمراً إعجازياً وغريباً أن النبيﷺ يقول: «عصيبة من المسلمين يفتتحون البيت الأبيض؟!» علماً بأن (البيت الأبيض) بنُي بعد هٰذا الخبر بمئات السنين.

وحتى الآن لم يتحقق هٰذا الخبر كما هو واضح، لكنه سيتحقق ربما بعد ألف سنة، وربما بعد سنين والله العالم.

---

(١) صحيح مسلم: ج٦، ص٤، وفي مضمونه في مسند أحمد: ج٥، ص٨٦ و٨٨ و٨٩.

النتيجة:

إن الله تعالى قد أمرنا في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ بأن نكون مع ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، لكنه ﷻ، لحِكم وجهات ومصالح سنذكر عدداً منها لاحقاً، لم يذكر حسب رأي[1] أسماء ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ بحروف الهجاء، وإنما ذكر صفاتهم وخصائصهم وعلاماتهم، وهذا لا يلغي وجوب الكون معهم، بل يؤكد ضرورة البحث عنهم والتعرف عليهم، فيجب علينا أن نكون كما أمرنا الله ﷻ: ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وإلا كنا مع الآخرين: ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أو ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾..

أعاذنا الله وإياكم من همزات الشياطين ومن إتباع الضالين المضلين..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين..

(١) ستأتي إجابات أخرى في هذا المجلد والمجلد اللاحق، توضّح أن اسم الإمام علي عليه السلام مذكور في القرآن الكريم.

[٢]

(وكونوا مع الصادقين)

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين بارئ الخلائق أجمعين باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يقول الله سبحانه، وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(١)

موجز البحوث الماضية

ذكرنا في الأبحاث الماضية أن الكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ واجب بأدلة خمسة تُستفاد كلها من هٰذه الآية القرآنية الكريمة، وهنالك أدلة أخرى عديدة تستفاد من مواطن أخرى أيضاً.

وقد طرحنا في البحوث الماضية التساؤل الذي قد يثار، وهو: لماذا لم يُصرِّح الله ﷻ باسم ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ الذين أمرنا بإتباعهم بصريح هٰذه الآية الشريفة؟ وهل هٰذا إلا نوع إحالةٍ على المجهول قد يتوهمه متوهمٌ من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾؟ خاصة إذا أراد شخص أن يضيف: إن في هٰذا نوعاً من تأخير البيان عن وقت الحاجة..(٢)

قلنا: هٰذا الإشكال إشكالٌ سيَّال، وهذا التوهم توهم متعدد الأبعاد والمصاديق؛ لأنه قد يتساءل المرء ـ إضافة لهذا السؤال ـ وهو: لماذا لم يذكر الله تعالى اسم ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ الذين أمرنا بإتباعهم وهم: الإمام علي بن أبي طالب، والإمام الحسن المجتبى، والإمام الحسين

(١) التوبة: ١١٩.

(٢) وجوابه: أنه لا يشترط في (البيان) أن يكون من نفس الآمر أو في نفس كتابه أو في نفس اليوم، إنما المهم أن يكون غير متأخر عن وقت الحاجة، فيكفي أن يكون من الآمر أو وكيله أو غيرهما أو في كتاب آخر له أو في وقت أو مكان أو نحوٍ آخر.. و(الرسول)ﷺ قد صرح بالأسماء، حتى قبل وقت الحاجة من غير ضرورة لبيان الأسماء في خصوص القرآن، كما أوضحنا هٰذا الجواب سابقاً، وأشرنا لجواب آخر يتعلق بالصفات أيضاً، وكما ستأتي إجابات أخرى لاحقاً، بإذن الله تعالى.

سيد الشهداء، والإمام علي السجاد، والإمام محمد الباقر، والإمام جعفر الصادق والإمام موسى الكاظم والإمام علي الرضا والإمام محمد الجواد والإمام علي الهادي والإمام الحسن العسكري والإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه من آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)؟

إضافة إلى هٰذا السؤال، قد يُتساءل على هٰذا الغرار: لماذا لم يذكر الله سبحانه وتعالى بصراحة اسم (الاقتصاد الإسلامي) ويقول إن هنالك اقتصاداً إسلامياً، وأن حدوده وضوابطه ومفرداته، كذا وكذا؟

ولماذا لم يرفض الله تعالى بصراحة ويردّ بصريح العبارة نظريات باطلةٍ بديهية البطلان، لكنها اشتهرت في كثير من الأمم ومنها نظرية (وحدة الوجود) و(وحدة الموجود) مثلاً، وهي تمسُّ الذات الإلٰهية بالمباشرة؟

ولماذا لم يردّ الله سبحانه وتعالى على الكثير من الشبهات الأخرى التي يمكن أن تورد على القرآن الكريم نفسه مثل الشبهات التي تطرح في علم الألسنيات، و(الهرمينوطيقيا) أو ما أشبه ذلك..؟

فالإشكال المتوهَّم سيّال، لكن حيث كان حديثنا حول ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، وحول لماذا لم يُصرَّح باسمهم، ولم تذكر أسماؤهم صراحة؟

فإننا سوف نركِّز الأجوبة على هٰذا الجانب، مع بعض الاستطراد لتلك الجوانب.

وإن مجموع الأجوبة التي خطرت بالبال القاصر حتى الآن عن هٰذا السؤال؛ لماذا لم يصرح باسم الإمام علي وبقية الأئمة الإثني عشر عليهم السلام في القرآن الكريم؟

هي خمسة عشر وجهاً وجواباً[١]، ولعلنا وكل مفكر، أو متدبر، أو متأمل، يكتشف المزيد من الأجوبة بالغوص أكثر في البطون القرآنية، والتفكر في خلق الله والحِكَم الكامنة وراء الخلقة.

وقد أشرنا إلى مجموعة من الأجوبة في البحوث السابقة، ونضيف بعض الأجوبة في هٰذا البحث حسب ما يسِّره لنا الله تعالى في هٰذه الليلة.

وكما ستجدون، فإن بعض هٰذه الأجوبة سيّال أيضاً، أي بعضها خاص بموطن السؤال، وبعضها سيال، أي إنه يشكل الإجابة على مثل: لماذا الاقتصاد الإسلامي لم يذكر بصراحة؟ ولماذا لم يصرح بحقوق المرأة، وصلاحياتها، وأنها تصلح للقضاء، والمرجعية، ورئاسة الدولة أو لا وما أشبه ذلك..؟

ولماذا لم يتحدث عن السياسة الإسلامية بأبعادها جميعاً؟ وهل توجد في الإسلام أحزاب أو لا؟ وهل الأحزاب جائزة أم لا؟ وغير خفي أن الأحزاب في سورة ﴿ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ لا يقصد بها، الأحزاب بالمنطق العصري أو بالهيكلية والخصوصيات الحديثة..

---

(١) (التكامل) هو سنة الله تعالى في (الحياة) وكما تتكامل الموجودات بما ندركه أو لا ندركه... كذلك تتكامل (الأفكار والبحوث والأجوبة والحلول)، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ﴾ «الحج: ٥» وقال ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ «الأنعام: ٥٠». وكذلك تكاملت هٰذه الأجوبة النقضية والحلية، بمرور الزمن كماً وكيفاً وجهةً، وذلك عبر التدبر الأكثر في الآيات الكريمة والروايات الشريفة، وباستنطاق متواصل (للعقل) وباستخدام أساليب (التفكير الإبداعي) وبالسير (الآفاقي) و(الأنفسي)، إذ يقول تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ «فصلت: ٥٣».

وهكذا كانت الإجابات في البداية حوالي عشرة أجوبة، ثم وفق الرب الجليل لإضافة مجموعة أخرى.. ثم حزمة ثالثة ورابعة.. وهكذا.. حتى بلغت ولله الحمد وله الفضل والمنّ مائة وعشرة أجوبة.

ولعل الرب الكريم يوفق لإيصالها إلى ٣١٣ جواباً أو يقيض الرب الكريم من يوفقه لذلك، إنه الجواد الواسع والهادي النافع.

وهل هناك نظام فصل السلطات، أو لا؟ وأين يوجد ذٰلك من القرآن في ظاهره أو باطنه؟

وقد ذكرنا من ضمن الأجوبة، أن الله سبحانه وتعالى ليس من منهجيته في القرآن الكريم، اعتبار (مقياس الحق والباطل) ذكر الاسم، وعدم ذكره، كما لم يجعل (مقياس الأهمية) ذكر الاسم، وعدم ذكره.. وقد أشرنا إلى ذٰلك بالتفصيل سابقاً..

وتطرقنا قبل ذٰلك إلى إجابة أخرى هي: إن كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كالقرآن الكريم في الحجية تماماً؛ لأن القرآن يؤكد على حجية كلام الرسول بنص لا لبس فيه، حيث يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.[1]

ويقول: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾.[2]

بعد هٰذا الاستعراض الموجز لما مضى من البحوث، ننطلق إلى:

(١) الحشر: ٧.

(٢) النجم: ٣ـ٥.

[١٩]

الجواب التاسع عشر

تعظيم دور (العقل) والإرجاع له

الإجابة التاسعة عشرة على هٰذه الشبهة، وهي: لماذا لم يُصرِّح الله سبحانه وتعالى باسم ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، الأئمة الاثني عشر عليهم السلام في القرآن الكريم.؟

هي إجابة عامة وسيّالة أي إنها تشكل الإجابة على الأسئلة السابقة التي طرحت أيضاً.

نقول: إن الله تعالى أراد (تكريم) الإنسان بـ(تعظيم دور عقله) و(إعطائه قيمة كبرى ومحورية أساسية).

فإنه سبحانه وتعالى بنص القرآن الحكيم، وعبر الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، كرَّم الإنسان، إذ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.[١]

(١) الإسراء: ٧٠.

الفرق بين الأمة الإسلامية والأمم السابقة

وقد تعلقت مشيئته تعالى بتكريم الإنسان بـ(تعظيم دور العقل أكثر فأكثر).

وهذه فلسفة إلهية في عصر خاتم الرسل صلى الله عليه وآله وسلم، وأما الأمم السابقة فمستواهم العقلي والذهني كان ـ إلى حدٍّ ما ـ منخفضاً، ولذا أحيلوا إلى إعجازات من نمط آخر، لم يكن يحتاج فهمها وهضمها إلى قدرات عقلية أو ذهنية خاصة، بل لعلها أو بعضها لم تكن تحتاج حتى إلى التفكير العادي، وذلك لشدة وضوحها وجلاءها، فمثلاً في زمان عيسى المسيح عليه السلام كان الإعجاز (طبياً)، قال الله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾.[1]

فكان السيد المسيح يُبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، وهذه المعجزة ظاهرة للعيان، يفهمها القروي، والجامعي، وأما (القرآن الكريم) فهو إعجاز عقلي وعلمي، فإن القرآن ـ بالحقيقة والواقع ـ معجزة وأية معجزة.. ولكن فهم إعجازه يستلزم من الإنسان أن يُشغل عقله، ويُفكر جيداً، حتى يعرف أن هٰذا القرآن معجزة، وأن هٰذا الكتاب الحكيم ليس كبقية الكتب؛ لأنه كلام الله تعالى، للإعجاز المتعدد الأبعاد الذي يتجلى فيه، بل اللامتناهي الأبعاد بنحو (اللامتناهي اللايقفي)..

فالله سبحانه وتعالى في عهد خاتم الرسل صلى الله عليه وآله وسلم أراد تعظيم دور العقل أكثر فأكثر، وإعطاء محورية أساسية للعقل في الحياة؛ فلذا نجد أن الإسلام

---

(١) آل عمران: ٤٩.

فسح المجال، بل فتح الأبواب على مصاريعها للتفكير والتأمل والتدبر، ودعى إلى ذٰلك وحرّض وأكّد أشد التحريض والتأكيد..

ولأجل ذلك، لم يكن القرآن بأجمعه (نصوصاً قطعية الدلالة)، بل إن (النصوص) في القرآن الكريم قليلة، بل القرآن يتكون من (نصوص)، ومن (ظواهر) يحتمل فيها التخصيص والتقييد، والحقيقة والمجاز، وهذا المصداق أو ذاك في المشترك المعنوي، ومن (مجملات) أو (متشابهات) ومنها المشترك المعنوي، كما في (ثلاثة قروء).

كما أن باب (التفسير) فيه و(التأويل) باب واسع، على أن لكل منهما ضوابط وأُطُراً ومقاييس، مَن تخطاها ضل وأضل وفسد وأفسد، إلى غير ذٰلك من العناوين والمحتملات المختلفة، التي سنشير لها لاحقاً..

(معركة الأنبياء عليهم السلام)

إن معركة الأنبياء عليهم السلام في هٰذه الحياة كانت على مرِّ التاريخ معركة تحرير العقل من الأغلال والقيود والمسبقات والمخلَّفات الآسِرة للعقل، من عادات وتقاليد وتبعيةٍ عمياء للآباء والأجداد، وغيرها، فكانت معركة (تعظيم دور العقل)، وإعطاء قيمة محورية للعقل في الحياة البشرية، هي من أهم أركان حركة الأنبياء، كما يشير لهذه الحقيقة أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «**فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ وَ وَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَ يُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ وَ يَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَ يُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَ يُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ**».(١)

(١) نهج البلاغة الخطبة الأولى، ونعرف من كلامه «صلوات الله عليه» أن (الغرض) من بعثة الأنبياء عليهم السلام كان إضافة إلى إثارة دفائن العقول، (إيقاظ الفطرة)، (التذكير بالعهود الماضية)،

إن ذٰلك (أي تعظيم دور العقل وتكريسه) كان مسؤولية أساسية وجوهرية للأنبياء عليهم السلام، ولكن لماذا؟

لأن إثبات وجود الله سبحانه وتعالى ـ على عظمته ـ هو بالعقل؛ إذ أن مَن لا عقل له، كيف يعرف الله سبحانه وتعالى؟! ولذا نجد أن القرآن الكريم يستند للبراهين العقلية، كما في قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1]

إنه دليل عقلي يسوقه القرآن الحكيم، وهكذا وهلُمَّ جراً..

إذن، العقل له دور محوري جوهري ثبوتاً وإثباتاً.

ومما يؤكد ذٰلك ويدل عليه: أننا نلاحظ أن في القرآن الكريم قد وردت كلمة ﴿يَعْقِلُونَ﴾ بمشتقاتها المختلفة في القرآن الكريم (٤٩) مرة لماذا.؟ لأن العقل له دور محوري، جوهري، وأساسي، ولولا العقل لما عُبد الرحمٰن، ولولا العقل لما كان تكليف أصلاً.. فأنت بالعقل تعبد الله سبحانه وتعالى، وأنت بالعقل تعرف أنه لابدَّ من إرسال الرسل، وأنت بالعقل تعرف قبح إجراء المعجزة على يد الكاذب، وهكذا..

إن الله سبحانه وتعالى لم تتعلق مشيئته بأن يجعل منّا مجموعة من العبيد الجهلة، الذين لا يمشون إلا بنصٍ حرفي دقيق إلى أبعد الحدود، كلا؛ بل الله سبحانه وتعالى أطلق الكلام ونوّع، فكان كلامه بين (نصوص) و(ظواهر)، وكان منه (المجمل) و(المبين)، و(المحكم) و(المتشابه)، وهكذا..

(الإحتجاج) و(جلاء العمى عن القلوب) برؤية آثار القدرة، ولذلك مجال واسع للبحث لعلنا نوفق له في إحدى البحوث القادمة، بإذن الله تعالى.

(١) الأنبياء: ٢٢.

وهل ذكر (الاقتصاد الإسلامي) في القرآن؟

وعوداً على تساؤل: لماذا لم يذكر الله تبارك وتعالى الاقتصاد الإسلامي في القرآن.؟

نجيب: ومَنْ الذي قال أنه تعالى لم يذكره.؟! إن الله تعالى ذكر الاقتصاد الإسلامي، ومواده وبنوده، ولكنه لم يكن بحاجة ليذكر هذه الكلمة، وهذا المصطلح حرفياً..

نعم.. إنك إذا كنت تتحدث إلى (طفل) عمره تسع سنوات ـ مثلاً ـ في المدرسة، فإنك ستتكلم معه بـ(النصوص) فقط، وتقول: هنالك اقتصاد إسلامي، لكن الله يكلم (العقلاء)، ويريد منا أن نكون عقلاء ونفكر، فلا حاجة في إفهامه تعالى مراداته لنا، لأن يقول لنا بالنص: أن هنالك اقتصاداً إسلامياً. ولا يحتاج أن يقول لنا بعبارة نصية حرفية: إن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام؛ بل إنه جل وعلا يُعطيك (الضابطة)، يعطيك (المقياس)، يعطيك (القاعدة)، يعطيك (المصباح) و(الهدى) و(الدلالة) وأنت سر وراء ذلك تهتدي، وستعرف الإجابة واضحة جلية.. وإلا فلِمَ خلق الله (العقل)؟! ولِمَ خلق القدرة على (التفكير) و(التأمل) و(التدبر)؟!

الإكراه الأجوائي

وببعض التفكير والتدبر في القرآن الكريم نجد: أن قواعد الاقتصاد الإسلامي موجودة في القرآن الكريم، وإليكم الآية التالية ـ كإشارة فقط لذلك ـ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم

﴿بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ﴾[1] هٰذه قاعدة عامّة، ويمكن أن نستنبط منها العشرات من المسائل الفقهية؛ وقد ذكر عدداً منها السيد الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المجلد ١٠٧ و١٠٨ من موسوعة «الفقه» كتاب (الاقتصاد)، ومنها: أننا من هٰذه الآية قد نستنبط أن (الإكراه الأجوائي) محرم تكليفاً وغير نافذ وضعاً فمثلاً: يستفاد من هٰذه الآية (حرمة) وبطلان تواطئ خطوط الطيران، أو سائر وسائل النقل العام الصغيرة والكبيرة، بل عامة الشركات بمختلف أنواعها، على رفع السعر بشكل غير طبيعي، فأنت ـ مثلاً ـ تريد شراء بضاعة ما أو تريد أن تركب سيارة أجرة، والأجرة المتعارفة لهذه السيارة، أو الباص، هي الخمسون فقط، فإذا اتفق السائقون فيما بينهم على أن يرفعوا الأجرة من الخمسين، إلى ألف، وأنت مضطر لركوب السيارة.. فهل تدفع أم لا؟ إنك لو اضطررت فستدفع حتماً.

وذلك كما لو كانت لديك حالة مرضية حرجة، وأنت مضطر لعملية جراحية عاجلة، أو شخص مصاب ـ لا سمح الله ـ بجلطة دماغية، أو قلبية، ولابدَّ من إيصاله للمستشفى فوراً، ولكن السائقين اتفقوا على سعر موحد وقد رفعوه ألف أو ألفين بالمائة، ولا يوجد بديل، فإنك ستدفع حتماً، ولعلك تتوسل بهم ليوصلوك، لكن برضى ثانوي، أي برضى اضطراري، وبدون رضى أو طيبة نفس مبدئية، وهي المنصرف من الآية؛ إذ الآية تقول: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ﴾، ولا تراضي أوليّ هنا بل هو (إكراه أجوائي)، إذ صحيح أن السائق لم يكرهك على الركوب معه، إلا أنه صنع أجواءً كنت معها مكرهاً على الركوب، فهذه الآية نستنبط منها: أنه ليس لك حق أن تتفق مع الآخرين على سعر مجحف..

---

(١) النساء: ٢٩.

بل نستفيد هٰذا الحكم من صدر الآية: ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ فإن مثل ذٰلك أكل للأموال بالباطل.

صحيح أن سائق السيارة يقول: أنا لا أجبرك على الركوب معي، وأنت ليس لك أن تجبرني على أن أقلك بسيارتي إلا كما أريد، وأنا أريد هٰذا الأجر المرتفع فإن أحببت فأهلاً وسهلاً، وإلا فإبحث عن غيري..

لكنك تقول للسائق: أنت لا يحق لك ذٰلك ولا يجوز؛ إذ الإكراه الأجوائي مرفوض وممنوع، استناداً لكلتا الجهتين في الآية الشريفة.

وبذلك يظهر: أنه لا ضرورة لأن يصرح الله تعالى في القرآن بالنص الحرفي الصريح أن الإكراه الأجوائي مرفوض وممنوع ومحرم، وأن حقوق العمال محفوظة في الإسلام، بل تكفي تلك الآية، أو قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ كما وتكفي رواية: «لا ضرر ولا ضرار» على كل الأطراف..

لهذا قلنا: إن الله تعالى لا يتكلم مع رجال لا عقول لهم، أو لا يريدون تشغيل عقولهم، بل يخاطب أناساً أراد منهم أن (يعقلوا) أراد منهم أن (يتعقلوا)، لماذا يقول الله تعالى ويكرر: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟ وكان له أن يقول: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ويقتصر على ذلك؟

بل إن الله تعالى استخدم (سمع) أحياناً في ضمن صيغة الاستماع، فقد أمرنا بالاستماع، بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.[1]

(١) الزمر:١٨.

لذا عليك أن تفكر وتعمل عقلك أيها الإنسان، فالله ربك يقول لك: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[1]، فمَن هو هٰذا الولي؟

وفي مَن توجد هٰذه الخصوصيات المذكورة في الآية الشريفة؟

إذن، هناك أمر بالاستماع لا السماع فقط من جهة، وهناك أمر بالتعقل من جهة أخرى، وهذا يعني أن النقل يجب أن يُشفع بالعقل، كما أن (الاستماع) يتضمن الالتفات والإدراك، ويستلزم التفكر والتعقل.

فعندما تستمع الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾، عليك أن تفكر وتعمل عقلك أيها الإنسان، فالله تعالى يقول لك ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ فمن هو هٰذا الولي؟

وفي مَن توجد هٰذه الخصوصيات المذكورة في الآية الشريفة؟

(الرب) قد أمر، و (العقل) قد حكم

إذن، كلما وَجَد (العقل) أن مولى الموالي ورب الأرباب قد أمر بأمر كـ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أو جعل شخصاً أو أشخاصاً (أولياءه)، فإنه أي العقل يحكم بوضوح وجلاء وبضرس قاطع، بلزوم البحث عن ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ الذين أمرنا بإتباعهم، وعن (الأولياء) الذين نصبهم الرب علينا...

وهكذا اعتمد الله تعالى على (حجته الباطنة) بعد (حجته الظاهرة) فبحجته الظاهرة (القرآن) قد أمر بالإتّباع ونَصَب الأولياء، وبحجته الباطنة (العقل) ألزمك وكل البشرية بالبحث حتى تصل وتعرف...

(١) المائدة: ٥٥.

وهكذا تصل إلى أن عليك أن تفكر وتعمل عقلك، فالله ربك يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ إذن الله سبحانه قد نَصَب (ولياً) علينا، أليس من اللازم علينا أن نبحث عنه، ونعرف مَنْ هو؟

والله تعالى لم تتعلق مشيئته بأن يعطيك القضية حاضرة مُحضَّرة، لعلل وحِكَم ستأتي الإشارة إلى عدد منها لاحقاً، بإذن الله تعالى، ومن الحكم ومن الجهات الهامة هي: حتى (يُعمِل) الإنسان عقله، و(يستثمر) عقله، و(يستعين) بعقله، و(يستضئ بنور) العقل على ضوء النقل..

إذ عندما يقول القرآن العظيم: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، أليس من اللازم عليَّ أن أسأل وأحقق وأبحث عن هٰذا (الولي) بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم؟ ومن هو المقصود بالآية الشريفة؟ إذ لم تصرح الآية الشريفة باسم هٰذا الولي بالشكل الصريح، لكنها اعتبرته (ولياً) علينا بعد الله والرسول مباشرة، أفليس من اللازم عليَّ أن أبحث عنه؟

ثم إننا إذا بحثنا في السنة الشريفة عن شأن نزول هٰذه الآية المباركة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾، نجد الكثير من الروايات المتواترة، ونجد إجماع الفريقين ـ الشيعة والسنة ـ إلا مَنْ شذَّ وندر، على أن هٰذه الآية الشريفة نزلت في الإمام علي بن أبي طالب (عليهما سلام الله)[1]..

وهنا يظهر دور (العقل) المحوري والمفصلي والاستراتيجي بالبحث عن الحقيقة.

(١) راجع «الإمام علي عليه السلام في القرآن»، لآية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله: ج١، ص٢١٦ ففيه الكثير من المصادر.

الإنسان حيوان ناطق!

وكما تلاحظون فإن هٰذه إجابة سيالة لأن الله تعالى، قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ و: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟ ومن أظهر جهات تكريم بني آدم، إعطاءهم (العقل).

ولنتساءل ـ أولاً ـ ما هو الفرق بين الإنسان والحيوان؟

إن الإنسان (حيوان ناطق) على حسب ما يعرفه المناطقة، و(ناطق) يعني (عاقل)، وللإنسان مع الحيوان قواسم مشتركة كثيرة جداً؛ إذ كلاهما: حساس، نامي، متحرك بالإرادة، وأيضاً ذو قوة غضبية وقوة شهوية.. إلى آخر هٰذه القواسم المشتركة[1]، بل إن بعضاً أو كثيراً من تلك القواسم يكون الحيوان فيها أقوى من الإنسان، وذلك كما في حِدَّةِ البصر، أو السمع أو العضلات وفي شدة البطش، وما أشبه ذلك.. ولكن امتياز الإنسان الأكبر هو في (عقله)[2]، وهكذا نجد أن الله تعالى أراد أن يُميِّز ويُكرِّم بني آدم بالعقل، والعقل يحكم ويقضي بأن لا نُعطى كل (القضايا) جاهزة وصريحة، كأن يقال لنا في القرآن نفسه: حقوق المرأة هي كذا وكذا، بالحرف الواحد وبالنص الحرفي، أو حقوق العامل هي كذا، أو أن (الصادقين هم فلان، وفلان، وفلان..) كلا، بل أراد الله تعالى أن يُعظِّم دور العقل، وأن يُعطي مساحة كبيرة للعقل، لكي تفكر؛ ولذا استنهضنا بقوله تعالى لنا: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟

---

(١) ولذلك وصف الإنسان بـ(الحيوان)، ولا يقصد بهذا الوصف المعنى المعهود السلبي للحيوان في أذهان الناس.

(٢) والتي يسمونها (القوة المتعقلة) وقد ناقشنا في كتاب «الضوابط الكلية لضمان الإصابة في الأحكام العقلية» في ذلك، وأثبتنا أن (العقل) جوهر وليس حالة وقوة.

ربنا قال لنا: أنا أريد منكم (التعقل) و(الاستماع) وليس مُجرَّدَ تعبُدٍ وسماع؛ إذ ذٰلك شأن العبيد الجَهَلة بشكل مطلق، فإن الشخص الذي لا يفهم على الإطلاق عليك أن تُعطيه نصاً محدداً واضحاً إلى أبعد الحدود، أما الإنسان ذو الرشد، ذو العقل، وذو اللب، فعليه أن يستعين بعقله، ولبه، وأن يستخرج ما أودع الله فيه من كنوز العقل والفطرة، لكي يكتشف ما الذي أراده الله ﷻ من هٰذه العبارات المختلفة القرآنية، أو الظواهر القرآنية، أو القواعد والكليات التي طرحت فيه.. أو حتى (المجمل) و(المتشابه)..

العذاب مأخوذ من العذب!

وكما نلاحظ فإن الإجابة سيالة، فليس هناك داع أو ضرورة تقتضي (أن يصرح) الله تعالى في القرآن بكل شيء، وينبّه على كل باطل.

فمثلاً، يقول ابن عربي: أن (العذاب) مأخوذ من (العذب) فأهل النار يستعذبون العذاب وهو سائغ لذيذ لهم!!

ولا حاجة لأن يرد الله سبحانه في القرآن الحكيم على كل كلام باطل مثل هٰذا وأمثاله، سواء قيل في الماضي أم كان سيقال به في المستقبل، فلا حاجة لأن يصرح: أيها الناس ليس العذاب مأخوذاً من (العذب)! كلا.. لا حاجة لذلك.. إذ أن ظواهر القرآن تكفي لرد أمثال هٰذه المزاعم؛ فإن (العذاب) مفهوم في كل الأعراف بأنه (عذاب) و(أذى) و(انتقام) وليس (عذباً)، ومن الاستخفاف بالعقل أن يقال: إنه من العذب، كما أن التصريح بأنه لا يعني العذب أيضاً من الاستخفاف بالعقل.. فهل المخاطب يمتلك عقل طفل ساذج حتى يحتاج إلى تصريح بأنه ليس من العذب؟!

هذا مع قطع النظر عن كلمة (أليم) في (عذاب أليم)، فالعذاب يفيد التعذيب، وليس العذوبة كما توهم هٰذا (العارف) الذي لم يشم من أهم أسس (المعرفة) إلا الجهل المركب، وذلك بقرينة (أليم).

وهذا مع قطع النظر عن كافة القرائن العقلية، وقرائن السياق، وغيرها، فكيف يكون العذاب الأليم عذباً ولذيذاً؟

فهل أهل جهنم يستعذبون العقارب، والحيَّات، والأفاعي وما أشبه ذلك..؟

وللحديث عن (العقل) مجال واسع جداً في الإسلام، أعني خصوص الحديث عن مشيئة الله ﷻ إعطاء دور كبير جداً للعقل، خاصة بالنسبة إلى خاتم الرسل ﷺ، وإلى أمته المرحومة، لأنه أراد لهم أن يعتمدوا على (العقل)، وأن يستعينوا به، وأن يستضيئوا بنوره، إلى جوار الاعتماد على (النقل)، بل أحياناً قبله وذلك كما في (أصول الدين) فيما توقف النقل عليه لا مطلقاً، وفي بعض (المستقلات العقلية)، نعم، في بعضها الآخر قد يقال بكونهما يسيران متجاورين في خطين متوازيين.

هذا في أصولها، وأما في تفاصيلها: فالعقل يلحق النقل ويتبعه، كما أنه في شؤون التشريع عامة، كذلك، تابع ومؤكد ومؤمن، والبحث عن ذٰلك يحتاج إلى أيام، وأيام بل أشهر، بل سنين من الزمن والعديد من الأبحاث[1]، ولكن هٰذه الإشارة تكفي في مقام الإجابة عن هٰذا السؤال..

(١) وقد بحثنا عن ذلك بتفصيل نسبي في كتاب (فقه التعاون على البر والتقوى) وفي كتاب (الأوامر المولوية والإرشادية).

[٢٠]

الجواب العشرون

لا يمكنكم إدعاء: أن أسماء الأئمة الاثني عشر غير موجودة في القرآن الكريم!

الجواب العشرون: وهو خاص بقضية ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ (عليهم سلام الله)، وأنه: لماذا لم يذكر الله ﷻ أسماء أئمة المسلمين؛ علي والحسن والحسين والسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري والحجة (عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام) في القرآن الكريم؟

والجواب العشرون على ذلك: مَنْ قال أن الله لم يذكر أسماءهم في الكتاب؟ لا يحق لكم أن تقولوا ذٰلك أبداً! بل هٰذه دعوى ليس لكم إليها سبيل!!

ولعل البعض يستغرب هٰذا الجواب، فنقول:

الجواب الأول: لا يمكنك نفي وجود اسمه المبارك في القرآن الكريم

أولاً: نلزمك بما ألزمت به نفسك، وحسب ما هو موجود في «صحيح البخاري» وغيره، وهذا بحث علمي وسنتطرق له بشكل موضوعي، فإن الطرف الآخر يسألنا: لماذا الله تعالى لم يذكر اسم الإمام علي بن أبي طالب وسائر الأئمة من أهل البيت ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ (عليهم صلوات المصلين) في القرآن الكريم؟

أو لماذا لم يُصرح باسماءهم؟

نقول له: إننا نحتج عليك بالذي يقوله «صحيح البخاري»! والذي يقوله «صحيح مسلم»! والذي تقوله بعض مصادركم الأخرى بأسانيد مُوثقة حسب كلامكم!

نعم.. نحن نحتج عليكم مما عندكم.. لنثبت أن هٰذا السؤال غير صحيح.. أي إنك لا تستيطع أن تقول: لَمْ يذكر الله اسم الإمام علي والأئمة الأطهار في القرآن وليس لك نفي وجود أسماءهم في القرآن أبداً، وذلك بناء على ما أستسموه أنتم حول (تحريف القرآن) و(اسقاط بعض آياته) أو (الكثير من آياته)!!

توضيح ذلك:

تقول مصادركم، كـ«البخاري»، و«مسلم»، و«الطبراني»، كلاماً نرفضه، ولكن مصادركم تصرح بقضايا ثلاثة، أي هي مصنفة مبدئياً إلى أصناف ثلاثة.. إذ تصرح رواياتكم الموجودة في صحاحكم:

١. تقولون: ثلثا القرآن محذوف!

أولاً: إن ثلثي القرآن حسب ما تفيده رواياتكم محذوف، ونبرأ إلى الله تعالى من هٰذا الكلام.

ولكن هٰذا هو ما يوجد في صحاحكم، حيث تصرح الرواية عندكم بأن ما يعادل ثلثي القرآن محذوف، وليس موجوداً بين الدفتين.. وعليه فمَنْ قال لك أيها المستشكل، وأنت تعترض علينا وتؤمن بالبخاري، ومسلم، والكتب الأخرى إن اسم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وسائر ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ غير موجود في هذين الثلثين المفقودين من القرآن الكريم، حسب ما تقول مصادركم..

٢. تقولون: إن سوراً كاملة قد حذفت!

ثانياً: تروون أن سوراً من القرآن الكريم حُذفت كسورة (الخلع)[(١)]، وسورة (الحفد) فقد حذفت من القرآن الكريم؛ فمن أين تثبت ـ بعد

(١) رواية السورتين كما في السنن الكبرى للبيهقي ج٢ص٤٠٠ ح ٣٢٦٨ـ وَقَدْ رُوِىَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ صَحِيحًا مَوْصُولاً أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ وَأَبُو سَعِيدِ بْنُ أَبِى عَمْرٍو قَالاَ حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ: مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ حَدَّثَنَا أَسِيدُ بْنُ عَاصِمٍ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ حَفْصٍ عَنْ سُفْيَانَ قَالَ حَدَّثَنِى ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: أَنَّ عُمَرَ قَنَتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَانْصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ الْعَنْ كَفَرَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَيُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيُقَاتِلُونَ أَوْلِيَاءَكَ اللَّهُمَّ خَالِفْ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ، وَزَلْزِلْ أَقْدَامَهُمْ، وَأَنْزِلْ بِهِمْ بَأْسَكَ الَّذِى لاَ تَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنُثْنِى عَلَيْكَ وَلاَ نَكْفُرُكَ، وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّى وَنَسْجُدُ، وَلَكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ، نَخْشَى عَذَابَكَ الْجِدَّ، وَنَرْجُو رَحْمَتَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ بِالْكَافِرِينَ مُلْحَقٌ. وَرَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُمَرَ فَخَالَفَ هَذَا فِى بَعْضِهِ.

أن أنكرت تمامية القرآن وسلامته من التحريف بالنقصان ـ بأنه لا توجد سورة أخرى قد حذفت من القرآن الكريم أيضاً؟!

٣. تقولون: إن آيات قد حذفت!

ثالثاً: وتقول مصادركم: أن القرآن الكريم والعياذ بالله قد سقطت منه آيات؛ فلعل اسم الإمام علي وسائر الأئمة الأطهار (عليهم سلام الله) مذكور في تلك الآيات التي سقطت؟

فبحسب كلامك نلزمك بما تعتقد، فمن أين لك أن تقول: اسم الإمام علي عليه السلام غير موجود في القرآن الكريم؟ وأنتم تقولون في كتبكم: أن سوراً من القرآن قد حذفت، أو آيات من القرآن قد حذفت، أو كلمات في القرآن الكريم قد حُرِّفت، بل إن أكثر القرآن الكريم قد حذف! ونحن نلزمك بما تقوله مصادرك الصحاح التي عليها مدار مذهبكم على مر السنين، وأنت شخصياً كواحد من أهل العامة سواء كنت تقبل هٰذا الكلام أم لا تقبله، فإنه لا يغير من المعادلة عند كبار علمائكم شيئاً؛ إذ إنهم لا يرونك تمثل مذهب أهل العامة، بل يرون أنفسهم الذين هم يمثلونه ويعتبرون مصادرهم الكبرى المعتمدة لدى جميع علماءهم هي التي تمثل مذهب أهل السنة.. والآن نقول لهؤلاء العلماء: أنه عندما تقول مصادركم المعتمدة بتحريف القرآن بالنقصان وبغيره، فكيف تدعون أن أسماء ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ليست مذكورة؛ إذ لعل الأسماء كانت موجودة هنالك، وما يدريكم؟!

أ. عمر يقول آية الرجم سقطت!

ولننقل الآن بعض رواياتكم من أمهات مصادركم وصحاحكم:

يروى في «صحيح البخاري»، في كتاب الحدود باب الاعتراف بالزنا[1]، عن عمر بن الخطاب، حيث يصرح بأن آية كاملة سقطت من

---

(١) صحيح البخاري كتاب الحدود رقم الحديث حسب الطبعة التي لدينا (٦٨٣٠) في طبعة أخرى(٦٨٢٧) أو٢٨ .والرواية كاملة لخطبة عمر بن الخطاب كما يرويها البخاري، برقم (٦٤٤٢) : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس، قال: كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمٰن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها إذ رجع إلي عبد الرحمٰن، فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال يا أمير المؤمنين هل لك في فلان؟ يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت..
فغضب عمر ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس، فمحذرهم هٰؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم. قال عبد الرحمٰن فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل؛ فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير وأن لا يعوها وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت متمكنا؛ فيعي أهل العلم مقالتك ويضعونها على مواضعها. فقال عمر: والله ـ إن شاء الله ـ لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة. قال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زاغت الشمس حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل جالسا إلى ركن المنبر، فجلست حوله تمس ركبتي ركبته فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب فلما رأيته مقبلا قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف، فأنكر علي وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله؟! فجلس عمر على المنبر فلما سكت المؤذنون، قام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإني قائل لكم مقالة قد قدر لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلي فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب علي، إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف، ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم أو إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم. ألا ثم إن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطري عيسى بن مريم وقولوا عبد الله ورسوله».

القرآن الكريم، تقول رواية «البخاري»: (فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذنون، قام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فإني قائل لكم مقالة) ـ وقد مهد بهذا التمهيد لأن المسألة مهمة جداً؛ وهي

ثم إنه بلغني قائل منكم يقول: والله لو قد مات عمر بايعت فلانا، فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها، وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي تابعه تغرة أن يقتلا، وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ، أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا علي والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان فذكرا ما تمالأ عليه القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم، اقضوا أمركم، فقلت: والله لنأتينهم فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ قالوا: يوعك، فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفت دافة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر. فلما سكت أردت أن أتكلم، وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أردت أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها، حتى سكت فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش؛ هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسول لي نفسي عند الموت شيئا لا أجده الآن. فقال قائل من الأنصار، أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش. فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار. ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقلت: قتل الله سعد بن عبادة، قال عمر: وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى، وإما نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا..«البخاري ج٦ باب رجم الحبلى»

إثبات أن آية كاملة قد حذفت من القرآن الكريم!! ـ (أما بعد فإني قائل لكم مقالة قد قُدِّر لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلي) وأخاف أن أموت وما قلت لكم هٰذه الكلمة (فمن عقلها ووعاها فليُحدِّث حيث انتهت به راحلته، ومن خشي ألا يعقلها فلا يحل لأحد أن يكذب عليَّ؛ إن الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم) ـ لاحظوا: هٰذا نص عبارة عمر في «البخاري» (آية الرجم)، ولكن الآية غير موجودة في القرآن الكريم الذي بين أيدي المسلمين ـ (وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، ورجم الرسول) أي أن الرسول عمل بها (ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضل بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن) ـ وهكذا نجده يؤكد ذٰلك مرة واثنتين وثلاثة..

ب. «صحيح مسلم»: سورة الأحزاب كانت ٢٠٠ آية!

ومثال آخر: تجد في أكثر من صحيح من صحاحكم تصريحاً خطيراً؛ بأن مقاطع كاملة من القرآن الكريم قد حذفت، كآيات كثيرة من سورة ﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾، فإن سورة ﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾ حسب صحاحكم ومصادركم المعتمدة كانت (٢٠٠) آية، وفي تعبير آخر يصرح به في مسند أحمد بن حنبل، كانت بحجم سورة (البقرة)[1]، لكن سورة الأحزاب الآن ثلاثة وسبعون آية فقط، فأين البقية الباقية من السورة؟!

(١) في «مسند أحمد ج٤٣ص٢١٧ح ٢٠٢٦١» عَنْ زِرٍّ قَالَ: قَالَ لِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: كَأَيِّنْ تَقْرَأُ سُورَةَ الْأَحْزَابِ أَوْ كَأَيِّنْ تَعُدُّهَا قَالَ: قُلْتُ لَهُ: ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ آيَةً. فَقَالَ: قَطُّ لَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّهَا لَتُعَادِلُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلَقَدْ قَرَأْنَا فِيهَا (الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)..

وقد ورد هٰذا في مصادر عديدة؛ منها ما في «صحيح مسلم» من أن هٰذه السورة الشريفة كانت فيها مائتا آية!!

وتأسيساً على ذٰلك نقول لك: مَنْ قال لك أن اسم علي بن أبي طالب عليه السلام غير مذكور في تلك الآيات، فكيف تنكر شيئاً لم تحط به علماً؟!

فقد روي عن عائشة: إن سورة ﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾ كانت تقرأ في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مئتي آية، فلم نقدر منها إلا على ما هو الآن[١].. فعائشة هي مَنْ تقول هٰذا الكلام، وليس نحن..

وقالوا أيضاً: أن سورة ﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾ كانت تقارب سورة البقرة، أو هي أطول منها، وهذا عن عكرمة عن مولى لابن عباس، أو هي أطول، وفيها كانت آية الرجم[٢].. وهذه مصادركم يا علماء أهل السنة..

وورد عن حذيفة بن اليمان، قال: قرأت سورة ﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنسيت منها سبعين آية ما وجدتها[٣].. وهكذا، ثم يذكر أمثلة، ويقول بأن: أبا موسى الأشعري قال لقراء البصرة: كنا نقرأ سورة نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها، غير أني حفظت منها: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً: ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب».[٤]

---

(١) تفسير القرطبي: ج١٤، ص١١٣. الإتقان: ج٣، ص٨٢.
(٢) مسند أحمد: ج٥، ص١٣٢، الإتقان: ج٣، ص٨٣، تفسير القرطبي: ج١٤، ص١٣٣، عن «الإنتصار» للعاملي.
(٣) الدر المنثور: ج٥، ص١٨٠.
(٤) صحيح مسلم: ج٢، ص٧٢٦، ح١٠٥٠، عن «الإنتصار» للعاملي.

ج. حذف سورتي الخلع والحفد!

ثم نلاحظ سورتي الخلع والحفد اللتين ادعى عمر بن الخطاب أن هاتين السورتين هما من القرآن الكريم فحذفتا، وتدعون ـ أي حسب مصادركم يا أهل العامة ـ أنها كانت في مصحف ابن عباس، وأبي بن كعب، وابن مسعود، وأن عمر بن الخطاب قنت بهما في الصلاة، وأن أبا موسى الأشعري كان يقرأهما وهما: (أن اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد، وإياك نسعى ونحفد ونرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكافرين ملحق).

ولاحظوا: هل هٰذا أدب القرآن، أو: هل هٰذه الكلمات فيها نكهة القرآن، إن صحَّ التعبير؟

إن من الواضح أنها مختلقة، ولكن هٰذه موجودة في صحاحكم، وفي مصادركم، فراجعوا كتاب «الاتقان المجلد الثالث صفحة ٨٢» في تفسير هٰذه الروايات، وراجعوا تفسير «القرطبي المجلد ١٤ صفحة ١١٣» حسب بعض الطبعات، وفي «مناهل العرفان للزرقاني»[1]، وفي «الدر المنثور للسيوطي»، وفي «محاضرات الراغب الأصفهاني»، وفي «مسند أحمد بن حنبل»، وفي «المستدرك على الصحيحين»، وفي «السنن الكبرى للبيهقي»[2]، وفي «الكشاف للزمخشري»، وفي كتب أخرى متعددة من أمهات المتون المعتبرة، والروايات كثيرة ومتعددة، حيث إن بعضها، وإن ذكر أن ذٰلك مما يُقنت به إلا أن بعضها صرح بأنهما سورتان من القرآن الكريم.

---

(١) مناهل العرفان: ج١، ص٢٥٧، عن «الإنتصار» للعاملي.

(٢) السنن الكبرى: ج٢، ص٢١١.

فإذاً أنتَ تقول: بأن القرآن الكريم قد حذفت منه ـ والعياذ بالله ـ سُوَرٌ، وحذفت من بعض سوره آيات كثيرة.

د. عمر: القرآن سقط منه ثلثاه!

ويروي (الطبراني) بسند موثق أو صحيح ـ عن عمر بن الخطاب قال: القرآن (ألف ألف وسبعة وعشرون ألف حرف)، وهذا هو ما ينقله في «الإتقان، المجلد الأول صفحة ١٢١» حسب الطبعة التي لدينا.)[(١)] وذلك يعني: أن القرآن الذي بين أيدينا هو حوالي ثلث القرآن الواقعي فقط..!!

ورواية أخرى عن نافع بن عمري يقول: (لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله، وما يدريه ما كله، قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل: قد أخذت منه ما ظهر).[(٢)]

فهل تريدون رواية أشد صراحة من هٰذه الروايات في تحريف القرآن الكريم، الذي قال فيه تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾[(٣)] وقال عنه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[(٤)]؟!

هـ. سورتان طويلتان محذوفتان!

وبعض الروايات الموجودة في «صحيح مسلم»، في كتاب الزكاة تصرح بما يلي: (بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرؤوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة، وقراؤهم، فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد، فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة

(١) الإتقان في علوم القرآن: ج١، ص١٩٠، ح٩٧١، حسب طبعة أخرى.
(٢) المصدر: ج٢، ص٦٦، ح٤١١٧.
(٣) فصلت: ٤٢.
(٤) الحجر: ٩.

بالبراءة، فأنسيتها، غير أني حفظتُ منها: (لو كان لابن آدم واديان...) وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات، فأنسيتها، غير أني حفظت منها: (يا أيها الذين آمنوا لمَ تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادةً في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة)!![1]

وتوجد في «صحيح مسلم» وفي «منتخب كنز العمال» روايات أخرى كثيرة!! إذن فهي ليست رواية واحدة، أو روايتين، أو ثلاث روايات، حتى يغض المحقق الطرف عنها ويقول بأنها شاذة، أو نادرة، بل هي في الصحاح موجودة: في «البخاري»، و«مسلم»، وما أشبه ذلك.. فكيف بعد ذلك تدعي أنه لم يُذكر اسم ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في القرآن الكريم.؟ وتتساءل عقيب ذلك: لماذا لم يذكر اسم علي، والحسن، والحسين، وسائر أبناءه عليهم السلام من ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في القرآن الكريم؟

وتستنتج بعد ذلك: إذن ليسوا هم خلفاء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمة كابراً عن كابر (سلام الله عليهم أجمعين)!!

وعليه نقول:

١.لماذا تمنعون طباعة الكافي وتسمحون بطباعة «البخاري»!

فيا أهل الخلاف، ويا أهل العامة! أنتم تصرحون بأن القرآن مُحرَّف بحذف سورٍ طوال منه، وبحذف آيات، بل وبحذف حوالي ثلثيه، أي

(١) صحيح مسلم: ج٢، ص٧٢٦، ح٤٩٠ ـ عن أبي الأسود ظالم بن عمرو قال: بعث أبو موسى إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجلٍ قد قرءوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وإنا كنا نقرأ سورةً كنا نشبهها في الطول والشدة بـ«براءة» فأنسيتها غير أني حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب) وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها غير أني حفظت منها ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة الصف) فكتبت شهادةً في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة)..

التحريف بالنقيصة، كما تقولون بالتحريف بالتغيير أيضاً ونعوذ بالله من هٰذا الكلام وذلك حسب ما جاء في «صحيح البخاري» و«مسلم» و«مسند أحمد» وغيرها، فلماذا لا تمنعون هٰذه الكتب من الطباعة، وتمنعون «الكافي» الشريف من الطباعة في بلادنا، بتهمة أن «الكافي» يقول بتحريف القرآن؟!

والحال أن الكافي لا يقول بتحريف القرآن الكريم، وأين تجد في الكافي روايةً بأن سورة كاملة قد حذفت من القرآن الكريم.؟

أما في كتبكم المعتبرة والتي تسمونها بالصحاح فذلك موجود.

وأين تجد في «الكافي» الشريف روايةً بأن ثلثي القرآن قد نُسف وحذف؟

غاية ما في الأمر، أن في بعض روايات «الكافي» إشارة إلى اختلاف في التشكيلات، أي في عوامل التنقيط، والإعراب، أو إضافة بعض الكلمات التي هي من باب التفسير أو التأويل للآيات..

فمثلاً في قوله، تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾، تقول الرواية: «(بلغ ما أنزل إليك من ربك في علي)، أنه هٰكذا نزلت..»[1] والسيد الوالد رحمه الله كان يقول: أن المُراد بها هو غير ما هو متوهَّم ظاهراً؛ وذلك لأن القرآن الكريم كان ينزل على الرسول العظيم كقرآن، وكان جبرائيل عليه السلام يفسر بعض المفردات، أو الجمل، أو ما أشبه..

إذن عندنا (وحي قرآني)، وعندنا (حديث قدسي)، فعندما جبرائيل عليه السلام كان ينزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ينزل بنص قرآني واضح، وينزل بشرح، وتعقيب، وتوضيح.. أيضاً.

(١) كتاب العمدة: ص٩٩ف١٤، وتفسير القمي: ج٢ص٢٠١فزع الأبالسة يوم الغدير،وتفسير نور الثقلين: ج١ص٦٥٤ح٢٩٨.

فـ(هكذا نزلت) أي مع شرحها وتوضيح مصداقها، وأن (في علي) هو الشرح والتفسير للآية جاء بعد نزولها مباشرة.

فليس بمقدور أهل الخلاف إذن، إلزام «الكافي» بأنه يقول عند نقله رواية: «والله هٰكذا نزلت..» بتحريف الكتاب؛ لأنه يقصد ويعني أنها نزلت كقرآن كريم، ولا يقصد النزول كحديث قدسي وكوحي سماوي غير قرآني؟! إذ الوحي أعمُّ من القرآن، لأن الحديث القدسي وحيٌ لا يُنكر، فباب الاحتمال مفتوح هنا على أقل التقادير..

ولكنك تُصرِّح في «البخاري» بنقص القرآن وحذف مقاطع كاملة منه!! فلماذا كتاب «البخاري» يُطبع في كل الدول ويُدرَّس في المعاهد وغيرها، بدون اعتراض وإشكال ومنع، مع أنه يُصرِّح بأن القرآن ناقص، أو نقصت منه سورة، أو آية كاملة، وأما الكتب الأخرى فهي غير مسموح بطباعتها؟!

إذن، خلاصة الجواب الأول هو:

أنه حسب صحاحك، لا تستطيع نفي وجود اسم الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن!

ونُلزمك في ذٰلك بما ألزمتك به صحاحك؛ فصحاحك تقول: أن قسماً كبيراً من القرآن الكريم قد حذف، ولعل هٰذه الأسماء الطيبة كانت هنالك وما يدريك؟! وأؤكد، أننا نبرأ إلى الله من هٰذا الكلام، ولكن حسب صحاحكم نتكلم، ولا يستطيع أحد أن يلزمنا بهذا الكلام إطلاقاً، ولا يحق له ذلك؛ إذ أننا لا نقول بحذف ثلثي القرآن أو بحذف سور منه، أو حتى آيات، أو كلمات، بل نقول: أنت الذي تقول بذلك، ليس لك أن تحتج وتعترض وتقول: لم تذكر أسماء ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في القرآن الكريم.

الجواب الثاني:

٢.اسم الإمام علي عليه السلام موجود في القرآن حسب بعض القراءات.[1]

ثانياً: وهذا مهم جداً ودقيق، نقول: وهل اختلاف القراءات من تحريف القرآن أم لا؟ إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[2]

وأنتم تقولون بالقراءات السبع أو العشر، ولكننا نرى وحسب رأي السيد الوالد رحمه الله وبعض العلماء؛ بأن القرآن نزل على قراءة واحدة، وأن قراءة واحدة هي الصحيحة فقط، والمقصود من سبعة أحرف: أنه نزل على أمر ونهي، وترغيب وترهيب، ووعظ، وقصص، وأمثال، وما أشبه ذٰلك من الوجوه الأخرى المذكورة لهذه الرواية ومعانيها، لا أن قراءاته سبعة..

لكن هٰذا الجواب[3] نذكره بناء على مسلك البعض من علماء الإمامية، ومن الشيعة الذين ذهبوا إلى هٰذا الرأي، ولا تستطيع أن تعترض عليه؛ لأنك تلتزم بتعدد القراءات ولا تجدها مصداقاً لتحريف الكتاب.[4]

---

(١) هٰذا في بعض الآيات الكريمة، كالآية المستشهد بها ههنا، أما في بعضها الآخر فالقراءات كلها متحدة، والاسم المبارك لمولى الموحدين مذكور بالصراحة ولا اختلاف بين القراءات، فراجع الجواب الـ٣١.

(٢) الحجر: ٩.

(٣) وهو وجود اسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم الموجود بأيدينا حسب بعض القراءات.

(٤) ويقول السيد الخوئي في البيان: (إن مشهور علماء العامة ذهبوا إلى ذلك.. (أي إلى تحريف الكتاب) بمعنى أنهم التزموا بالنسخ، وأن الآية قد نسخت، ومعنى أن الآية قد نسخت هو أن القرآن قد حُرِّف..) وراجع للتفصيل «البيان في تفسير القرآن» و«الهدى إلى دين المصطفى» للإمام البلاغي، و(مواهب الرحمٰن) لآية الله السيد السبزواري.

بل اسم الإمام علي عليه السلام موجود في القرآن

أنك تقول: اسم الإمام (علي) غير مذكور في القرآن، لكن لعدد من كبار العلماء أن يجيبك: بل إنه مذكور في القرآن الكريم الموجود بأيدينا على حسب بعض القراءات؛ فإن اسم الإمام علي موجود في القرآن الكريم مع قطع النظر عن إشكالنا الأول عليكم، وهو قولكم: بأن قسماً كبيراً من القرآن قد سقط ـ والعياذ بالله ـ فهنالك قراءات أخرى وبحسب هٰذه القراءات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام فإن اسم الإمام علي عليه السلام موجود في القرآن الكريم..

باؤك تجرّ وبائي لا تجرّ!

ولكن كتنبيه، نقول: يا أيها المخالف! لماذا عندما تسمع بأن هناك قراءات متعددة للقرآن هي سبع أو عشر قراءات، وبعضها يختلف به المعنى كلياً، لا تعترض أو تحتج، بل تقبل وتُسلِّم، ولكن إذا دلّ الدليل على قراءة ترتبط باسم الإمام علي عليه السلام، تعترض وتنادي: وا إسلاماه!! وكأنّ السماء قد انطبقت على الأرض، لماذا؟!

لماذا تقول بالقراءات السبع، بل يقول بعض علمائكم بـ(سبعين قراءة)!! في القرآن الكريم، وبعضها من المشهور لديكم، ولذا ذهب المشاهير من كبار القراء إلى هٰذه القراءات، فكيف!! إذا قالوا لك ذلك، هناك تقبل وهنا لا تقبل، إن هٰذا من العجب العجاب حقاً.؟!

ويتضح هذا المعنى ببعض التقديم والتأخير، مثل ما لو قيل: (هذا عليٌّ، صراطٌ مستقيمٌ).

قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾

وكمثال على أن اسم الإمام علي (عليه سلام الله) مذكور في القرآن الكريم حسب بعض القراءات، نذكر هٰذه الآية القرآنية الكريمة، قال تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾.[1]

هذا هو الموجود في القراءة المعهودة في القرآن الكريم المتداول بيننا الآن، ونحن نقرأ على ضوء هٰذه القراءة.

ولكن هناك قراءة أخرى مشهورة، ولا تستطيع أن تُلزم مَنْ ذهب إلى تلك القراءة الأخرى بأنه: (لم يذكر اسم الإمام علي في القرآن) وبـ(لماذا اسمه صلوات الله عليه غير موجود في القرآن الكريم؟)

والقراءة الثانية هي: (هذا صراطٌ عَلِيٌّ مستقيم)، برفع (صراط) كخبر، ورفع (علي) كخبر بعد خبر أو باعتباره بدلاً، وقد أطلق (الصراط) و(مستقيم) على الشخص ووصف به[2] من باب المبالغة كما تقول: (زيد عدل)، بل إن (صراط) و(مستقيم) يقعان صفتين للشخص حقيقة، فتدبر.

قراءة: (هذا صراطُ عليٍّ مستقيم)

وهناك قراءة ثالثة رويت عن الإمام الصادق عليه السلام وهي: (هذا صراطُ عليٍّ مستقيم)[3]..

والذين يقولون بأن القرآن غير مُحرَّف لا يستشكلون في تنوع القراءات ولا يجدون في الاختلاف تحريفاً، ولعل فلسفتهم في ذلك:

---

(١) الحجر :٤١.

(٢) أي وصف به في جوهره وليس المراد (الوصف) من الناحية الشكلية النحوية.

(٣) سنذكر بعض مصادر ذلك بإذن الله تعالى.

أن القرآن كتب بالخط الكوفي، والخط الكوفي ليست فيه نقاط ولا تشكيلات، أي (صراطٌ عَلَيَّ)، أو (صراطٌ عليٌّ)، أو (صراطُ عَلِيٍّ)، كل ذٰلك ممكن أن يكون هو الملفوظ وهو المقصود، لخصوصية الخط الكوفي، إذن يقولون القرآن نفسه لا تحريف فيه.

وهكذا نجد أن قراءة أبي رجاء، وابن سيرين، وقتادة، والضحاك، ومجاهد، وقيس بن عبادة، وعمر بن ميمون هي: (هذا صراطٌ عليٌّ مستقيم)، وأن قراءة الإمام الصادقعليه السلام حسب بعض الروايات هي: (هذا صراطُ عليٍّ مستقيم)، والسؤال الآن هو: لماذا بمجرد أن يروي العلماء رواية عن كبار الصحابة وأهل البيت (عليهم سلام الله) بقراءة فيها فضيلة لأهل البيتعليهم السلام تقيمون السماء ولا تقعدونها، وتعتبرون ذٰلك تحريفاً للقرآن؟!

لكنكم عندما تروون روايات عديدة تصرح ـ جهاراً نهاراً ـ بقراءةٍ غير القراءة المعهودة في القرآن الكريم، وقد يتغير بها المعنى أو اللفظ كلياً، لا تجدون في ذٰلك أية مشكلة، ولا ترفعون عقيرتكم بالاحتجاج والضجيج والإدانة؟!

وهناك أمثلة عديدة على ذٰلك نذكر أحدها فقط:

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾

منها قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾(1) وفي معناها ذكرت أقوال: منها إنه شجر كثير الشوك، ومنها، أنه شجر الموز..

وللآية قراءة ثانية أنها (وطلع منضود) وليس ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ وتستشهد تلك القراءة الأخرى بآية قرآنية أخرى، هي قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّخْلَ

(1) الواقعة: ٢٩.

بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾[1]، وأين (طلع) من (طلح)؛ إذ لكل منهما معنى مغاير للآخر..

والأمثلة على اختلاف القراءات بالعشرات، وربما تكون بالمئات، مما يغير المبنى والمعنى أيضاً.

فأنت إذا رأيت جماعة من علماء الشيعة، أو بعض كتبهم، قد ذكرت رواية بأن القراءة كانت هكذا، أي (صراطٌ عليٌّ) أو (صراطُ عليٍّ) فليس بمقدورك أن تُلزمه بأنه: لماذا اسم علي بن أبي طالب عليه السلام غير موجود في القرآن الكريم؟ لأنه موجود حسب ما يراه أولئك الأعلام واستناداً إلى روايات لا تؤدي حسب مبناكم أيضاً إلى القول بتحريف الكتاب، ولا تُخِلّ بالقول بعدم تحريف الكتاب..

والآن لنرجع إلى الآية الشريفة وقراءتها: (هذا صراطُ عليٍّ مستقيم)، فقد جاء في كتاب «تفسير البرهان» للمحقق البحاثة العالم الكبير السيد هاشم البحراني قدس سره، وناقلاً له عن مصادر عديدة منها «الكافي» الشريف، و«مئة منقبة»، و«مختصر بصائر الدرجات».. ما يلي:

الكافي الشريف عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: (هذا صراطُ علِيٍّ مستقيم..)

اعتراض عمر على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعدم ذكر اسم علي عليه السلام وجواب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

ومن جملة الروايات الأخرى التي ينقلها عن «مئة منقبة»: أنه قام عمر بن الخطاب إلى النبي، فقال: إنك لا تزال تقول لعلي بن أبي طالب: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» وقد ذكر الله هارون في القرآن ولم

---

(١) ق: ١٠.

يذكر علياً؟! ـ لاحظوا الاعتراض على النبي، وما أكثر أمثال اعتراضه هذا على الرسول الأعظمﷺ(١)، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾(٢) ويقول جل اسمه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٣) إنه اعتراض واضح على النبي: بأنك لماذا تذكر علياً والله لم يذكره في كتابه؟! وكأن النبي خارج عن أمر الله أو هو في جبهة مخالفة لله ـ والعياذ بالله ـ أو كأن النبي ليس هو الذي قد قال الله تعالى فيه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ فكلامه كلام الله ﷻ؛ لأنه لا يكون إلا عن وحي، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾.(٤)

فكيف تعترض على النبيﷺ في ذلك؟! إلا أنه كما يقولون: الفاروق أبو حفص ولا أحد يسأل الفاروق عن قوله أو فعله!!

إذن: قام عمر بن الخطاب إلى النبيﷺ، وقال: إنك لا تزال تقول لعلي بن أبي طالبعليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» وقد ذكر الله هارون في القرآن ولم يذكر علياً؟! فقال النبيﷺ: «يا غليظ يا أعرابي، إنك ما تسمع ما يقول: (هذا صراطُ عليٍ مستقيم)..»(٥)

فهذه قراءة، ونحن الآن نلتزم بالقراءة المشهورة المعروفة، وعامة علماء الشيعة أيضاً يلتزمون بهذه القراءة المعروفة المشهورة، وهي:

---

(١) راجع «النص والإجتهاد» و«الغدير» وغيرهما..

(٢) النجم:٣ـ٤.

(٣) النساء: ٦٥.

(٤) الحشر:٧.

(٥) المنقبة الخامسة والثمانون، من المناقب: ص١٦٠، وفي رواية ابن شهرآشوب: «يا غليظ يا جاهل..» والبحار: ج٣٥، ص٥٨..

﴿قَالَ هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ ولكن إذا كانت هنالك روايات أخرى بقراءات أخرى، فليس لك الحق بأن تحتجَّ على الطرف الآخر، وتقول: لماذا تقرأ هكذا؟! إنه تحريف للكتاب؟!

إذ يجيبك الطرف الآخر: إن هناك عندكم الكثير من القراءات للكثير من الألفاظ بالعديد من المعاني المغيرة للقرآن، وهي موجودة ومذكورة في مصادركم، ثم لا تعترض وتقول: (هذا تحريف للقرآن الكريم)، لكنك بمجرد أن تسمع قراءة عن أهل البيت (عليهم سلام الله) تعترض وتحتج!!

هذا مع قطع النظر عن أنك تصرح في صحاحك ـ بما مفاده ـ أن ثلثي القرآن الكريم محذوف! وتصرح بأن سوراً طوالاً محذوفة! وتصرح.. وتصرح...!!

ولهذا المبحث مجال واسع.

[٢١]

الجواب الحادي والعشرون

سد أبواب التدليس

الإجابة الحادية والعشرون عن هٰذا الإشكال وعن هٰذا السؤال: هي: إن الله ﷻ لم يذكر اسم الإمام علي وسائر ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (عليهم صلوات المصلين) في القرآن الكريم بصراحةٍ لا تقبل التأويل وبنحو يغلق أبواب دعوى الخلاف بشكل مطلق[1]، لكي يسد باب التدليس، وباب التزوير، وباب الإدعاء، وباب الافتراء، وباب الكذب، وباب الدجل على الله ورسوله.. ولكن كيف؟

نقول: أليس (الحكيم) هو الذي يستفيد من التجارب ويعتبر منها؟

وألا يجب على (العاقل) أن يعتبر ويواجه محتملات المستقبل بسلاح المعرفة الآنفة والخبرة السالفة والتجارب الماضية؟

---

(١) التقييد بهذا القيد هام؛ إذ قد ذكر الله سبحانه اسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم بالصراحة، لكنها صراحة يمكن معها نوع من تأويل أو دعوى الخلاف، كما سيأتي في الجواب الواحد والثلاثين، وذلك تقريباً ككل صريحٍ يمكن فيه التأويل.

لا شك أن عليه ذلك.. فلنلاحظ ما الذي تحكيه لنا عِبَر التاريخ وتجاربه:

الدجالون بعد النبي يوسف (على نبينا وآله وعليه السلام)

فقد جاء في التاريخ، وورد في الرواية: أن يوسف الصديق (على نبينا وآله وعليه السلام) جمع آل يعقوب حوله، وقال لهم: «إن هٰؤلاء القبط سيظهرون عليكم ويسومونكم سوء العذاب» وأوضح لهم أنه سيصنعون بهم كذا، وسيأتي شخص اسمه موسى بن عمران ينقذهم من تلك المآسي.. وكان ذٰلك مجرد إخبار مستقبلي من يوسف النبي، ولعله لم يكن قد ورد في كتاب سماوي.. ولكن ماذا كانت النتيجة؟

عندما قال يوسف الصديق ذلك، بدأ العديد من الناس بالتزوير والتدليس والتخطيط المخادع للمستقبل، فعندما كان يولد له ولد كان يُسميه (عمران)، وعندما يكبر كان يزوجه ويُسمي ابنه (موسى)، فصار إسم هٰذا الحفيد (موسى بن عمران) لكي تمكنه الدعوى من أنه النبي الموعود، وتنطلي الحيلة على الناس، وإن كان البعض ربما قام بذلك بحسن نية، وأملاً بأن يكون ابنه هو المنقذ، أي: يكون هو موسى بن عمران النبي..

بل إننا الآن وفي الحال الحاضر، نشهد الكثير من نظائر ذٰلك ممن يدعي إنه (السيد الحسني) أو غيره، أو ممن يدعي ولو في نطاق محدود وللمقربين منه جداً!. إنه هو (المهدي المنتظر عجل الله فرجه)!!

وفي كل زمان هناك أناس مخادعون، يتصيدون بالماء العكر..

ولنرجع إلى قصة يوسف النبي، وأولئك الذين ادعوا كونهم هم النبي موسى الموعود.. فقد ظهر أول مدعٍ بأنه موسى النبي المنقذ الموعود..

ثم ظهر مدعٍ ثانٍ، ثم ثالث.. ثم رابع.. وخامس.. وسادس.. واستمرت هٰذه الحالة طَوال أربعمائة سنة، ليظهر العشرات ممن ادعوا كذباً وزوراً وتزويراً وتدليساً، بأنهم هم (موسى بن عمران)!!

ألا يكفي ذٰلك عبرة؟! وأليست هٰذه تجربة؟! وأليس هٰذا شاهداً ودليلَ صدقٍ على أن الله تعالى إذا كان يذكر اسم الإمام علي بن أبي طالب وسائر الأئمة المعصومين (عليهم سلام الله) في القرآن الكريم بصراحة شديدة غير قابلة للتأويل، كان الكذابون يرونها فرصة وأيَّة فرصة، فيسمي ولده الأكبر طالب ويكون حفيده علي بن أبي طالب المذكور في القرآن، كما جرى لسيدنا موسى (على نبينا وآله وعليه السلام)..فالناس هم الناس والزمان هو الزمان..

وعوداً إلى الرواية، نجدها تقول: «إن يوسف بن يعقوب (صلوات الله عليهما) حين حضرته الوفاة جمع آل يعقوب وهم ثمانون رجلاً، فقال: (إن هٰؤلاء القبط سيظهرون عليكم ويسومونكم سوء العذاب، وإنما ينجيكم الله من أيديهم برجل من ولد لاوي بن يعقوب اسمه موسى بن عمران عليه السلام غلام طويل جعد آدم) فجعل الرجل من بني إسرائيل يسمي ابنه عمران، ويسمي عمران ابنه موسى..»، ويذكر أبان بن عثمان عن أبي حصين عن أبي بصير عن الإمام أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «ما خرج موسى حتى خرج قبله خمسون كذاباً من بني إسرائيل، كلهم يدعي أنه موسى بن عمران..»[1]

ولا ريب في أن ما ذكرناه احتمال وارد، و(إذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال)، وهو احتمال عقلائي، وتشهد له تجربة تاريخية سابقة؛

---

(١) الرواية طويلة وجميلة، فراجع موسوعة «بحار الأنوار» للعلامة المجلسي قدس سره ج١٣، ص٣٨ عن إكمال الدين للشيخ الصدوق قدس سره.

فكان من مقتضى الحكمة أن يغلق الله ﷻ الباب على هٰؤلاء الدجالين المبتدعين؛ كي لا يستندوا زورا وتزويراً إلى القرآن الكريم في دعواهم.

ولعلكم سمعتم عن شخص ادعى حديثاً ـ قبل فترة وجيزة ـ في العراق بأنه ابن علي بن أبي طالب عليه السلام من صلبه مباشرة.. ولكن كيف يكون ابن علي بن أبي طالب من صلبه مباشرة؟!

لقد ادّعى: أن الله تعالى ـ والعياذ بالله من هٰذا الكلام ونظائره ـ حفظ نطفة علي (عليه سلام الله) في السماء لمدة ألف وثلاثمائة سنة، ثم نزلت إلى الأرض لتحط في رحم أمه، فهو وليد تلك النطفة!!

والحاصل: أنه قد يكون من الحِكمة في عدم الذكر الصريح صراحة لا تحتمل معها الكناية، لاسم أمير المؤمنين علي وسائر ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (عليهم سلام الله) في القرآن الكريم، هو ذلك؛ وأن الله ﷻ أراد أن يغلق باب الدجل، وباب التدليس، وباب التزوير على كل هؤلاء، فيما لو ذكر هٰذا الاسم المبارك الميمون في القرآن الكريم..

لا يقال: لكن الرسول ﷺ قد ذكر الأسماء؟!

إذ يقال:

أولاً: الرسول قد ذكر الأسماء مع الخصوصيات الشخصية التي لا تقبل التحريف، و ـ منها مثلاً ـ: إنه أمسك بيد علي بن أبي طالب عليه السلام ورفعها للسماء حتى بانَ بياض إبطيهما، وقال: (من كنت مولاه فهذا علي مولاه...) إلى آخر حديث «غدير خم»، ومثل هٰذا ليس متيسراً في القرآن الكريم، أو أي كتاب آخر.

ثانياً: إن مقتضى الجمع بين الحقين هو ذلك.. وبتعبير آخر: إن عدم ذكر القرآن للأسماء بصريح القول من جهةٍ مع ذكر الرسول

الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، للأسماء الطيبة من جهة أخرى، كان تقليلاً للخسائر إلى الحد الأدنى الممكن.

وبذلك يظهر الجواب عن التساؤل آخر: لكنكم ذكرتم أن اسمه (صلوات الله عليه) مذكور في القرآن الكريم؟[1]؛ إذ الجواب هو أن الاسم قد ذكر، لكن مع فتح الباب للتأويل، بل ومع فتح الباب تكويناً لقراءة أخرى، وبذلك يجمع بين الحقين، كما تتحقق مقتضيات عالم الابتلاء والامتحان والفتنة، وقد فصلنا ذٰلك في الإجابات: (٢٤ ٢٥ ٢٦) فراجع..

وتوضيح ذٰلك بإيجاز: أن الله تعالى فتح باب (التأويل) واحتمال إرادة غير العَلَم والشخص، لسد باب التدليس ولو في الجملة؛ إذ تضعف الرغبة لدى المدلس للتدليس مع وجود هٰذا الاحتمال، كما يُحتج عليه بذلك الاحتمال، هٰذا لو التفت المدلسون أصلاً إلى معنى الآية، وأن المراد بها (الشخص) و(العَلَم).

ومن جهة أخرى: فإن (أصحاب الحق) الحقيقيين، بمقدورهم (الاحتجاج) ولو بجهدٍ وجهاد على ذكر أسماءهم في القرآن الكريم.

وهذا المزيج الفريد، هو من عجيب صنع الله تعالى وحكمته البالغة، حيث صنع ما يشبه الجمع بين الأضداد (من فتح الباب وغلقه، أي فتحه على أصحاب الحق ليحتجوا، وإغلاقه على المبطلين كي لا يحتجوا، وكل ذٰلك في كلام واحد فقط!!)، فليتدبر فيه جيداً، فإنه باب من أبواب عظمة الله تعالى، كما أنه باب يفتح منه ألف باب.

(١) في الجواب السابق، وفي الجواب الواحد والثلاثين الآتي.

كما أن هٰذا المزيج الغريب (من فتح الباب في الجملة وإغلاقه في الجملة) هو من مصاديق (الابتلاء) و(الفتنة) و(الامتحان) كما سيأتي في الأجوبة: (٢٤، ٢٦) فليراجع وبدقة، والله الهادي.

حقّقوا ولا تتهموا!

ومن الضروري أن ألفت الأنظار إلى ملاحظة هامة، هي: أن اخوتنا الكرام من أهل التحقيق، عندما يراجعون كتب علماء الشيعة، فيجدونهم قد ذكروا مصدراً، كـ«البخاري» أو «مسلم» أو غيرهما بالصفحة والرقم! ثم عندما يراجعون تلك الصفحة أو ذاك الرقم ولا يجدون الرواية في تلك الصفحة ولا في ذاك الرقم! فليضعوا في بالهم أن يبحثوا أكثر؛ لأن الطبعات قد تكون مختلفة أولاً، وثانياً: أحياناً يكون هنالك غلط مطبعي، مثل ما نلاحظه الآن في كتاب «البيان» حيث ينقل بعض هٰذه الرواية (آية الرجم) التي قرأناها عليكم قبل قليل، ينقلها عن صحيح البخاري، «صحيح البخاري، كتاب الحدود، رقم الحديث ٦٧٣٦»، وقد راجعت ـ للاحتياط ـ البخاري لكي أنقل ما رأيته مباشرة أيضاً، فلم أجد الرواية، أي لم تكن هٰذه الرواية في هٰذا الرقم موجودة، لكنني احتملت وجود غلط مطبعي أو شبهه في النقل، واحتملت أن تكون الرواية في رقم آخر، فقلت لأحد الأخوة أن يبحث، فإذا بالرواية موجودة، ولكن رقمها هو: ٦٨٣٠ حيث يقول: أخرج الطبراني بسند موثق..

فمن الضروري إذن على طالب الحقيقة أن يقوم بالبحث عن الرواية حتى يعثر عليها.

بل لعل الكاتب ينقل رواية عن إحدى الصحاح اعتماداً على حافظته، والحال أن الرواية موجودة في صحيح آخر، فعلى المحقق أن يبحث

حتى يصل للحقيقة، لا أن يكابر ـ متعجلاً ـ بدعوى أن تلك الرواية لم تكن في خصوص هٰذا الكتاب أو ذاك..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين..

ملحق:

ولقد قام الأخ الكريم المحقق للكتاب ـ مشكوراً ـ باستخراج بعض نصوص روايات أهل الخلاف التي يُصرح بعضها بحذف آية من القرآن الكريم، بل بحذف العشرات من آياته، أو بحذف بعض السور منه، أو التي يشكك بعضها في كون الجملة الكذائية هي جزء القرآن أم لا، وهي هذه:

مثلاً:

[١/٥٧٩٢] وقال أبو داود الطيالسي: ثنا ابن فضالة، عن عاصم، عن زر قال: «قال لي أبي بن كعب: يا زر كيف تقرأ سورة الأحزاب؟ قال: قلت: كذا وكذا آية، قال: إن كانت تضاهي سورة البقرة، فإن كنا لنقرأ فيها: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله ورسوله» فرفع فيما رفع»[1].

[٢/٥٧٩٢] رواه أحمد بن منيع: ثنا أبو أحمد الزبيري، ثنا سفيان، عن عاصم، عن زر بن حبيش قال: «سألت أبي بن كعب عن آية الرجم فقال: كم تعدون سورة الأحزاب؟ قلت: ثلاثاً أو أربعاً وسبعين آية، فقال:

(١) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للحافظ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري.. موافق لطبعة دار الوطن١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م

إن كانت لتقارب سورة البقرة أو أطول، وإن فيها لآية الرجم: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم»(١).

[٣/٥٧٩٢] ورواه ابن حبان في صحيحه: من طريق منصور، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش قال: «لقيت أبي بن كعب فقلت له: إن ابن مسعود كان يحك المعوذتين من المصاحف ويقول: إنهما، ليستا من القرآن، فلا تجعلوا فيه ما ليس منه. قال أبي: قيل لرسول الله ﷺ فقال لنا، فنحن نقول: كم تعدون سورة الأحزاب من آية؟ قال: قلت: ثلاثاً وسبعين آية. قال أبي. والذي أحلف به إن كانت لتعدل سورة البقرة، ولقد قرأنا فيها آية الرجم: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم»(٢).

[٥٧٩٣] قال أبو داود: وثنا شعبة، عن قتادة، سمعت يونس بن جبير يحدث، عن كثير بن الصلت «أنهم، كانوا يكتبون المصاحف عند زيد بن ثابت رضي الله عنه فأتوا على هٰذه الآية فقال زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله ورسوله»(٣).

هذا إسناد رواته ثقات.

١٥ـ (١٦٩١) حدثني أبو الطاهر وحرملة بن يحيى قالا حدثنا ابن وهب يونس عن ابن شهاب قال أخبرني عبيدالله بن عبدالله بن عتبة أنه سمع عبدالله بن عباس يقول: قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول

(١) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للحافظ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري.. موافق لطبعة دار الوطن١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م

(٢) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للحافظ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري.. موافق لطبعة دار الوطن١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م

(٣) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للحافظ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري.. موافق لطبعة دار الوطن١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م

الله ﷺ إن الله قد بعث محمدا ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة، أو كان الحبل، أو الاعتراف

[ش (فكان مما أنزل عليه آية الرجم) أراد بآية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة وهذا مما نسخ لفظه وبقي حكمه (أو كان الحبل) بأن كانت المرأة حبلى ولم يعلم لها زوج ولا سيد][1]

٢٦٤٥ ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا هارون، عن عنبسة، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمٰن بن أبزى، قال: صليت خلف عمر صلاة الغداة، فلما فرغ من قراءة السورة في الثانية، كبر ثم رفع صوته: «اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك ولا نكفرك، ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، إن عذابك بالكفار ملحق».[2]

٤٩٦٩ ـ عبد الرزاق عن بن جريج قال: أخبرني عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يأثر عن عمر بن الخطاب في القنوت أنه كان يقول: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم وانصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم العن كفرة أهل الكتاب الذين يكذبون رسلك ويقاتلون أولياءك اللهم خالف بين كلمتهم وزلزل أقدامهم وأنزل بهم بأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين، بسم الله

(١) مسلم ج٣ باب رجم الثيب في الزنا،ح(١٦٩١)) . و«البخاري» في أربع مواضع روى أطرافاً من الرواية.

(٢) تهذيب الآثار للطبري ج٦ص١٣٧،ح ٢٦٤٥ .

الرحمٰن الرحيم اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك، بسم الله الرحمٰن الرحيم اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخاف عذابك إن عذابك بالكفار ملحق.

قال: وسمعت عبيد بن عمير يقول: القنوت قبل الركعة الآخرة من الصبح، وذكر أنه بلغه أنهما سورتان من القرآن في مصحف بن مسعود، وأنه يوتر بهما كل ليلة، وذكر أنه يجهر بالقنوت في الصبح، قلت: فإنك تكره الاستغفار في المكتوبة فهذا عمر قد استغفر؟ قال: قد فرغ هو في الدعاء في آخرها[1]...

٣٥٣٨٥ـ عن زر قال: قال لى أبى بن كعب: يا زر كأين تقرأ سورة الأحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية، قال: إن كانت لتضاهى سورة البقرة، أو هى أطول من سورة البقرة، وإن كنا لنقرأ فيها آية الرجم، وفى لفظ: وإن فى آخرها، الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم، فرفع فيما رفع (عبد الرازق، والطيالسى، وسعيد بن منصور، وعبد الله فى زوائده على المسند، وابن منيع، والنسائى، وابن جرير، وابن المنذر[2].

١٠٣٠ ـ الرابع والخمسون عن عطاء عن ابن عباس، قال: سمعت النبيﷺ يقول: لو أن لابن آدم مثل وادٍ مالاً لأحب أن له إليه مثله، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب، قال ابن عباس: فلا أدري من القرآن هو أم لا؟! قال: وسمعت ابن الزبير يقول ذٰلك على

---

(١) مصنف عبد الرزاق ج٣ص١١١

(٢) عبد الرازق، والطيالسى، وسعيد بن منصور، وعبد الله فى زوائده على المسند، وابن منيع، والنسائى، وابن جرير، وابن المنذر

المنبر، وفي رواية أبي عاصم: لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لا بتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب[١].

٦٤٣٦ ـ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءٍ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ ـ رضى الله عنهما ـ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ كَانَ لاِبْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لاَبْتَغَى ثَالِثًا، وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»[٢].

٣٥٤٣٠ـ عن ابن عباس قال: كنت عند عمر فقرأت: (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب) فقال عمر: ما هذا، فقلت: هٰكذا أقرأنيها أبى، فجاء إلى أبى وسأله عما قرأ ابن عباس فقال هٰكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ[٣].

---

(١) الجمع بين الصحيحين: ج ٢ص٣٥،ح١٠٣٠.

(٢) البخاري ج٢١ص٢٩٥.

(٣) أخرجه أحمد (١١٧/٥، رقم ٢١١٤٨)، والضياء (٤١١/٣، رقم ١٢٠٩)ـ(جامع الأحاديث ج٣٢ص٣٨٣).

[٢]

لماذا لم يذكر الله اسم الإمام علي والأئمة(عليهم السلام) في القرآن الكريم؟

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين بارئ الخلائق أجمعين باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

يقول الله ﷻ في كتابهِ الكريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.[1]

والبحث في هٰذه المحاضرة يُعدُّ تتمةً لبعض الأبحاث السابقة حول هٰذه الآية القرآنية الشريفة، حيث أوضحنا أن المراد بـ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في هٰذه الآية الشريفة، كأجلى مصاديقها، هم:[2] الرسول الأعظم، وأهل بيته الأطهار بدءاً من الإمام علي بن أبي طالب ووصولاً إلى الإمام المهدي المنتظر (عليهم سلام الله وصلواته، وعجل الله تعالى فرجهم، بفرجه الشريف).

ثم وصلنا إلى تساؤل هو: لماذا لم يصرح الله بأسماء ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في القرآن الكريم؟ حيث إننا نعتقد أن الإمامة، والوصاية، والخلافة، والولاية العامة والشاملة والتامّة، هي للإمام علي بن أبي طالب (عليه سلام الله) بعد رسول الله ﷺ ثم للإمام الحسن، ثم للإمام الحسين، ثم للإمام السجاد، ثم للإمام الباقر، والإمام الصادق، والإمام الكاظم، والإمام الرضا، والإمام الجواد، والإمام الهادي، والإمام العسكري، والإمام الحجة المهدي المنتظر (عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى السلام)..

وقد ذكرنا مجموعة أجوبة على هٰذا السؤال، كما أوضحنا: أن هٰذا السؤال سؤال عام وسيَّال فيما يتعلق بالقرآن الكريم، حيث إن هنالك قضايا كثيرة وهامة لم يَصرِّح بها القرآن الكريم.

مثل: (حقوق المرأة) والتساؤلات المطروحة عنها؟

---

(١) التوبة: ١١٩.

(٢) وسنشير في بحث لاحق إلى كون (ال) في ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ للعهد، فيكون المراد بـ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في الآية الشريفة على هٰذا هم الرسول والأئمة عليهم السلام حصرياً.

ومثل: (الاقتصاد الإسلامي) ما هي معالمه، وأبعاده، وحدوده، وأُطُرُهُ؟

ومثل الكثير من القضايا النظرية، والعلمية، والفلسفية، والكلامية.. كبحث (الهرمنيوطيقيا) المبتدع في العصور الأخيرة.

وقد ذكرنا أنّ هٰذه الأجوبة التي نستعرضها ونعرضها لكم، بعضها مشترك، ويصلح كإجابة عن كل تلك الأسئلة، وبعضها خاص بالسؤال مورد البحث، وهو: لماذا لم يذكر اسم ﴿ٱلصِّدِّيقِينَ﴾ في القرآن الكريم؟

[٢٢]

الجواب الثاني والعشرون

للحجة أنواع وهي قائمة على كل حال

الجواب الثاني والعشرون هو: إنّ (الحجة) و(الحجج) سواءً لدى العقل، أم في بناء العقلاء وسيرتهم، ولدى كل الأمم والملل والنحل، وأيضاً جرى على ذٰلك القرآن الكريم، والرسول العظيمﷺ هي على أقسام، ومنها:

أ. النص والظاهر

ذلك أنه يوجد لدينا (نصّ)، والنصُّ حجة بدون شك؛ وعندنا (ظاهر) والظاهر أيضاً حجة، فإن قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ظاهرٌ في الوجوب، وليس نصاً في الوجوب؛ لأن الأمر ظاهرٌ في الوجوب، وليس نصاً، وذلك لاحتمال الاستحباب فيه، وما أكثر موارد إرادة الاستحباب من الأمر، لكن (الظاهر) أيضاً حُجة.. كما النص حُجة.

ب. الدلالة المطابقية وأخواتها

وكل من (النص) و(الظاهر) ذو دلالات ثلاثة، فإن الدلالة المطابقية من الحجج، والدلالة التضمنية من الحجج، والدلالة الإلتزامية من الحجج.. فليست (الحجة) منحصرةً في الدلالة المطابقية، والنص الحرفي، وإنما الدلالة الإلتزامية هي أيضاً حجة من الحجج..

إذا قال أحدهم: (فلان كثير الرَّماد) فإنه أراد به معنى كِنائياً؛ إذ يُكنَّى بهذا المصطلح عن الجود، عن أنه كريم جواد..

وإذا قال أحدهم: (فلان جبان الكلب)، فذاك يعني ـ أيضاً ـ أنه جواد كريم، لأن الجواد هو الذي يتوافد عليه الناس بكثرة؛ لذا فكلبه لا ينبح عليهم، ويكون جباناً لا يهاجم الإنسان الغريب، فالذي يَكثُر عليه الضيوف ويُكثِر من الاستضافة، فإنه يُدَرِّب الكلبَ على أن لا يتعرض لهم، فيُكنى عن ذٰلك المعنى بـ(جبان الكلب).

فهذه كناية، وهي من جمال الكلام وفنون البلاغة، والجاهل فقط هو الذي يعترض عليها، أما الذي يعرف الموازين فيعرف أن الحجة قد تكون بالدلالة المطابقية، وقد تكون بالدلالة الإلتزامية، وقد تكون بالدلالة التضمنية.

ج. دلالة الإقتضاء وأخواتها

كما أن الدلالة قد تكون بأنواع أخرى من الحجج[١]، (كدلالة الاقتضاء) فهذه الدلالة هل هي حجة أو لا؟

(١) وهي كلها فروع الدلالة الإلتزامية.

إن الجاهل فقط يُنكر هٰذه الحجة، لكن العالم يعلم أنها حجة ومن أروع الحجج.. قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾[1]

فما معنى اسأل القرية؟

هل يسأل جدران القرية؟

هنا مُقدَّر يُدركه العاقل يعني: (اسأل أهل القرية) على رأيٍ في البلاغة، فهنا (مجازٌ في الحذف)، ويحتمل أن يكون (المجاز في الإسناد)، بأن لا تقدر شيئاً، بل نتجوز في إسناد أمر إلى غير من هو له؛ إذ أحياناً يكون المجاز في الحذف، وأحياناً يكون في الإسناد، وكلاهما ممكن توجيهه في الآية حسب المستظهر.. والفرق أن (المجاز في الحذف) مجاز في (اللفظ)، و(المجاز في الإسناد) مجاز في (أمر عقلي) ولكل منها جمال.

فإذن، هٰذا النوع من الحجة هو من الحجج دون ريب، وقد اسموها (دلالة الاقتضاء)، وهي ما يتوقف صدق الكلام أو صحته عليه.

وفي هٰذه الآية تتوقف صحة الكلام على تقدير الأهل، أو التجوز في الإسناد؛ إذ لا معنى لـ(اسأل القرية)، إذن، هٰذا نوع من الحجج، وهناك أنواع أخرى من الحجج مثل ما يُعبَّر عنه بدلالة الإيماء، والتنبيه، ودلالة الإشارة..

فلو ضممت آية من أوائل القرآن الكريم، إلى آية أخرى من أواخر القرآن الكريم، فاستنبطت معنىً ثالثاً فهذه الدلالة لا هي مطابقية، ولا

(١) يوسف: ٨٢.

هي تضمنية، ولا هي إلتزامية بالمعنى المعهود للإلتزامية[1]، وإنما هي من نمط آخر من الدلالات[2].. كما أن الإمام أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة وأزكى السلام) استنبط أدنى مُدة الحمل من الجمع بين الآيتين الشريفتين: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[3]، والآية الكريمة الأخرى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾.[4]

إذن، (الحجة) ليست منحصرة في (الحجة المطابقية) فقط أو في (النص) فقط، كما يتصورها هٰذا الإنسان المستشكل الذي يقول: لماذا لا يوجد (الاقتصاد الإسلامي) بحدوده وبنوده في القرآن الكريم؟

أو لماذا لم يذكر اسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم؟

ذلك أن القرآن الكريم لا تنحصر حججه في النص والدلالة المطابقية، كما أن بناء العقلاء وسيرتهم أيضاً على ذلك؛ فإن الحجج متنوعة..

د. الحجة البسيطة والحجة المركبة

كما أنه توجد لدينا إضافة إلى ما سبق ذكره من (الحجج البسيطة): (حجة مركبة).

---

(١) فإن المعنى المعهود هو ما يلزم (الكلام الواحد)، أما ما يلزم من جمع كلامين من موضعين فإنه لا يطلق عليه الدلالة الإلتزامية بالمعنى الأخص وإن صح توسعاً.

(٢) من الإلتزامية بالمعنى الأعم.

(٣) الأحقاف: ١٥.

(٤) البقرة: ٢٣٣.

فإن الحجج في (الرياضيات) مثلاً تكون أحياناً مركبة؛ إذ يجب أن تُجرِي عدَّة عمليات رياضية متتالية حتى تصل إلى نتيجة؛ أليس كذلك؟

وفي (المنطق) أحياناً يجب أن تجري عدة أشكال من القياس أو غيره، من شكل أول، وشكل ثانٍ، وشكل ثالث، وشكل رابع، ومن عكسٍ مستوٍ، وعكسِ نقيضٍ وغيرهما، ثم ترتب شكلاً على شكل وأصلاً على عكسٍ، لكي تصل إلى النتيجة..

إن الجاهل فقط يُعطى (الحجة البسيطة) التي لا تتجاوز كلمة واحدة أو كلمات بسيطة التركيب، وكذا الذي لا يفهم أي شيء كالطفل الذي عمره سنة أو سنتان، تقول له كلمة أو جملة بسيطة فقط، وكلما تكامل أكثر فأكثر فإنه يُعطى حججاً مُعقدة، وجُمَلاً مُركبة أكثر فأكثر؛ لأن هٰذا التركيب ينتج علوماً أكثر؛ فإن تركيب ألف مع باء ينتج جيم، ولكن ألف مع باء مع جيم ينتج قضايا أكثر، إذ يمكن تركيب ألف مع باء، وألف مع جيم، وباء مع جيم، والثلاثة مع بعض، وإذا اجتمع ألف، مع باء، مع جيم، مع دال، فإن النتائج تكون أكثر وأكبر، وإذا الحروف صارت خمسة فالمفردات والنتائج على ضوء التركيبات المختلفة لأيٍّ منها مع أي منها، وأيّ إثنين منها مع الثالث، أو الرابع، أو الخامس، وأية ثلاثة منها مع غيرها، وهكذا، ستكون أكثر.. وتتصاعد (تصاعداً هندسياً) غريباً...

فالحجة إذن: بسيطة، ومُركبة كما هي نصٌ، وظاهرٌ، ودلالة مطابقية، والتزامية، وتضمنية، ودلالة اقتضاء،وتنبيه وإيماء، وإشارة، وما أشبه ذلك.

وفي الجواب عن سؤال (الاقتصاد الإسلامي) وأنه هل هو مذكور في القرآن الكريم أم لا؟

نقول: إنه ليس مذكوراً بكل بنوده بالنص، ولكن عدم وجود النص على القضية لا يستلزم عدم وجود الدليل عليها أو الدال عليها في القرآن الكريم بنفسه، فإنّ سيرة العقلاء مبنية على تنوع الحجج، واختلاف الدلالات، وعدم استخدام (النص) فقط في التفهيم والإفهام وفي مقام إقامة الحجج والبراهين، إلا لو كان المخاطب طفلاً يحبو أو جاهلاً مطلقاً.. وعندما يتساءل شخص قائلاً:

لماذا اسم الإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة وأزكى السلام) غير مذكور في القرآن الكريم؟

نقول له: هل نفي (الأخص) يستلزم نفي (الأعم)؟

إن الحجة ليست بالنص فقط، ونحن لسنا بحاجة لأن يكون هنالك لفظٌ صريحٌ باسم الشخص، وكنيته، ولقبه، واسم أبيه، وجده إلى سبعة أجداد ـ مثلاً ـ في القرآن الكريم حتى نؤمن بذلك، كلا، هٰذا ليس مطلوباً.. وإنما المطلوب وجود (الحجة) على إمامة الإمام علي (سلام الله عليه) في القرآن الكريم، سواء كان بالنص، أم سائر الحجج؛ فإن نص القرآن حجة، وظاهر القرآن حجة، ودلالته الالتزامية حجة، ودلالاته الأخرى أيضاً حجة.. فإن القرآن الكريم (حجة) الله تعالى، من جميع الجهات دون ريب.

ولنضرب لكم الآن مثالاً من القرآن الكريم، يجمع الاستدلال بالظاهر، كالسياق، والسنخية، إلى دلالة الاقتضاء[1] إلى الحجة من الأدلة: السنخية، والسياق، والحكم، في آية «إكمال الدين».

(١) إذ يتوقف صحة الكلام مثلاً على ما ذكرناه في بند ـ وكذا هـ.

من الأدلة: سياق آية «إكمال الدين»

فنقول: يا أخانا الكريم، الآيات الشريفة تقول:﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.(١)

فإن السياق في هٰذه الآيات شاهد على أن: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ أمر جديد مستأنف قد وضع وسط آيات من جو آخر، ولكن لماذا؟ إنه دون شك للإلفات وللسؤال عن معناها وشأن نزولها، فيكتشف الحق المضيع للإمام أمير المؤمنين علي (عليه سلام الله)، وأيضاً لحفظ القرآن عن التحريف؛ فإن من عوامل حفظه عن التحريف هو هٰذا الأسلوب القرآني الإلهي الفريد وسيأتي في المحاضرات القادمة تفصيل لهذه النقطة بإذن الله تعالى(٢).

وبعبارة أخرى: نلاحظ أن صدر الآية هو عن الميتة ونظائرها: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ كما أن آخر الآية هو عن الاضطرار لأ كلها، لكن في وسط الآية الكريمة نجد: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ وههنا شواهد واضحة قوية:

أ. إنه ليس من المناسب في (الحكمة) أبداً، أن يكون الله تعالى قد أكمل الدِّين بهذه الأشياء (تحريم الدم ولحم الخنزير..)، خاصة مع

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) في المجلد الثالث بإذن الله تعالى.

ما تحمله كلمة (الإكمال) من الروعة والجمال والعظمة والبهاء، ويتضح ذٰلك بمثال: إن المهندس لمدينة عظيمة يستحسن عند إنتهاء بناءها، أو قرب إنتهائها، أن يقول: أكملت لكم مدينتكم ببناء أعظم جامعة فيها، أو أعظم مرصد فلكي، أو ما أشبه، ولا يستحسن أن يقول: أكملت لكم مدينتكم بتجهيزها بأخس الأشياء اللازمة وأحطها(١) فإنه ليس من بلاغة الكلام أبداً، ولا من الجمال في الحديث أصلاً.

ب- ثم إنه لا سنخية ولا تجانس من حيث المضمون والمحتوى، بين تحريم تلك الأشياء كالمنخنقة والنطيحة، وبين: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾.

ج- هٰذا إضافة إلى ما سبق ذكره، من أن (السياق) قد اختلف تماماً؛ ولذا يقولون تبريراً لاختلاف السياق: بأنها جملة معترضة في الآية، ولكن هٰذا القول غير تام؛ إذ لا معنى لجملة معترضة أجنبية عن الآيات السابقة واللاحقة، إلا لو كان هنالك هدف كبير جداً، وهو ما أشرنا إليه من الإلفات للحق بطريقة الحجة (النقلية العقلية) المبتكرة، ولصون الكتاب عن التحريف.

د- ثم إنه من الواضح، أن يأس الذين كفروا من دين المؤمنين، إنما يكون فيما لو نصب الرسول الأعظم ﷺ خليفةً له بمستوى المسؤولية، وعلى مستوى التحدي من كل الجهات، وليس عند تحريم الميتة والدم وأشباهها، وهي أحكام تشريعية كالألوف من الأحكام التشريعية الأخرى، بل الكثير من غيرها هو الأهم: كتشريع وجوب الصلاة والزكاة والحج، أو تشريع حرمة القتل، والزواج بالأمهات والزنا والربا والخمر، فلا خصوصية فيها ليكون إكمال الدين بها.

---

(١) كالمزابل مثلاً.

هـ ـ من الواضح لمن له أقل إنصاف وأقل ذوق، أن: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ ليست متفرعة على: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾؛ لوضوح كونها تفريعاً على ما قبل هاتين الجملتين، أي على ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾.(١)

ثم لاحظوا الروايات الكثيرة التي تذكر أن هٰذه الآية الشريفة نزلت في «غدير خم»(٢)، أو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.(٣)

فهذه إذن (حجة مركبة) من آية قرآنية عظيمة، ومن شأن النزول وإنعقاد إجماع المفسرين والمؤرخين والرواة، على أنها نزلت في علي بن أبي طالب (سلام الله عليهما) فأية حجة أكبر منها؟!

فإن الآية الشريفة ـ بعد ملاحظة شأن النزول ـ واضحة الدلالة وضوح الشمس في رابعة النهار، ولا يشك فيها إلا معاند أو مكابر.

والحاصل: أن الحجة لا يلزم أن تكون (بسيطة) بالضرورة، أي مفردة واحدة واضحة المعنى والدلالة.. بل قد تكون (حجة مركبة)؛ كما أن الحجة قد تكون نصاً، وقد تكون ظاهراً، وقد تكون دلالتها ـ كما ذكرنا ـ دلالة مطابقية، أو غيرها، وقد تكون اقتضائية أو إيمائية أو غيرها، فكيف تُنكر وجود الحجة بكل أنواعها لمجرد عدم وجود نوع من أنواعها، أو مصداق من مصاديقها في دائرة النقاش؟!

(١) هٰذا كله إضافة إلى تساؤل: أنه هل أن الميتة والدم ولحم الخنزير مع كونها من أخبث المحرمات وأشدها ضرراً لم تكن محرمة قبل نزول هٰذه الآية الشريفة التي ذكر العلماء، أنها نزلت قبل شهادة الرسول الأعظمﷺ بأسابيع فقط (حوالي ٨٠ يوماً)؟!

(٢) الإتقان للسيوطي ـ ج١ ـ ص٧٥، وأسباب النزول للواحدي ـ ص١٣٥.

(٣) المائدة: ٥٦.

إن هٰذه الآية نزلت بالإجماع في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فماذا تريد أكثر من ذلك؟!

الأعذار العشرة للعبد المشاكس المكابر

وسنمثل الآن لكم بمثال دقيق ولطيف على ذلك؛ حتى نستكشف بوضوح حكم العقل وبناء العقلاء على عدم حصر (الحجة) و(الإحتجاج) في (النص)، وسنكتشف بأن هٰذا الإعتراض إما إعتراض إنسان مكابر ومعاند؛ وإما هو إعتراض صادر من إنسان ساذج ولا يعرف أبسط الموازين.. وإن كنّا نشكره على سؤاله، بل وإعتراضه إذا أراد به معرفة (الحق)، قال تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

والمثال هو:

إن المولى إذا أمر عبده قائلاً: (جئني بماء)، فهل للعبد أن يتفلسف بالأعذار التالية:

١. الأمر للإستحباب!

إن كثيراً من الأوامر هي للإستحباب، فلعل هٰذا منها؛ إذ الأمر ليس نصاً في الوجوب! فهل لهذا العبد أن يعتذر بهذا العذر؟!

ومثله هٰذا المستشكل الذي يتفلسف ويعترض قائلاً: (لماذا اسم الإمام علي عليه السلام غير مذكور في القرآن الكريم.؟ إذن لا نؤمن به كخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرةً؛ لأن: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لم تصرح بأن: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ هو علي بن أبي طالب عليه السلام! ولا يكفي الإجماع على أنها نزلت في حقه (عليه سلام الله) أو الروايات المتواترة!!)، أو يعترض قائلاً: (لماذا لا يوجد في القرآن الكريم تصريح لا لبس فيه: أن حقوق

الرجل مع حقوق المرأة معادلتها كذا؟!) أو: (لماذا لا يوجد في القرآن الكريم تصريح بأن لا ضريبة في الإسلام؟).

وذلك رغم وجود العشرات من الآيات الكريمة التي يستنبط منها كل ذلك، وغير ذلك!

٢. الأمر لا يدل على الفور!

ولنعد إلى مثال العبد الذي قال له المولى: (جئني بماء)، لكنه يتفلسف فيقول: (الأمر لا يدل على الفور!) ولا يأتي بالماء، فإذا سأله المولى: (لماذا لم تأتِ بالماء؟!) يجيبه: (إنك لم تقل لي ائتِ بالماء فوراً!!).. لأن المولى ـفعلاًـ لم يقل فوراً، فهل هٰذه حجة مقبولة لدى السيد ولدى كافة العقلاء؟! وهل يقبل أحد منه دعواه أن الظاهر ليس حجة؟! وكان على المولى أن يأتي بنصٍ في الفورية!

٣. الأمر الإرشادي!

ولهذا العبد المتفلسف ـالجاهل أو المتجاهلـ حجج أخرى، كأن يقول: (لا أدري هل هٰذا الأمر مولوي، أو إرشادي!!) وهكذا.. وهلم جراً..

وهذا النمط من التفكير و(الأعذار)، قد طبّقه قوم على القرآن الكريم، فماذا صارت النتيجة؟ النتيجة هي الخروج من الدين!! فلاحظوا مثلاً قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فبعض الصوفية يقولون: إن الله تعالى قال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ فإن كنت مُتذكراً الله تعالى، أو كنت مشغولاً بذكر الله باللسان، فإنه لا يحتاج بعدها إلى إقامة ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾!![1]، كما أن

(١) وتغافلوا عن أن الله تعالى طلب (ذكره) بالطريقة التي حددها هو، ولم يطلب ذكراً مطلقاً، وذلك كما أنه طلب من إبليس إطاعته عبر إطاعة أمره بالسجود لآدم، لا عبر إطاعة أمره بعبادته

بعض المتجددين قال: لا تجب علينا الصلاة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1] ونحن لم يمكنا الله في الأرض!![2]

وهذه الشبهات ليست واحدة أو اثنتين، أو ثلاثة.

وهذا المثال (العبد والماء) كاف لتبسيط الأمر وإيضاحه أشد الوضوح، وإلا فإن الضّلال، في كل أمر وعبادة جاء بها القرآن الكريم، أو السنة المطهرة، جاؤوا وتفلسفوا ـ مع الأسف ـ ليتهربوا من الشريعة والتكاليف الشرعية، وادّعوا أنهم سلكوا الطريقة الفلانية..

ولنرجع إلى مثال العبد، فنقول: هل لهذا العبد أن يتفلسف بهذه الحجج والأعذار ـ فراراً عن الطاعة ـ ويقول لسيده: هل هٰذا أمر مولوي، عليّ أن أطيعه، أم إرشادي، أي لإرشادي إلى ما فيه مصلحتي، وهو غير ملزم وإنني لا أريد فعل الصالح لي مادام لا إيجاب، فلا آتي بالماء! حيث احتَمِل كلاً من الأمرين في أمرك، فأبقى على أصالة عدم توجه التكليف إليّ!!

إن هٰذا العبد المتفلسف إنما هو كالمتفلسف في مقابل القرآن الكريم؛ حيث يقول: لماذا الاقتصاد الإسلامي، أو حقوق المرأة، وأسماء ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، لم تذكر في القرآن الكريم، بعبارة صريحة واضحة؟!

وقد ذكرنا ـ في الأبحاث الماضية ـ إحدى الأجوبة الأخرى على ذلك، حيث أوضحنا لدى البحث عن هٰذه الآية الشريفة: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ

بأي شكل كان، حتى لو كان بالسجود لله نفسه، بدل السجود لآدم.

(١) الحج: ٤١.

(٢) وتغافل عن أن الله تعالى قال: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ولم يقل: (الذين إن مكناهم صلوا) فإقامة الصلاة في البلاد تتوقف على القدرة والتمكين في الأرض، لا صلاة كل شخص شخص. كما تغافلوا عن أن (التمكين) في الإرض له درجات.

﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: أن أئمة أهل البيت عليهم السلام بدون شكٍ وبدون ريب، هم في طليعة ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ على أقل الفروض، إن لم يكونوا هم المقصود حصريًّاً بالآية الشريفة، فأنهم هم أفضل وأظهر وأجلى مصاديق هٰذه الآية الشريفة؛ وذكرنا بعض كلمات أكابر علماء السُّنة في الإمام الصادق (عليه الصلاة وأزكى السلام) في علمه، وورعه، وتقواه، وعدالته وغير ذلك، أنها حجةٌ واضحةٌ بينة.

٤. لعل الأمر إمتحاني!

ونرجع للعبد مرة ثانية، حيث يكمل تفلسفه؛ لأنه يريد نصاً حرفياً، فيقول: أنا لا أدري، هل هٰذا الأمر أمر امتحاني أو غير امتحاني، فلعله أمر امتحاني، كقوله تعالى على لسان أبينا إسماعيل (على نبينا وآله وعليه السلام): ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.[1]

وما هو جواب من يدعي مستفيداً من منهج الإقتصار على (النص) والجمود عليه، وأنه (الحجة) دون غيره، وأننا لا نتبع غيره، وأن القرآن الكريم لو شاء بيان شيء لاستخدم النص حتماً: (أن الأوامر في القرآن الكريم كلها أوامر إمتحانية)! أو أنها على الأقل (يحتمل فيها ذلك) وإذا جاء الاحتمال بطل الإستدلال! ومحتجاً على دعواه: (أن الأوامر ليست نصوصاً في كونها جدية، ولم تصرح بأنها ليست إمتحانية! فـ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قد يكون أمراً امتحانياً وليس أمراً جِديًّا!!).

(١) الصافات: ١٠٢.

٥. لعل الأمر فيه البداء!

وهل للعبد أن يتفلسف في مقابل مولاه، فيقول: ربما هٰذا أمر مما حدث أو يحدث فيه (البداء)، إذ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[1]؟

فلعل الله محاه أو سيمحوه! فهذا ليس أمراً من دائرة (اللوح المحفوظ)، وإنما هو أمر من محيط (لوح المحو والإثبات).. فهل لهذا العبد المتقيد بحرفية النص أن يقول: ربما يحدث لمولاي البداء! فصحيح أنه قال لي: (ائتِ لي بالماء) لكنني سأنتظر ساعة، أو ساعتين أو أكثر، فربما يتغير رأيه، أو يظهر لي أن رأيه كان مغايراً، فإن البداء بمعنى الإبداء في الله ﷻ.. وربما يكون قد حصل بداء لله أو المولى، ولم يصلني نص على أن هٰذا الأمر بالذات لا بداء فيه! فأنا معذور إذن!!

٦. ولعله تقية!

وهل للعبد، ذي العقلية الجامدة على الدليل النصي الصريح فقط، أن يقول: ربما هٰذا الأمر صَدَر تقية؛ فلعل المولى قال: ائتِ لي بالماء تقية!!

وأما في الشريعة فحيث لا تقية في حق لله، فإنه سيفلسف ذلك: بأن الأمر لعله صدر تقية من الرسول أو الإمام، فالوجوب غير معلوم إذن!!

٧. ولعله سينسخ!

وربما يتشبث هٰذا العبد فراراً عن الطاعة بإحتمال آخر في كلام المولى فيقول: ربما يُنسخ هٰذا الأمر أو النهي، والنسخ غير البداء كما هو

(١) الرعد: ٣٩.

واضح[1]، فإن قال السيد: (جئني بماء) فلعله بعد ذٰلك ينسخ هٰذا الأمر؛ لأنه ارتفع عطشه تلقائياً فرضاً، أو بأيّة علةٍ أخرى!!

٨. ولعل المولى غير جاد!

وهكذا هل بإمكانه أن يقول: لا يُعلم أن المولى جاد أم هازل!!

وأما: (أصالة الجد) في الكلام، فإنها (أصل) وليست نصاً ولا دليلاً واضحاً.

٩. ولعل (الأمر) تخييري!

ثم نجد العبد المشاكس، قد يتعلل أيضاً: بأنه لا يعلم بأن الأمر في (جئني بماءٍ)، أمر تعييني أم تخييري؛ فإذا كان واجباً تعيينياً جاء بالماء، وإن كان واجباً تخييرياً جاء بعصير البرتقال، أو أي شيء آخر، وحيث لا نص على أحدهما، فينتظر فترة من الزمن حتى يقطع بعدم طلب البدائل الأخرى!!

١٠. ولعله واجب كفائي!

ثم يتعلل بعدم وضوح كون هٰذا واجباً عينياً؛ إذ لعله كفائي!

وبناء على (عقلية الجمود على النص) و(المطالبة في كل قضية بالتصريح الواضح) فإنه لا يستقر حجر على حجر، بل يغلق باب الحوار والتفاهم والتشريع والأمر والنهي في كل شيء، أو يتحول إلى (مهزلة حقيقية) إذ يوجد هناك على هٰذا خمسون قيداً وقيداً، لابد أن يُلحِق بها المولى أمره بـ(جئني بالماء) أو بنصب شخصٍ خليفةً وولياً، حتى يفهم هٰذا (الذكي الذي يطالب بالنص في كل شيء) وجوب أن يجئ هو

---

(١) فإن (النسخ) تخصص في الأزمان.

لا غير بالماء ـ مثلاً ـ لا بغيره فوراً ودون إبطاء، مرة واحدة دون تكرار، وأن هٰذا الوجوب مولوي لا إرشادي، وأنه قصد بأمره الجد لا الهزل، وأنه ليس أمراً إمتحانياً، وسوف لا ينسخ ولا يحدث فيه البداء، ولا تقية فيه... إلى غير ذلك.

وحتى يفهم هٰذا الذكي الألمعي! أن أمير المؤنين علي بن أبي طالب (سلام الله عليهما) هو الخليفة بلا فصل، والولي بكل معاني الولاية، والإمام المطلق و... وأنه لماذا لم يذكر اسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم.

والكلام طويل، إلا أن العصارة هي: أنه يمكن أن يستشكل بهذا النمط من عقلية (النص ولا غيره) في كل القرآن الكريم، فلا يستقر حجرٌ على حجر..

وإن فتح هٰذا الباب، أي مطالبة القرآن الكريم، ومطالبة أتباع الرسول وأهل بيته عليهم السلام بذكر نوع خاص من الأدلة والبراهين، وهو (النص من جميع الجهات) على المدعى، يلزم منه إلغاء كل ظواهر الكتاب، بل إلغاء الإحتجاج بالقرآن الكريم في غالب الموارد، بل إلغاء حجيته بالمرة؛ بأمثال تلك الأعذار العشرة الآنفة الذكر؛ إذ لا يوجد (نص) مهما كان واضحاً وصريحاً، إلا وتوجد فيه بعض تلك الاحتمالات العشرة السابقة أو غيرها...

فهل يمكن أن يلتزم بذلك مسلم؟! بل هل يعقل أن يلتزم بذلك عاقل؟!

قصة العبد المثالي ذي العقل الجامد!

وإليكم القصة الطريفة الآتية كشاهد صدق على ما نقول، ذٰلك أنه ينقل: أن شخصاً احتاج إلى عبد، فذهب إلى السوق ـ والقصة طويلة،

نقتطف جانب الشاهد منها ـ والرجل كان إمام جماعة، أو شخصاً ملتزماً بالذهاب للمسجد، واحتاج إلى عبد، فذهب إلى السوق، فرأى عبداً، قوياً، طويلاً، جميلاً، مهذباً، بادي الوسامة، جالساً هناك ومولاه ينادي عليه يريد أن يبيعه بسعر قليل زهيد جداً، بشكل غريب!! ولنفرض مثلاً أن السعر الطبيعي لمثل هٰذا العبد في ذاك الزمان كان ألف دينار، ولكن المولى عرضه للبيع بعشرة دنانير، لا تتناسب أصلاً مع السعر الأصلي!! فاستغرب كثيراً وسأل المولى: لماذا تبيع العبد بهذا السعر الزهيد! فهل لأنه مريض أو مؤذي، أو مشاكس أو يضرب مولاه، مثلاً!

أجاب المولى: كلا، بل هٰذا العبد مثالي من جميع الجهات، وأصلاً لا ترى فيه مثل هٰذه النواقص على الإطلاق!! قال: إذن، لماذا زهدت فيه وعرضته بسعر رخيص؟!

قال المولى: لأن عنده مشكلة واحدة فقط (وهذه هي مشكلة هٰؤلاء الحرفيين، الذين يسألون: لماذا اسم الإمام علي (سلام الله عليه) غير موجود أو غير مصرح به في القرآن الكريم.. لماذا رفض وإنكار الهرمنيوطيقيا غير موجود.. ولماذا نفي وحدة الوجود أو الموجود، وإنكارهما غير موجود في القرآن الكريم.. وألف لماذا أخرى.؟).

المولى قال له: مشكلته الوحيدة أنه يلتزم حرفياً بالكلام، فإنه مُطيع بشكل عجيب، لا يزيد ولا ينقص على ما أمرته حرفاً واحداً، أي إنه لا يفعل شيئاً إلا حسب أمرك وحسب الحدود الدقيقة لأوامرك حتى في أدق التفاصيل!

قال: كيف تعد هٰذه نقيصة! على العكس هٰذه مكرمة، وهذه فضيلة؛ ولذا سأشتري هٰذا العبد فإنه أحسن مَن يخدمني!.. بل إنه العبد المثالي!

عموماً اشترى الرجل العبد، وذهب به إلى البيت، ثم ذهب ومعه سجادته إلى المسجد وفرشها وصلى، ورجع للبيت مع عبده، وعندما وصل إلى البيت تذكر بأنه نسي السجادة في المسجد، فقال للعبد: (اذهب بسرعة وانظر هل السجادة موجودة أم لا؟) فذهب العبد ورجع، وقال: (نعم موجودة..) قال له: (فلماذا لم تأتِ بها؟!) قال: (لأنني ملتزم حرفياً بالكلام وبالأوامر ولا أزيد ولا أنقص، جنابك الكريم قلت: لي اذهب وانظر هل السجادة موجودة أم لا؟ ولم تقل لي اصطحبها معك، وأنا كما تعلم إنسان مثالي في الإطاعة لا أزيد ولا أنقص، ولا أعرف الدلالة إلتزامية، ولا دلالة الاقتضاء، ولا أعرف دلالة الإيماء والإشارة، إن هٰذه الدلالات مجالاتها في كتب المنطق، ولا ربط لها بواقع الحياة!! ـ أنت قلت لي: انظر هل السجادة موجودة أو لا؟ وأنا نظرت فرأيتها كما أمرتني وكانت موجودة)!! وهنا المولى صرخ فيه قائلاً له: (اذهب وائت بها)، ذهب العبد.. لكنها كانت قد سرقت!! فما كان من (المولى الجديد) إلا أن ذهب للسوق وباع العبد بسعر زهيد غير مأسوف عليه!

هذا الإنسان ما الذي تقولون فيه؟ وإذا كان (الموظف) لدى أحدكم حرفياً، وعقله جامداً بهذا الشكل، فما موقفكم منه؟

إن عقلية الجمود، والحرفية مشكلة حقيقية.. وهي أساس من أكبر أسس الإنحراف والضلال.

لماذا لم يذكر الله تعالى اسم الإمام علي عليه السلام بالصراحة في القرآن الكريم؟ وحيث لم يذكره القرآن فليس هو الخليفة الأول وبلا فصل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!!

هذا السؤال وهذا الاستدلال، هو كاستدلال ذٰلك العبد أو استدلال ذاك الطفل، أو استدلال ذاك المشاكس الذي يتمسك بالأعذار ـ العشرة

السابقة بكلها أو بعضها ـ أو غيرها، ليتهرب من (المجيء بالماء) لمولاه وإطاعة سائر أوامره، والذي يحتج بأنه ليس هنالك نصٌّ حتى نتمسَّك به، وهذه ظواهر وليست نصوصاً قطعية! ويضيف: بل هناك خلاف أصلاً، بين العقلاء في أن الظواهر حجة، أو غير حجة؟ ثم أنها غاية الأمر ظنية، والظني لا شأن لنا به؛ لأنه لا يغني عن الحق شيئاً..!

كلامك مستلزم لإلغاء حجية (القرآن الكريم)

والحاصل أن أمثال تلك الإعتراضات والأسئلة، قد تُسقط الشيء عن كونه نصاً، ولكنها لا تسقطه عن كونه حجة.

ولذا فإن العبد سيعذب بنار جهنم لو لم يطع أمر: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.. متذرعاً بهذه الحجج، وبهذه الأدلة والاستدلالات المتوهمة، أو لو لم يطع الآية الشريفة التي تقول: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾.[1]

فإن نفس هٰذه التشكيكات جارية، فإن الله تعالى عندما يقول في القرآن الكريم: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾، فإن هٰذا المكابر يتعلل ويتهرب بأنه لا نص ههنا؛ إذ لا يعلم المراد بـ﴿ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾؟ وأي معروف يجب أن نأمر به؛ إذ ﴿ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ ليس نصاً في العموم بل غاية الأمر هو (مطلق) والمطلق ظاهر! ثم إن (أءمر) صيغة أمر وهي ليست نصاً في الوجوب.. ولعل الأمر امتحاني أو فيه البداء أو منسوخ أو غير ذٰلك مما سبق!! ثم إنه لا يعلم أن هٰذا الخطاب لِمَنْ؟ هل الله تعالى يُخاطب العلماء، أو يخاطب عامة الناس؟ وحيث لا يعلم ذٰلك إذ لا نص، وحيث إنني من عامة الناس فلا يجب عليّ الأمر بالمعروف!!

نقول له: يا أخي! صيغة الأمر ظاهرة في الوجوب، وعلى ذٰلك بناء العقلاء، ثم نقول له: (المطلق) يفيد العموم أيضاً، لكن ذاك بالوضع،

---

(١) لقمان: ١٧.

وهذا بمقدمات الحكمة على رأي، ثم إن الله تعالى -في آيات أخرى- يقول: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] فيجيب قائلاً: أنا هذه الأشياء لا أفهمها، ومقدمات الحكمة لا أعرف ما هي، والجمع المحلى بـ(ال) كثيراً ما له استثناءات! ثم لا يعلم عموم هذا الأمر من حيث الزمن، فلعله خاص بالموجودين زمن نزول الآية الشريفة و.. و.. إنني أريد نصاً واضحاً صريحاً، يقول أن الله أمر كل واحدٍ واحد من آحاد المسلمين، من المعاصرين ومن الذين سيولدون في المستقبل، بالأمر بالمعروف، ولكل أنواع المعروف، وفي كل يوم لا خصوص أيام الجمعة مثلاً، وأن يصرح الرب بقوله ولا استثني أبداً أحداً، ولا زمناً، ولا معروفاً، و.. و..

هل تجدون مثل ذلك في القرآن؟! كلا.. ثم كلا.. لماذا؟ لأنه يخاطب العقلاء ولا يخاطب أشخاصاً سفهاء عقليتهم عقلية الجمود، والتحجر، أو أشخاصاً مكابرين، يشترطون على الله نوعاً خاصاً من الحجج فقط وفقط..

من أقسام الحجج المركبة

والخلاصة: إن (الحجُة)-كما قلنا- على أقسام: النص والظواهر والدلالات بمختلف إشكالها من الحجج، كما أن عندنا حجة بسيطة وحجة مركبة..

ومن (الحجج المركبة) قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلْمَعَارِجِ﴾[2]

(١) التوبة: ٧١.
(٢) المعارج: ١-٣.

فإن الله ﷻ أعطانا في القرآن الكريم وعلى لسان رسوله العظيم: حججاً مركبة، وهي: إما مركبة من (قرآنٍ وقرآن)، أو مركبة من (رواية وقرآن)، أو من (رواية ورواية)، أو من (قرآن وشأن النزول)، أو من (قرآنٍ وتاريخٍ) أو من (قرآن وعقل)، أو (رواية وعقل) أو ما أشبه ذلك، من الأمثلة الكثيرة التي نسوقها في البحث..

وهذه الآية الشريفة هي كآية: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ الحجة فيها مركبة من (قرآن وروايات) ومن (قرآن وشأن نزول) ومن (قرآن وتاريخ) ومن (قرآن وعقل).

فالإجابة الثانية والعشرون على هٰذا التساؤل، وهو: **لماذا لم يذكر أسماء (الصادقين) (سلام الله عليهم) في القرآن الكريم؟**

هي: أنه لا حاجة لأن يذكر الله سبحانه بالنص والصراحة أسماء ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ لكي يُتم علينا (الحجة)، بل إنه ﷻ أخذ على نفسه: أن يقيم علينا (الحجة) سواء كانت بالنص، أم بالظاهر، وسواء كانت بنحو الحجة البسيطة، أم بنحو الحجة المركبة، وقد أقامها جل اسمه.

ومن ذٰلك كله يتضح الجواب على الأسئلة المشابهة في شتى الأبواب؛ إذ ليس بالضرورة أن يقول الله تعالى: أن هناك اقتصاداً إسلامياً، وأن مواده كذا وكذا، كأي دستور وقانون أساسي في أية دولة.

بل إنه تعالى له أن يقول ما يفيد ذٰلك وقد فعل، ألم يقل ﷻ: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾[١] أو: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[٢] أو: ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾[٣]

(١) البقرة: ٢٨٢.
(٢) النساء: ٢٩.
(٣) البقرة: ٢٧٩.

أو: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[١] أو: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾[٢] وغيرها.[٣]

فهذه (ضوابط) يحددها القرآن الحكيم للاقتصاد الإسلامي، من أحكام ومواد وبنود، وذلك: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.[٤]

وكذلك نقول: لا ضرورة لأن يقول القرآن الكريم بنص العبارة: لا توجد هناك ضريبة في الإسلام؛ إذ يكفي أنه حدد الضرائب بذكره (الخمس) و(الزكاة) و(الجزية)، ولا يحتاج إلى تفصيل أكثر، لاسيما وقد بينتها وذكرتها السنة الشريفة؛ إذ أوضحت السنة، أن الضريبة في الإسلام هي الخمس، والزكاة، والجزية، ولولا بيانها بإضافة (الخراج) لما كان وجه لإضافته.[٥]

---

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) الملك: ١٥.

(٣) تطرق السيد الوالد قدس سره في «الفقه الاقتصاد» وغيره، لتفاصيل الكثير من الأحكام الاقتصادية التي تستفاد من هذه الآيات القرآنية الكريمة وغيرها.

(٤) ق: ٣٧.

(٥) إلا بإدخالها في (الجزية) والفرق أن (الجزية) على (الرؤوس) و(الخراج) على (الأراضي).

[٢٢]

الجواب الثالث والعشرون

الله تعالى أعلم بنا

الإجابة الثالثة والعشرون هي: إن الله ﷻ أعلمُ بالطبيعة البشرية من البشر بأنفسهم، الله أعرف بطبائعنا نحن البشر منا بأنفسنا، ومادام الله أعرف بطبيعة البشر منهم بأنفسهم، فإن علينا أن نذعن له ونسلم له تسليماً؛ فإن حكمته تقتضي أن يفعل ما يلائم هٰذه المعرفة، وذاك العلم المحيط..

تأملوا في الأمثلة الآتية جيداً، وهي أمثلة سيالة، وحقائق جارية في مختلف مناحي الحياة، وهي سنة الله أيضاً: فإنّ الإنسان إذا نال الشيء ببساطة فإنه سيفرّط به وسيفقده ببساطة، ويتخلى عنه بسهولة.. ولكن الإنسان إذا نال شيئاً بقليل من الجّد والاجتهاد، فإنه سيحرص عليه أكثر:

أ. المسيحي إذا أسلم

ولذا نجد أن المسيحي إذا أسلم، فإن إسلامه يصبح ـ عادة ـ أقوى من المسلم؛ لأن المسلم ولد في بحبوحة نعمة الإسلام، فهو عادة إلا ذوي العقول الكاملة لا يعرف قيمته.

فهو عادة ـ إلا ذوي العقول الكاملة ـ لا يعرف قيمته.

ب. الماء في الصحراء!

أو كالذي يعيش قريباً من الماء ـ وهذا مثال واضح ـ فهل نعرف نحن قيمة الماء، أو أننا أصلاً لا نفكر في قيمته إلا نادراً، ولا نؤدي حتى عشر بل ١٪ مما نستطيع أداءه من شكر الله على هٰذه النعمة التي لا تُقدر بثمن، بل إن الكثير منا لعله لا ينتبه إليها، لكنه إذا ضاع في البيداء، والصحراء القاحلة، واستولى عليه العطش وهيمن، ورأى الموت بأم عينيه، فإنه إذا وجد شربة ماء، فسيعرف عندئذٍ طعم الحياة، ويعرف قيمة هٰذه النعمة، وعندئذٍ سيشكر الله حق أو بعض حق الشكر..

هذه هي طبيعة الإنسان: الذي يناله ببساطة وبسهولة والذي يأتيه (حاضر ومُحضَّر)، فإنه:

١ـ لا يعرف قيمته.

٢ـ لا يحافظ عليه.

٣ـ لا يدافع عنه.

ج. الإبهام في الإمتحانات

ج ـ ومثال آخر؛ وهو: الامتحانات في المدارس والجامعات، فإن واضعي المناهج التربوية والدراسية والمعلمين، يعرفون بعض طبيعة البشر؛ لذا فإن مِن أسس مناهج الدارسة هو (الامتحان)، بل إنهم اعتبروا النجاح في المدرسة منوطاً بالإمتحانات.

والآن فكروا: لماذا الأساتذة لا يضعون الأسئلة ويكتبون الأجوبة إلى جوارها بنفس الوقت؟ تصوروا كيف يكون الوضع لو أن جميع طلاب العالم من الابتدائية إلى الجامعة ذهبوا يوم الامتحان، فوجدوا أن السؤال مكتوب، والجواب مكتوب إلى جواره أيضاً!..

لماذا المعلمون لا يفعلون ذلك؟ لأن هٰذه ليست طريقة تعليم وتعريف وتربية.. فعندما الطفل أو الشاب الجامعي تُوَجَّه له الأسئلة، وهو يعرف بأنه يجب عليه أن يبحث ويجد ويجتهد ليحصل على الأجوبة، وغاية الأمر أنهم إذا أرادوا مساعدته فإنهم يعطونه خيارات أربعة أو ثلاثة عندئذٍ ليختار الصحيح منها، فإنه بهذه الطريقة سيعرف الطالب قيمة الأسئلة أكثر، وتتكرَّس الأجوبة في باله بشكل أكبر، وعندئذٍ يصلح أن يتخرج من الجامعة بنجاح أكبر ليكون رئيس شركة، أو أستاذاً أو أي شيء آخر..

والحاصل: إن طبيعة الإنسان هي هذه: إذا أعطيته الشيء (حاضراً محضراً) وببساطة وسهولة، فإنه لا يعرف قيمته، ولكنه إذا اكتشفه بالبحث والتنقيب والجهد، عندئذٍ يعرف قيمته ويهتم به وبالمحافظة عليه والدفاع عنه أكثر فأكثر..

وفيما نحن فيه، فإننا نجد أن الله تعالى أعطاك الخطوط العامة، أعطاك المواصفات، أعطاك الضوابط، وأصدر أمراً إلهياً صريحاً بقوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ لكنه تعالى عندما لم يذكر لك المصاديق - أي مصاديق ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾- وأسماءهم، فهذا يعني أن عليك أنت أن تبحث عنها؛ إذ هٰذا أمر إلهي واضح ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ وعندما تبحث أنت بنفسك عن الأسماء والمصاديق، وتكتشفها فإنك سوف تدافع عنها بشكل أفضل، وسوف تحافظ عليها بشكل أفضل، وسوف تعرف قيمتها بشكل أفضل، فإن هٰذه هي طبيعة (الإنسان)!

د. المستبصرون!

ولذا لعلكم لاحظتم أن (المستبصرين) هم عادة أعرف بقيمة أهل البيت عليهم السلام ومبادئهم وعلومهم، من عامة الناس الذين كانوا شيعة منذ البداية.

والطريف أن العديد من الناس يسأل: هل المستبصر أفضل أم الذي كان من البداية شيعياً؟

ونجيب: من الواضح أن المقياس هو: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]، فكل مَنْ كان منهما ـ من الفريقين ـ أشدّ تقوى، وأكثر علماً ومعرفة، وأقوى عملاً وأغزر عطاءً وأكثر ولاءً وبراءةً، فإنه بلا شك هو الأفضل.

ولكن مع قطع النظر عن هٰذه الحيثية، وبملاحظة القضية بما هي هي، فإن الإنسان الذي كان كافراً ثم أسلم، أو كان لا يعرف أهل البيت عليهم السلام ثم عرفهم، فإنه يكون أكثر تمسكاً وتشبثاً، وأكثر قوةً، وحماسة واستبسالاً في الدفاع عن دينه وإيمانه وعقيدته وسادته وقادته وأئمته (عليهم سلام الله وصلواته)..

هـ. التاجروابن التاجر

وإليكم مثالاً آخر: (التاجر وابن التاجر).. فإن التاجر الذي أجهد نفسه في تحصيل الثروة والأموال، يعرف قيمتها؛ لذا لا يُفرِّط بها إلا بأمر الله سبحانه وتعالى، أو بدافع من ضميره ووجدانه وكرمه الذاتي.

---

(١) الحجرات: ١٣.

وطبعاً هٰذا لا يسمونه تفريطاً فإنه استثناء منفصل، والتفريط تعبير مجازي عن ذلك؛ لأنه ينفق المال حسب الضوابط الشرعية، أو العقلية.

أمّا ابن التاجر ووريثه الذي ورث فجأة مئات الملايين من الدولارات، فإنه لا يعرف قيمتها، فيضيعها بسهولة، ويبذرها في مجالس البطالين، وعلى أصدقاء السوء، وفي فرض أحسن فإنه ينفقها بإسراف في الرحلات والحفلات وغيرها، بل وفي أحسن الفروض، فإنه لا يبذل الجهد العقلي والعصبي والعضلي الكافي لحسن إدارة تجارته بحيث لا تتوالى عليه الخسائر أو تنحسر عنه الأرباح.

الإنسان هٰذه طبيعته، وكل معادلات الحياة هي هكذا، في التكوين والتشريع: الذي تحصل عليه بسهولة تفرط به بسهولة..

و. (الرئة) والمدخنون!

ومثال آخر: (الرئة) هٰذا العضو الهام جداً، و(الرئة) هي ـ حقيقة ـ بها حياة الإنسان، لكن كم واحداً منا يخنقها خنقاً بالتدخين، ويعرضها لأكبر الأخطار بذلك؟!

دعنا نتسائل: لماذا يفرط الإنسان فيها؟ ما ذٰلك إلا لأن الله تعالى أعطانا إياها بالمجّان، بلا تعب ولا نصب ولا جهد؛ ولذا ندخن ونحرق هٰذه العطية الإلهية المباركة، وبإحراقها نحرق الحياة بأجمعها، وذلك رغم أن المدخن يعلم بأن مرض السرطان سيطارده!

ولكن الكلام أن الله سبحانه أعطى هٰذه الرئة لكل البشر، أعطاهم إياها بالمجان، ولذا فَهُم لا يعرفون قدرها، والمدخن يُدخن، ثم يدخن، حتى تحترق رئته وهو يدري بأنه في السنة الواحدة تموت أعداد هائلة من

المدخنين لإصابتهم بسرطان الرئة، أو المري، أو الأمعاء، أو الحلقوم، أو الحنجرة أو ما أشبه ذلك..

إن الإنسان طبيعته هي هذه: الشيء الذي حصل عليه بلا تعب، يفرط فيه بلا وجل ولا خجل، ولا عجب!

ز. الكتاب النادر!

وكذلك الطالب أو الشخص الذي اشترى كتاباً نادراً من السوق، فإنه يحافظ عليه ولعله يتفقده في كل يوم؛ لأن هٰذا الكتاب مما لا يفرط فيه.. أما الرئة فلا، رغم أنها من جهات عديدة تعد أهم من هٰذا الكتاب، ربما بمليون مرة بما هي هي، أي بالمقايسة بينهما من جهات عديدة..[1]

وكذلك الحال في التصريح بأسماء ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، فإنه إذا ذكر الله تعالى للإنسان، أسماء ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ وأنهم هم: علي بن أبي طالب (عليه سلام الله) والأئمة من بعده (سلام الله عليهم)، وأنهم الأولياء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء.. تراه لا يعرف قيمة ذلك، لكنه إذا بحث ودقق وحقق في المسألة حتى وصل إلى قناعة أن الأمر القرآني: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أمر واضح وصريح، فلابد من كشف من هم الصادقون الذين عناهم الله تعالى، ثم تعب بالبحث واكتشف بأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأبناءه المعصومين حتى المهدي المنتظر (عليهم جميعاً سلام الله وصلواته) هم المقصودون بهذه الآية الشريفة، فلسوف يعرف قيمتهم (صلوات الله عليهم) أكثر فأكثر، وسيدافع عنهم أكثر فأكثر.

---

(١) فإن الرئة تتوقف عليها الحياة، دون الكتاب، والرئة لا يمكن تعويضها، عكس الكتاب، والرئة لا يمكن صناعتها ولو ببذل مليارات الدولارات، بخلاف الكتاب، وهكذا وهلم جراً.

هذه هي طبيعة الإنسان، ولكل شيءٍ استثناءات لسنا بصددها الآن..

ح. إعجاز القرآن

مثال آخر هو: (إعجاز القرآن)؛ إذ أليس القرآن الكريم معجزة حقاً، لكن ما هو الوجه في إعجاز القرآن؟

هل الله ﷻ أعطانا (إعجاز القرآن) بتبسيطه لنا بحيث يفهمه الكل فوراً؟

كلا..بل دفعنا لكي نفكر وبعمق في سوره، وآياته، وكلماته، وإلا فإن الواحد عندما ينظر للقرآن دون خلفية علمية وبلاغية، ودون بذل جهد وتدبر وتأمل، قد يتسائل أين المعجزة فيه؛ فإن (الإعجاز) لا يُرى ولا يدرك بالنظرة الساذجة؛ لأنه يحتاج إلى أن تفكر، وتتأمل، وتتدبر فيه..

(الإعجاز) لا يعرف بسهولة بل يحتاج لجهد ونصب وتعب وجهاد.

وكان بمقدور الله سبحانه أن يحل لنا كل مسألة ببساطة بالغة؛ لأنه قادر ومقتدر وعلى كل شيء قدير..فهل من الصعوبة على الله أن يجعل مثلاً (المعجزة في القرآن الكريم) بحيث يقطع العذر على الخلق أجمعين علماءً وجهالاً، مسلمين وكافرين، كباراً وصغاراً، أميين ومتعلمين، وذلك بأن يجعله مثلاً، بحيث انه بمجرد أن يفتح (القرآن) أي شخص، فإن حروف القرآن تضيء إضاءة خاطفة متميزة خاصة، بحيث تعمي الذي ينكرها فوراً.. هل الله قادر على هٰذا أم لا؟!

لكنه سبحانه لم يفعل، لماذا؟ ومع أنه كان من السهل عليه تعالى أن يجعل مقياس الحق من الباطل، معجزة عظيمة صارخة يدركها الكل فوراً، وبما هو أشد قوة من الزلزال أو الطوفان، أو ما أشبه، حتى لا يترك

مجالاً للشبهات، لأي نوع منها، لأي شخص كان، فيغلق كل أبواب الشبهات بأجمعها.. وذلك بأن يعطينا الدليل الواضح على إعجاز القرآن، الذي لا يسع أحداً إنكاره أبداً، بأن يقول: افتح القرآن الكريم فإذا آمنت به، فإنك ستبقى محفوظاً من العذاب والعقاب، ولكنك إذا كفرت، فإن ناراً ستخرج فوراً من الجدران أو من السماء وتحرقك! هل الله يقدر على هٰذا أم لا؟

الله قادر وأمره بين الكاف والنون، وهو أبسط من البسيط على الله، لكن لماذا لا يفعل ذلك؟

لأن (عدم التبسيط المطلق) هو جزء الفلسفة في إعجاز القرآن الكريم بأن لا تتناوله بالبساطة، بل عندما تُطرح عليك شبهة عليك أن تفكر وتبحث وتسأل لكي تكون قادراً على الإجابة عليها.

وعلى الرغم من أن كثيراً من الناس يتحير عند هٰذه الشبهات على إعجاز القرآن، وقد يضطرب ويضعف إيمانه أو يزول، فعندما يستشكل عليه أحدهم بإشكال، فإنهم لا يملكون المقدرة على الإجابة عليها وقد يرتد بعضهم ـ والعياذ بالله ـ من جرائها.. رغم ذٰلك إلا أن الله تبارك وتعالى لم يجعل (إعجاز القرآن) بحيث لا يسمح بحدوث ذلك، وهو سبحانه لم يعط كل شيء (حاضراً محضراً).. كلا.. بل اللازم حسب تقديره جل وعلا أن تتعب وتجتهد لكي تتعرف على الإعجاز عن علم وبرهان، ولكي يكون بمقدورك الإجابة على الشبهات وافحام الخصم، وكذلك الحال تماماً في وجه عدم ذكره تعالى أسماء ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ والأئمة الطاهرين (عليهم صلوات المصلين) بشكل صريح في القرآن الكريم.

بالجهد والتعب نعرف قيمة الأشياء

وهذه هي من مقدّرات الله تعالى في الكون؛ أنه إن أعطاك الأشياء ببساطة فإنك تفرط فيها، ولا تقدِّرها حقَّ قدرها، ولكن الأشياء القيِّمة والجوهرية، الله ﷻ أراد منك أن تبحث عنها وتصل إليها بالجهد والجهاد، لتقدِّر قيمتها، لقد أعطاك الأمر: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، كما قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾، فهذا أمر لك بالبحث عن الحقيقة، وأمامك أدلة أخرى باهرة، وأحاديث مشهورة وأحداث مذكورة عصيّة على الإنكار كـ«يوم الإنذار»، حيث أمر الله تعالى رسوله الكريم قائلاً: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[١] فما قصتها، وكيف أنذر رسول الله ﷺ عشيرته.؟ ابحث عن يوم الإنذار.

ثم أوَما سمعت بحديث «الطائر المشوي»[٢] أو غيره من الروايات المتواترة كحديث «الثقلين»[٣] الذي رواه أكثر من مائة وعشرين صحابياً وتابعياً، أو حديث «الغدير»[٤] الذي لعله لا نظير له في تواتره وشهرته

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) سنن الترمذي: ج٥، ص٣٠٠، ح٣٨٠٥، طبعة دار الفكر بيروت، مستدرك الحاكم: ج٣، ص١٣٠، طبعة دار المعرفة بيروت.

(٣) روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ص٢٧٣، المناقب لإبن شهر آشوب: ج١، ص٤، مسند أحمد: ج٣، ص١٤و١٧و٢٦و٥٩و ج٤، ص٣٧١. سنن الدارمي: ج٤، ص٤٣٢. فضائل الصحابة للنسائي: ص١٥، مستدرك الحاكم: ج٣، ص١٠٩، و....

(٤) مسند أحمد: ج٤، ص٢٨١. مسند زيد بن علي: ص٤٧٥، وفي شرحه: أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده عنه وعن ثلاثة عشر من الصحابة. وأخرجه أحمد أيضا والطبراني في «الكبير» و«الضياء في المختارة» عن أبي هريرة واثني عشر من الصحابة، وأخرجاه أيضا عن زيد بن أرقم وثلاثين رجلا من الصحابة، وأخرجه الطبراني في «الأوسط»، وقد عد هذا الحديث من المتواتر، قال الذهبي فيه: قد بهرتني طرقه.

أو «حديث السفينة»[١]، أو «مَنْ مات ولم يعرف إمام زمانه»[٢].. وهكذا وهلمَّ جراً، عليك أن تبحث عن دينك، وتنقب عن عقيدتك لتصل إلى اليقين..

الخطبة الشقشقيّة

ومن هٰذه الأمثلة خطب وأقوال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليهما صلوات الله وصلوات المصلين) في نهج البلاغة، لا سيما في الخطبة «الشقشقية»[٣] فإنه يعطيك الحقيقة واضحة جلية لا لبس فيها، ولكن ليس بدون أن تعمل فكرك، وتضع بعض النقاط على بعض الحروف لتقف أمام الحقيقة وجهاً لوجه، فهي تحتاج منك لشيء من الدقة والبحث.

اسمعه (صلوات الله عليه) ماذا يقول فيها: «**أمّا والله لقد تقمصها فلان**» ولم يذكر اسم الرجل على حسب بعض النسخ، أو أنه ذكره بالكنية فقط على حسب بعض النسخ: (**أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى**)، إذن (الغصب) كان عن علم وعمدٍ، وكان يعني: ـ إضافة إلى تضييع حق ولي الله الأعظم بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ـ، نسف مبدأ وقيمة (الكفاءة) التي يحكم بها عقلاء العالم، «**ينحدر عني السيل ولا يرقى إليَّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتإي بين أن أصول بيدٍ جذاء أو أصبر على طخية عمياء**» تصوَّر مَنْ يتكلم؟ إنه أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ـ ج٢ ـ ص٣٤٣ ـ باب «مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح».
(٢) ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي الحنفي ـ ج٣ ـ ص٣٧٢
(٣) نهج البلاغة، الخطبة الثالثة..

ويعسوب الدين، ووصي خاتم النبيين، ولي الله الأعظم يتكلم.. وأنت حقق، وابحث عن الحق: «**يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهبا.. حتّى إذا مضى الأوّل لسبيله**» لماذا لم يذكر اسمه؟ مع أنه ذكر مواصفاته، ومع أن هٰذه الإشارات واضحة الدلالة، ولا يشك أحد من المطلعين على التاريخ عليها؛ ذٰلك لكي تقوم أنت أيها الباحث عن الحقيقة بالبحث بعد أن أضاء لك بابُ مدينة علم الرسول الدربَ، فاذهب وابحث وحقق لتعرف (الأول) مَن هو؟ وكثيراً ما يكون (التلميح) أقوى من (التصريح) ويكون مزج نوع غموض في نوع تصريح، أقوى في تطلّع الباحث عن الحقيقة لإكتشاف الحقيقة ولمعرفة قيمة هٰذا الإكتشاف أيضاً.. «**فأدلى بها إلى فلانٍ بعده**»..ثم تمثل بقول الأعشى

شتان ما يومي على كورِها

ويوم حيان أخي جابرِ

«**فيا عجبا بينا هو يستقيلها**» لأنه كان يقول: (أقيلوني بيعتي فلست بخيركم وعليٌ فيكم)[1]، ألم تسمع بهذه الرواية؟ (في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته) يقولون ما نتيجته: أن الرسول الأعظمﷺ ـ والعياذ بالله ـ لا يدرك ضرورة أن يجعل خليفة، أولم يرَ ضرورة لذلك؛ ولذا لم يعين خليفة من بعده!! أمّا فلان، فإنه يعرف ضرورة أن يجعل خليفة؛ ولذا فعل؟!

ونسألهم: إمّا هٰذا باطل، وإما ذاك؟

(١) ورد مضمونه في تفسير الآلوسي: ج٢٧، ص١٨٠، بحار الأنوار: ج١٠، ص٢٨. الفضائل ـ شاذان بن جبرائيل القمي ـ باب اسئلة اليهودي واجوبتها ـ ص١٣٣.

(الأول) يعرف ويدرك الأهمية والضرورة فيجعل خليفةً بعده ويعينه، وأما الرسول فإنه لا يعرف ذٰلك أو لا يرى ذلك! فهل الحق مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو مع الأول؟!

«**لشدَّ ما تشطرا ضرعيها، فصيَّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسها.. ويكثر العثار فيها، والإعتذار منها، فصاحبها كراكب الصّعبة**» أي الإبل الصعبة «**إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم**» إلى أن يصل ـ روحي له الفداء من مظلوم مضطهد ـ: «**فمُنِي الناس ـ لعمر الله ـ بخبط وشماس، وتلون واعتراض**» ابحث عن ما يقوله أمير المؤمنين علي (سلام الله عليه)، واحتمل على الأقل أنّ يكون هٰذا الكلام صحيحاً وهو يقيناً صحيح ولكن على من لا يعرف الحقائق ولا يؤمن بضلال من سُمّوا بالخلفاء، أن يبحث حتى يتأكد؛ إذ هٰذا النص موجود في نهج البلاغة، فما معنى: «**فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها، ويخشن مسُّها**»؟ وما معنى: «**لشدّ ما تشطّرا ضرعيها**»؟

«**حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعةٍ زعـمّ أني أحدهم! فيالله وللشورى! متى اعترض الريب فيَّ مع الأول منهم، حتى صرت أُقرن إلى مثل هٰذه النظائر، ولكنّي أسففت إذ أسفّوا، وطرت إذ طاروا، فصغى رجل منهم لضغنه**) أي من أولئك الستة: «**ومال الآخر لصهره، مع هَنٍ وهَن**».. إلى آخر كلام أمير المؤمنين علي (عليه سلام الله).

وهذه سنة الله في هٰذه الحياة

والحاصل إن الله تبارك وتعالى هٰكذا قدَّر وهندس وبنى عالم التكوين، وعالم التشريع؛ في السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والحقوق، وغير ذلك.. إنه تبارك وتعالى وكذا والرسول والأنبياء والأوصياء في كثير من الأحيان كانوا

يعطون الخطوط العامة، يعطون الإضاءات، يعطوك المفتاح والمفاتيح، يعطون الفكر والقواعد الكلية.. ثم عليك أنت أن تبحث عن المصاديق والتفاصيل.. لماذا؟

ما السبب في ذلك؛ إنه هو ما أشرنا إليه في هذه الإجابة الـ٢٣؛ لكي يعرف الإنسان القيمة الكبرى لما يحصل عليه ويتعرف عليه بعد البحث والتنقيب، ولكي يحافظ عليه، ويدافع عنه بشكل أفضل.

[٢٤]

الجواب الرابع والعشرون

فلسفة (الامتحان)

وأما الجواب الرابع والعشرون، فهو: إنّ هٰذه هي فلسفة الله في الحياة والتي أسماها (الامتحان)، وإن هٰذا يعد مصداقاً من أهم مصاديق (الامتحان) ومفردة من أهم المفردات، بل إن الذي لا يعرف هٰذه الفلسفة فهو جاهل بأكبر قضية ترتبط بحياته وحياة البشر كلهم.. لأن معادلة (الامتحان) عند رب الأرباب وخالق الكائنات الله تعالى، هي الأصل الأصيل في الحياة.

ولكي يتضح ذٰلك لنطرح هنا سؤالاً هاماً جداً، هو: لماذا الله خلق الشيطان؟ وما الداعي لخلقه؟ إذ مَنْ خلق الشيطان؟ إن الله هو الخالق دون شك؛ إذ لسنا من (الثنوية) ولله الحمد؛ لأنهم يقولون أن عندهم إلهين: إله النور هو (اليزدان)، وإله الظلام هو (الأهرمن) وهو الشيطان.

ويقولون: الله سبحانه ما خلق الشيطان، بل الشيطان كان موجوداً ووجوده أزلي ـ والعياذ بالله من القول بذلك ـ ولكن نحن نعرف وكل مؤمن يعرف: أن الله ﷻ، هو الذي خلق الشيطان، فلماذا خلق الله الشيطان؟

لنفس السبب الذي هو: (الامتحان)، وهو السبب في أن الله تعالى لم يذكر في القرآن الكريم أسماء ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، وذلك حتى يمتحنك، لتبحث وتكتشف الحق، حتى تكون من أهل الجنة إن شئت، أو لا إن لم تشأ.. إن الخيار هو بيدك أنت..

أسئلة أخرى:

مَنْ خلق (الهوى)، ولماذا؟ مَنْ خلق الدنيا بشهواتها، ولماذا؟ مَنْ الذي سمح للبشر أن يصنعوا ما يضل الناس، ولماذا؟ كما قال الشاعر:

نـفـسـي وشـيـطـانـي ودنـيـاً والـهـوى
كـيـف الـخـلاص وكـلـهـم أعـدائـي؟

منْ الذي خلق في الإنسان (القوة الغضبية)؟ حتى يُستَفزّ فجأة ولا يسيطر على أعصابه فيقتل، ويظلم أو يضرب، أو يجرح، أو ما أشبه ذلك، ولماذا؟

منْ الذي خلق (القدرة) على الإيذاء والضرب؟

ولماذا خلق الله أدوات الضرب والظلم من يدٍ باطشة، وفكر هدام ونية طالحة؟

ألم يكن ممكناً أن يخلق الله تعالى (اليد) ـ مثلاً ـ دون أن يعطيها القدرة على الظلم، بحيث كلما أرادت ظلماً تيبست؟

إن الجواب على كل ذلك بسيط وواضح: إنه (الامتحان)!! و: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾.(١)

(١) الأنفال: ٤٢.

وكذلك قد يتساءل: لماذا خلق الله تبارك وتعالى (القوة الشهوية)؛ فإن كثيراً من أسوء المفاسد في العالم تنتج، وتنبع من هٰذه البؤرة، ومن (النفس الأمارة بالسوء) التي غرس الله فيها (حب الشهرة) و(حب السلطة) و(حب الدنيا) بمغرياتها وزبرجها وزخرفها.. كل ذٰلك لأجل (الامتحان) و(الاختبار) و: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾.[1]

إن (فلسفة الامتحان) هٰذه أصل أصيل في الكون، أصل أصيل في عالم التشريع، وفي عالم التكوين.

مثال آخر: (الطاغوت المستبد) من الذي أمكنه من رقاب الناس؛ إذ صحيح أن سلطانه كثيراً ما يكون وليد أفعال الناس بأنفسهم، ولكن ذٰلك ليس نتيجة فعل كل إنسان مؤمن، وذلك يعني أن البعض فرَّط ولكن البقية يجب أن يدفعوا أيضاً الثمن.. لماذا؟

إنه لأجل (الامتحان).[2]

بخت نصر وسائر الطغاة

ولنستحضر مثالاً بارزاً على السلطان الطاغي من أعماق التاريخ وهو (بخت نصر)، فإن هٰذا الطاغية كان جائراً بشكل غريب، وكان مجوسياً، وكان أغلف أيضاً، وقيل: بأنه سُمِي بخت نصّر لأنهُ وجِدَ رضيعاً مطروحاً عند الصنم الأكبر، و(بخت) في لغتهم يعني ابن، و(نصّر) اسم ذاك الصنم فسمّوه (بخت نصر) أي (ابن الصنم) لأنه كان عند الصنم مطروحاً فأخذوه وهو لقيط، وغير معلوم ابن مَنْ هو؟

---

(١) (الأنفال: ٣٧)

(٢) وسنذكر في البحث القادم توضيحاً أكثر وتفصيلاً لهذه القضية.

وفي قول آخر: في وجه تسميته بـ: (بخت نصّر) إن (بخت) كان اسم الكلبة التي رضع منها هٰذا الطفل، و(نصّر) اسم صاحبها، فسمي بذاك الاسم: (بخت نصّر) إشارة إلى أنه رضع من كلبة اسمها (بوخت) أو (نبوخت) أو ما أشبه.

إن (بخت نصّر) أصبح الحاكم المطلق على حسب بعض الروايات. على الأرض كلها، وذلك كما في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام تفيد: أن الملوك الذين حكموا الكرة الأرضية كلها من المؤمنين: اثنان، ومن غيرهم اثنان..[1]

(نمرود) هو أحدهما، و(بخت نصّر) هو ثانيهما وهذان من غير المؤمنين، ومن المؤمنين: سليمان بن داود وذو القرنين ـ هذان المؤمنان، وأولئك الكافران ـ حكموا الكرة الأرضية.

هذا الطاغوت كم سنة حكم؟

يقال: أنه حكم مائة وثمانية وسبعين سنة، وفي عصرنا تلاحظون أن صدام المقبور، حكم العراق ثلاثين سنة وربما أقل، ومع ذٰلك كيف خرَّب البلاد وظلم العباد، وأفسدّ الحرث والنسل خلال حكمه البائد..

فما بالك بحاكم يحكم الكرة الأرضية كلها مائة وثمانية وسبعين سنة؟ حكمها بالسيف والعنف والإرهاب، كما أنه خرَّب بيت المقدس..

هذا الطاغوت من الذي سُمح له بذلك..؟

ومن الذي سَمح له أن يحكم الكرة الأرضية كلها؟

(١) الخصال: ص٢٥٥، ح١٣٠ وفيه: «ملك الأرض كلها أربعة، مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان: فسليمان بن داود وذو القرنين، والكافران: نمرود وبخت نصر».

وألم يكن الله تعالى، قادراً على أن يسلب منه القدرة على أن يخرب بيته، بيت المقدس، ويقتل عباده ويخرب بلاده؟!

إن من البديهي أن الله تعالى قادر فلِمَ لَمْ يمنعه من تلك الجرائم، ولعل قائلاً يقول: إن هٰذا الطاغوت قتل الذين ظلموا النبي (زكريا) وقتلوا ولده نبي الله (يحيى)عليهما السلام فكان أن قيضّه الله تعالى ليقتلهم وينتقم منهم..

إن ذٰلك صحيح؛ ولكن لماذا سمح له أن يُخرّب ويدمر بيت المقدس وهو بيت الله المقدس، لماذا؟

ولماذا يتركه الله تبارك وتعالى ليسيطر على كل الأرض، ويظلم البرئ وغيره، مع وضوح أنه لم يكن كل الناس مجرمين في ذٰلك العصر.. ما الحكمة من ذلك؟

الحكمة هي: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾، هٰذه هي فلسفة (الامتحان) وهذا المثال وأشباهه أي تسليط الطواغيت على البشر وإن كان بسوء إختيار بعضهم أصعب من: لماذا لم يصرح الله تعالى باسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم؟

والجواب العام هو: إنه تعالى لم يذكره لعلة وحكمة بالغة، وهي: حتى (يمتحنك)، فقد أمرك سبحانه بـ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فعليك أن تبحث عنهم، فهل تبحث أم لا؟ ثم عندما تعرف الحق هل تطيع أمر الله تبارك وتعالى أو لا؟

هذه هي فلسفة (الامتحان)..

وكما سبق، فإن من أمثلة الامتحان: (النفس الأمارة)، و(الهوى)، و(حب الدنيا)، و(الشيطان)، و(النساء غير الصالحات)، و(الأموال)،

و(الجاه)، و(السلطان الجائر)، كل ذٰلك مما خلقه الله ضمن إطار معادلة (الامتحان)..

وهذه الأمثلة هي كما سبق أصعب من موطن بحثنا؛ وذلك لأن الشيطان قد يصدك عن الله تعالى، إذ يقول: الله غير موجود أصلاً.. وهذا أعظم من أن يقول أحدهم فرضاً: الإمام علي غير موجود أصلاً، أو ليس هو الخليفة الأول.

إن الله هو الذي فسح المجال لذلك، وهو الذي عبّد السُّبل لكلا الطريقين والسبيلين ـ الحق والباطل ـ قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾[1]، وهذه الآية لها حديث مستقل، إن شاء الله تعالى في المستقبل نتحدث عنها بالتفصيل، بإذن الله سبحانه وتعالى.

حكمة المتشابه في القرآن الكريم

سؤال آخر: نختم به[2] وهو واضح الدلالة؛ وهو:

ما هي فلسفة (المتشابه) في القرآن الكريم، فقد قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾؟[3]

---

(١) الإسراء: ٢٠.

(٢) والأمثلة والأسئلة كثيرة والتتمة قادمة في المحاضرة اللاحقة بلطف الله وكرمه.

(٣) آل عمران: ٧.

الله تعالى إذاً هو الذي يعطي (الوسيلة) لمن في قلوبهم زيغ، وهي (المتشابهات) فيكون بإمكانهم أن يتبعوها: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ لماذا جعل الله (المتشابه) من الآيات؟

والجواب هو: حتى (يمتحن) عبيده ويظهر ويميز الخبيث من الطيب، والله كذلك لم يذكر اسم ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في القرآن الكريم، وذلك كي (يمتحنك) ويكشف لك ولغيرك من الملائكة والأولياء وأحياناً غيرهم حقيقتك، ويقيم عليك الحجة؛ فإن: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أمر، والأمر يدلُّ على الوجوب ـ كما هو واضح ـ فلماذا لم تذهب وتبحث عنهم؛ لكي تعلم صدق كلام الذين يدَّعون أن المراد بـ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ هم أئمة أهل البيت (عليهم سلام الله)، فهل كان كلامهم صحيحاً أو غير صحيح؟!

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾، الذي هو الضلال والإضلال: (وابتغاء تأويله) أي ابتغاء أوْلِه وإرجاعه وإعادته إلى آراءهم الباطلة، منْ الذي جعل ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ مُعبَّداً للطرف الآخر؟

هو الله ﷻ: لأنه جعل المتشابه في القرآن الكريم؛ وذلك بغرض وفلسفة (الامتحان).

فقد جعل الله سبحانه (المتشابه) في (الكتاب) الذي يصرح فيه بأنه (تبيان) لكل شيء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، القرآن الكريم تبيان، وبيان للناس، وتبيان لكل شيءٍ، ومع ذلك جعل فيه المبهم والمتشابه والمجهول.

إذا اتضح ذلك، نقول: فلنفس العلة التي ذكر الله تعالى لأجلها في القرآن الكريم (المتشابه) وهي: الامتحان وكشف زيغ مَنْ هو زائغ، لنفس

(١) (النحل: ٨٩)

السبب أيضاً لم يصرح بأن هنالك اقتصاداً إسلامياً، ولم يذكر ـ ظاهراً ـ كل بنوده وقواعده، كما لم يصرح: أن لا ضريبة في الإسلام على شراء الدار أو بيعها، أو على الاستيراد والتصدير، أو على فتح معمل أو شركة أو محل ودكان، وشبه ذلك، بل أثبت الضريبة في الخمس والزكاة والجزية والخراج فقط، كما لم يصرح ببطلان وحدة الوجود والموجود، وأنه عين الشرك بالله تعالى، لنفس السبب لم يذكر سبحانه وتعالى اسم ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في القرآن الكريم ولم يحدد منْ هم الصادقون (عليهم الصلاة وأزكى السلام) بأسمائهم الصريحة وأسماء آبائهم؟ لنفس هٰذا السبب، (الامتحان) ثم (الامتحان) و﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾.

أنواع المتشابه

وأشير إشارة هامة ولطيفة هنا، وهي: هل تعرفون كم نوعاً من المتشابه يوجد في القرآن الكريم، وكلها يجمعها جامع معادلة (الامتحان)؟

والجواب: إن أنواع (المتشابه) كثيرة، ويوجد الكثير من الأمثلة لها في القرآن الكريم وتفصيلها بحاجة إلى بحث مستقبل، ونشير ههنا إشارة فقط، وهي: قد يكون متشابهاً في (اللفظ)، أي إن التشابه والاشتباه والخلط وعدم الوضوح وعدم الإحكام (أي عدم كونه محكماً)، قد يكون في (اللفظ).

وقد يكون التشابه في (المعنى)..

وقد يكون التشابه في (اللفظ وفي المعنى) معاً..

فهذه ثلاثة أقسام، وكل واحد منها له أقسام كثيرة، تربو وتزيد على العشرات من الأقسام، فإن التشابه في (اللفظ والمعنى) قد يكون في الكمية، وهذا يستوعب الكثير من آيات القرآن الكريم؛ وقد يكون

التشابه في (الكيفية)، وقد يكون التشابه في (الزمن)، وهذا من مصاديقه الناسخ والمنسوخ، وقد يكون متشابهاً من حيث (المكان)، قد يكون متشابهاً من حيث (الشروط)، و(الموانع) وما أشبه ذلك، والحديث عن المتشابه نذكره في وقته ومحله بإذن الله تعالى، والقرآن الكريم كل متشابهاته تقريباً من هٰذا القبيل، أي: هي إما من هٰذا النمط أو ذاك النمط..

والآن لنَعُد للسؤال السابق: ما هي فلسفة المتشابه في القرآن الكريم؟

والجواب: إنها نفس الفلسفة التي ذكرناها وهي: (الامتحان)، ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾، وهي التي دعت الله ﷻ لأن لا يصرح بأسماء ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في القرآن الكريم..

المطالبة بـ(حجة معينة) هو منهج العتاة طوال التاريخ

ونختم بحثنا بذكر آية أخرى، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.[1]

لاحظوا أن هٰذا المنطق الخاطئ، كان دائماً موجوداً في تاريخ الرسالات، فهذا المعترض يعارض النبي ﷺ ويقول له: أنت تكلم الله كما تدعي، إذن فليكلّمنا الله أيضاً مباشرة، لنطمئن!!

إنه نفس منطق: يا رسول الله أنت ذكرت اسم الإمام علي في «الغدير» وغيره في متواتر الروايات لكن هٰذا لا يكفي.. نريد أن يصرح الله تعالى باسمه في القرآن الكريم، فلماذا لم يذكره بصريح القول؟!

(١) البقرة: ١١٨.

وحيث لم يذكره بالصراحة في القرآن، لا نؤمن به!! وذلك رغم أن القرآن الكريم يذكر النبي العظيم، فيصرح بأنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾.[1]

ولاحظوا ما تذكره الآية الكريمة، فإنه ويا سبحان الله مصداق لسُنةِ الله في البشر: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ أي مثلَ ما كلمك ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ أي مثل ما تأتيك آية، أي إنهم يريدون أن ينزل عليهم جبرائيل عليه السلام ويأتيهم بالمعاجز الأخرى غير ما شاهدوها حتى يصدقوا!!

وإن (منطق) الاعتراض بعدم التصريح بذكر اسم الإمام علي عليه السلام هو نفس (منطق) الاعتراض الجاهلي على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي في العمى والضلال، فكلهم من نمط واحد، ونفس الإشكال يُطرح علينا اليوم، حيث يقول البعض: أريد نصاً صريحاً واضحاً ولا أقبل حجة غيره..

﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ وليس لقوم يعاندون، تأملوا فإن الآية دقيقة جداً، وبحث هٰذه الآية في محله طويل ولطيف، ولكن قد اعتبرنا هٰذه الآية ختاماً للبحث كإشارة سريعة فقط: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

وقد أجبنا سابقاً عن هٰذا الإشكال بأجوبة أخرى، وكان من الأجوبة على ذلك: بما أن الله تبارك وتعالى قد عدّ كلام الرسول في الحجية ككلامه،

(١) (النجم: ٣ـ ٥)

فلا ضرورة بعدها لأن يذكر كل شيء[١] في القرآن، حيث قال جل اسمه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.[٢]

وإذا كان الأمر كذلك، فإن في روايات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم غنى وكفاية في إثبات خلافة أمير المؤمنين وأولويته من كل الجهات بالأمة؛ فإن الروايات عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في نصب الإمام علي عليه السلام متواترة كما يلاحظ ذٰلك الإنسان، عند مراجعة موسوعة «الغدير» وغيرها: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾.

هذا كله إضافة إلى الأجوبة الأخرى التي ذكرناها من قبل والتتمة في الأبحاث الآتية لو بقي من العمر شيء.

ألف جواب وجواب

هذا العبد المستضعف الفقير، وأعدُّ تلميذاً من تلاميذ العلماء، خطر ببالي سبعة عشر جواباً على هٰذه الشبهة[٣]، (ويمكن أن يقتنع شخص بكل هٰذه الأجوبة ويمكن لآخر أن يقبل بعضها، فيكون بعضها دليلاً ويكون بعضها الآخر مؤيداً).. فإذا كان هٰذا العبد الفقير على استضعافه

(١) أي لا حاجة لذكر كل شيء، بصريح العبارة، بحيث يفهمه عامة الناس، وإلا فإننا نعتقد بأنّ (كل شيء) مذكور في القرآن الكريم، لكن عبر الدلالات المختلفة: كدلالة الاقتضاء والتنبيه والإشارة وغيرها، مما لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) يلاحظ القارئ الكريم أن ذلك كان قبل تطوير الإجابات وشفعها بإجابات عديدة أخرى، حيث ذكرنا حتى الآن ٢٣ جواباً، حيث وفق الرب الجليل إلى الوصول بالإجابات إلى مائة وعشر أجوبة، وله تعالى الحمد عدد ما أحاط به علمه.

العلمي، يستطيع أن يذكر سبعة عشر جواباً مقتبسة ومنتزعة من الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، فما بالكم لو سألتم العلامة الحلي قدس سره؟!

وما بالكم لو طرحتم السؤال على الشيخ نصير الدين الطوسي رحمه الله، وعلى أمثالهما من فطاحل العلماء؟!

لعلهم سيجيبوكم بـ ألف جواب؛ ألم يكتب العلامة الحلي قدس سره (الألفين)، وقد أقام فيه ألف دليل عقلي على إمامة أمير المؤمنين علي (عليه سلام الله)، وألف دليل نقلي على إمامته (عليه سلام الله)؟ فربما مثل هٰذا السؤال لو طرحتموه على الفحول والأعاظم، فإنكم سوف لا تحصلون على ١٧ جواباً فقط، بل لعلكم ستسمعون منهم ألف جواب وجواب، وربما إذا طرحتموه على أمثال سلمان المحمدي وعلى المعصومين (عليهم الصلاة والسلام) فإنهم سوف يعطونكم أكثر من ذٰلك من الأجوبة..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين..

[٤]

(وكونوا مع الصادقين)

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين بارئ الخلائق أجمعين، باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين، الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدِّين.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

سيكون بحثنا هٰذه الليلة، بإذن الله تعالى امتداداً للبحوث السابقة، في الآية الشريفة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾.(١)

وسيكون البحث عن أمير المؤمنين ومولى المحدين (عليه صلوات المصلين) وذلك بمناسبة عيد الغدير الأغر، عيد الله الأكبر، وفيه نزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾.(٢)

بركة عيد الغدير

ولنتبرك بذكر روايتين عن هٰذا العيد المبارك، ثم نُكمل البحث بإذن الله تعالى عن آية ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾..

رنات إبليس الأربعة وصرخاته

الرواية الأولى هي عن الإمام الصادق عن أبيه الباقر (عليهما الصلاة وأزكى السلام)، فقد ورد عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه (عليهما سلام الله): «إن إبليس عدو الله رنَّ أربع رنات: يوم لُعِن، ويوم أُهبِط إلى الأرض، ويوم بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويوم الغدير»..(٣)

و(الرنّة)؛ هي الصُراخ أو الصيحة بحزن وألم وتوجع، فأبليس لعنه الله على إمتداد الألوف أو الملايين من السنين، قد صدرت منه أربع

---

(١) التوبة: ١١٩.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) البحار للشيخ المجلسي قدس سره: ج٦٠، ص٢٤١ عن قرب الإسناد.. والرنة بالفتح: الصوت ويطلق غالبا على ما يكون عند مصيبة أو داهية شديدة.

رنات عند أربعة أحداث؛ مما يكشف عن عمق وشدة توجعه وفداحة الخطب عليه:

الرنّة الأولى: يوم لُعِن، لأن إبليس كان طاووس الملائكة، ومعلم الملائكة، وكانت له منزلة رفيعة، فطُرد وسقط من ذٰلك المقام إلى أسفل سافلين فرنّ هنالك رنة.. وهذه رنة ترتبط بالجوانب المعنوية حيث سقط عن مقام (القرب) وعن كل مقاماته..

الرنّة الثانية: يوم أهبط إلى الأرض من ملكوت السماوات، وهذه رنةٌ لعلها بالأساس جغرافية أو مادية..

الرنّة الثالثة: يوم بُعث رسول الإسلام محمدﷺ..

الرنّة الرابعة: في عيد الغدير، حيث نصب رسول الاسلامﷺ أمير المؤمنين علياً، علماً، وخليفة، وإماماً، وقائداً على البشرية إلى يوم القيامة.

ومن وجوه السر في الرنتين الأخيرتين: أن الرسول الأعظمﷺ بُعث على (التنزيل)، وقاتل وقاتل المسلمون معه على (التنزيل)، وأما الإمام أمير المؤمنين (عليه الصلاة وازكى السلام) فقد قاتل معه (صلى الله عليهما وآلهما) على التنزيل ثم قاتلعليه السلام على التأويل[1]، فكانت رنة

---

(١) عن زيد بن علي بن الحسين بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي، قال: أمرني رسول اللهﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين. وقال: عن علي بن ربيعة، قال: سمعت عليا يقول: «عهد الي رسول اللهﷺ أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.» وقال: عن انس بن عمرو، عن ابيه، عن علي قال: «أمرت بقتال ثلاثة: المارقين، والقاسطين، والناكثين». وقال عن ابراهيم، عن علقمة عن علي وعن ابي سعيد التيمي، عن عليعليه السلام قال: «امرت بقتال: الناكثين والقاسطين والمارقين». وقال: عن خليد القصري قال: سمعت امير المؤمنين عليعليه السلام يقول يوم النهروان: «أمرني رسول اللهﷺ بقتال: الناكثين والمارقين والقاسطين».. المسترشد للطبري: ج٢ ص٨٦، راجع «الإمام عليعليه السلام وحروب التأويل» الحسين أحمد السيد..

إبليس في بعثة النبي خوفاً من (التنزيل) وفي يوم الغدير خوفاً من إغلاق الأبواب عليه كي لا يتمكن من التحريف في (التأويل)، أي خوفاً من الحيلولة دون محاولاته للتحريف والتأويل بالباطل.

من أعمال عيد الغدير

والرواية الثانية، هي: خطبة لمولانا أمير المؤمنين علي (عليه سلام الله) في يوم الغدير، نقرأ منها:

«واعلموا أيها المؤمنون أن الله ﷻ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ﴾[1] أتدرون ما سبيل الله؟ ومن سبيله؟ ومن صراط الله؟ ومن طريقه؟

أنا (صراط الله) الذي من لم يسلكه بطاعة الله فيه، هوى به إلى النار.

وأنا (سبيله) الذي نصبني للإتباع بعد نبيه ﷺ.

أنا (قسيم النار) أي مقاسمها وسهيمها، أقول للنار: هٰذا لك، وهذا لي).

أنا (حجته) على الفجار، أنا (نور الانوار).

فانتبهوا من رقدة الغفلة، وبادروا بالعمل قبل حلول الأجل، وسابقوا إلى مغفرة من ربكم قبل أن يضرب بالسور بباطن الرحمة وظاهر العذاب، فتنادون فلا يسمع نداؤكم، وتضجون فلا يحفل بضجيجكم، وقبل أن تستغيثوا فلا تغاثوا.

سارعوا إلى الطاعات قبل فوت الأوقات، فكأن قد جاءكم هادم اللذات، فلا مناص نجاء، ولا محيص تخليص.

(١) الصف: ٤.

عودوا رحمكم الله بعد انقضاء مجمعكم بالتوسعة على عيالكم، والبر بإخوانكم والشكر لله عَزَّ وَجَلَّ على ما منحكم، واجتمعوا يجمع الله شملكم، وتبارُّوا يصل الله ألفتكم، وتهانؤا نعمة الله كما هناكم الله بالثواب فيه على أضعاف الأعياد قبله وبعده، إلا في مثله.

والبر فيه يثمر المال ويزيد في العمر، والتعاطف فيه يقتضي رحمة الله وعطفه، وهبوا لإخوانكم وعيالكم من فضله بالجهد من جودكم، وبما تناله القدرة من استطاعتكم، وأظهروا البشر فيما بينكم، والسرور في ملاقاتكم، والحمد لله على ما منحكم، وعودوا بالمزيد من الخير على أهل التأميل لكم وساووا بكم ضعفاءكم في مآكلكم، وما تناله القدرة من استطاعتكم، على حسب إمكانكم، فالدرهم فيه بمائتي ألف درهم، والمزيد من الله عَزَّ وَجَلَّ.

وصوم هٰذا اليوم، مما ندب الله إليه، وجعل الجزاء العظيم كفالة عنه، حتى لو تعبد له عبد من العبيد في الشيبة من ابتداء الدنيا إلى انقضائها، صائماً نهارها قائماً ليلها، إذا أخلص المخلص في صومه، لقصرت إليه أيام الدنيا عن كفايته.

ومن أسعف أخاه مبتدئا، وبره راغباً، فله كأجر من صام هٰذا اليوم، وقام ليلته.

ومن فطر مؤمناً في ليلته، فكأنما فطر فئاماً وفئاماً بعدّها عشرة».

فنهض ناهض، فقال: يا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ما الفئام؟

قال: «مائة ألف نبي وصديق وشهيد، فكيف بمن تكفل عدداً من المؤمنين والمؤمنات، فأنا ضمينه على الله تعالى: الأمان من الكفر والفقر.

ومن مات في يومه أو ليلته أو بعده إلى مثله، من غير ارتكاب كبيرة فأجره على الله، ومن استدان لإخوانه وأعانهم، فأنا الضامن على الله إن بقاه قضاه، وإن قبضه حمله عنه.

وإذا تلاقيتم فتصافحوا بالتسليم، وتهانؤا النعمة في هٰذا اليوم، وليبلغ الحاضر الغائب، والشاهد البائن، وليعد الغني على الفقير، والقوي على الضعيف، أمرني رسول الله ﷺ بذلك».[١]

إن علينا أن نقرأ هٰذه الكلمات النورانية بإمعان وتدبر، ثم يجب علينا أن ندخلها في حياتنا اليومية لنعيشها واقعاً في المجتمع المؤمن، فإن يوم الغدير يومٌ عظيم.

ويمكن للإنسان الذي لم يقم بهذه الأعمال وغيرها حتى الآن، أن يتلافى ويتدارك، وإن كان الوقت قد فات وانقضى فلينو على ذٰلك وليعزم ويجزم للسنة القادمة بإذن الله تعالى، وليشجِّع وليُحرِّض، ويحثّ الآخرين على ذلك..

(كونوا مع الصادقين)

الآية الشريفة تقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾..

وقد أشرنا ـ فيما سبق من البحوث ـ إلى بعض الإجابات عن الإعتراض الذي إعترض به البعض علينا، وهو: لماذا لم يُصرَّح باسم الإمام علي (عليه الصلاة وأزكى السلام) في القرآن الكريم؟

وقد تطرقنا لعدد من الأجوبة، في الأبحاث الماضية، ولكن خطرت بالبال حزمة جديدة من الأجوبة على هٰذا السؤال، فالاجوبة حتى الآن

(١) بحار الأنوار: ج٩٤، ص١١٧.

بلغت بلطف الله وكرمه تسعة وعشرين جواباً[١]، ونحن نستعرض هٰذه الليلة بعض الأجوبة ونترك الباقي للبحوث الآتية، إن شاء الله تعالى.

لماذا البحث عن الجواب على هٰذا السؤال؟

ولكن قبل الخوض في غمار البحث، أشير إلى أن البعض ربما يقول: لا شأن لنا بهذا البحث لا من بعيد ولا من قريب، في كثيرٍ أو قليل، إذ هٰذه المسالة العقدية، ترتبط بإيمان العبد، ونحن بحمد الله مؤمنون بإمامة أمير المؤمنين ومولى الموحدين، بالأدلة المختلفة، ولا يهمنا كثيراً معرفة: لماذا لم يُصرِّح الله تعالى باسم ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في القرآن الكريم؛ ولهذه الجهة نجد أن البعض لا يستهويه مثل هٰذا السؤال، ولا يدعوه لكي يبحث عن الإجابة عنه؛ وذلك لأنه ولله الحمد متيقن، ولعله حاز على درجة (علم اليقين) أو (حق اليقين) أو (عين اليقين)، وهو مؤمن بالمطلق بأن ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ هم أئمة أهل البيت الميامين (عليهم صلوات الله والملائكة والأنبياء والناس أجمعين)، للروايات الكثيرة والمتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وللإجماع بشأن نزول عدد من الآيات، بل ولشهادة قلبه ووجدانه وفطرته بذلك أيضاً: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٢] ولما أشبه ذلك، من الأدلة المفصلة المذكورة في موسوعة: «العبقات» و«الغدير»، وفي «المراجعات»، و«ليالي بيشاور» أو ما أشبه ذٰلك من الكتب المعروفة..

لكن نقول لمثل هٰذا (المؤمن): أن معرفة الجواب والأجوبة على هٰذا السؤال (فضيلة) و(أمر حسن) ومطلوب.

أولاً: «لأن العلم نور» و«العلم خير من الجهل».

---

(١) راجع هامش ص ٩٠ من الكتاب.
(٢) الروم: ٣٠.

وثانياً: لأن معرفة كل ما يرتبط بأمير المؤمنين وسائر الأئمة الميامين عليهم السلام «عبادة»، يستوجب بها الإنسان عظيم الأجر والمثوبة.

وثالثاً: لأن الإنسان المؤمن هو في معرض سؤال الآخرين له؛ إذ أنه في حالة تماس، وتلاقي مع الآخرين، فهو حائز على (يقين) لكن ليس كل الناس يمتلكون مثل ذلك اليقين، فعليه أن يبحث عن الإجابة لكي يكون مسلحاً لا بجواب واحد، بل بأجوبة عديدة؛ إذ لعل شخصاً يقتنع بجواب وآخر يقتنع بجواب آخر، وهكذا.. ولعله يحصل له (اليقين) بتعاضد الأجوبة وتكاتفها.

وبعبارة أخرى: إن (المعرفة) هي مكرمة ومنقبة له؛ إذ أن يعلم خير له من أن لا يعلم، خاصة في الشؤون العقدية.

إذن، فأهمية هٰذا البحث فيما يرتبط بالإنسان نفسه تنبع من

١ـ أن يعرف ويعلم.

٢ـ أن يزداد نوراً، وعلماً، ومعرفة؛ فإن المعتقد عن علم وإجتهاد أقوى نوراً ومعرفة من المعتقد تقليداً، والمعتقد عن أدلة عديدة أقوى نوراً وعلماً ومعرفة من المعتقد عن بعضها.

فإن قوي الإيمان والمتيقن على مراتب، وإن اليقين له درجات، من (علم اليقين)، و(عين اليقين)، و(حق اليقين).

كذلك أن ضعيف الإيمان يزداد إيمانه ويقوى يقينه، بإزدياد (المعرفة) والإحاطة بمجموعة متكاثرة من الأجوبة.

٣ـ أن يزداد (محبة وولاءً) (للصادقين) عليهم صلوات المصلين.

٤ـ ولأن هٰذه المعرفة عن إجتهاد وبراهين، هي عبادة في حد ذاتها، وقد جاء في الحديث: «ذِكر علي عبادة».[1]

٥ـ وإضافة لذلك، فإنه يكون بهذه المعرفة قادراً على التصدي للشبهات.

هذا السؤال سيال وعام

وقد ذكرنا سابقاً: أن هٰذه الإجابة سيالة، أي أن هٰذا السؤال وهو:

لماذا لم يُصرح الله ﷻ باسم ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في القرآن الكريم؟

ليس سؤالاً يتيماً وفريداً، فإن أنواع هٰذه الأسئلة والمماثل لهذا السؤال ليس بالقليل، وذلك مثل:

لماذا لم يذكر الله ﷻ في القرآن الكريم أن السجود يجب أن يكون على السجاد دون التراب بزعمهم؟

ولماذا لم يذكر الله ﷻ في القرآن الكريم بعض مسائل علم الألسُنيات والهرمنيوطيقا؟

ولماذا لم يذكر الله ﷻ في القرآن الكريم أنه لا توجد هنالك ضريبة في الإسلام، إلا الخمس والزكاة على المسلمين والجزية والخراج على غيرهم؟

ولماذا لم يذكر الله ﷻ في القرآن الكريم (الاقتصاد الإسلامي)، وهل هناك اقتصاد إسلامي أم لا، وهل له حدود، ومعالم، وضوابط، ومواد أم لا؟

(١) مناقب آل أبي طالب لإبن شهر آشوب: ج٣، ص٦. تاريخ مدينة دمشق: ج٤٢، ص٣٥٦.

ولماذا لم يذكر الله تعالى في القرآن الكريم أن (المرأة) هل لها أن تصبح رئيساً للجمهورية، أو رئيساً للحكومة، أو وزيراً من الوزراء، أو عضواً بمجلس النواب، أو مفتياً، ومرجع تقليد، أو قاضياً أو لا؟

لماذا لم يذكر الله ﷻ في القرآن الكريم ذٰلك كله ولم يُصرِّح بذلك؟

ولماذا لم يتطرق القرآن لـ(نظام فصل السلطات)، رغم أن هٰذا المبحث مبحث هام جداً، وهو غير مطروح في القرآن الكريم، سلباً أو إيجاباً حسب الظاهر، كما قد يقال رغم أنه بحث مرتبط بالبشرية، فهل المركزية هي الأفضل أم اللامركزية؟

فإن اللامركزية بهذا الشكل المعروف بالسلطات الأربع: (السلطة التنفيذية)، و(السلطة التشريعية)، و(السلطة القضائية)، و(السلطة الرابعة) وهي سلطة الإعلام، وهناك (سلطة خامسة)، وهي منظمات المجتمع المدني، أو منظمات حقوق الإنسان..

إن (اللا مركزية) و(فصل السلطات) و(الحريات) مواضيع هامة جداً، والبشرية على مرِّ التاريخ قد ابتليت بالمركزية والدكتاتورية وعانت منها أشد المعاناة.[1]

هذه الأسئلة وأشباهها وربما تكون بالمئات، بل قد تكون بالألوف، لماذا لم يطرحها ولم يجب عليها القرآن الكريم بصراحة؟

إذن، البحث سيال ومتعدد الأبعاد والجوانب والفائدة أيضاً.

---

(١) سنفصل في المستقبل بإذن الله تعالى الحديث عن مبحث (فصل السلطات) وأنه قد أشير له في القرآن الكريم وفي آيات عديدة، وبعضها قد يكون شبه الصريح في إفادة المطلب.

(المتشابه) و(الأمراض) و(البداء) لماذا؟

ولكي يتضح لنا الجواب عن سؤال: لماذا لم يذكر الله تعالى بصريح العبارة اسم الإمام علي عليه سلام الله وسائر ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في القرآن الكريم)، علينا أن نتساءل كما سبق أيضاً: لماذا يوجد (المشابه) في القرآن الكريم، فإن السؤال عن (المتشابه) أصعب ظاهراً؛ لأن المتشابه مما يوقع الكثيرين في الزيغ والخطأ والخطل، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[1] فمَنْ الذي جعل هٰذا السلاح بأيديهم؟

إنه ﷻ، ولكن لماذا؟!

من فوائد هٰذا المبحث ومنافعه

فالبحث والجواب عن هٰذا السؤال: لماذا لم يُصرِّح الله ﷻ بأسماء ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ (سلام الله عليهم) في القرآن الكريم. ينفع في أمور منها:

أولاً: في الجواب عن شبهة (المتشابه)..

ثانياً: في الجواب عن شبهة الأمراض والأعراض: لماذا خلق الله تعالى (الأمراض) و(الأوبئة) و(المكروبات والجراثيم والفايروسات)؟

فإن الإنسان المؤمن إذا عصى الله، فإن الله يؤدبه، بالمرض أو الفقر أو غيرهما، كي يُخلِّصه من العذاب الأسوأ في جهنم فلا ينتقم منه هنالك، بل يخرجه من الدنيا طاهراً مطهراً، وهذا وجه وجيه كما هو واضح، ولكن إذا كان الرجل تقياً نقياً ولم يقترف من المعاصي شيئاً، فلماذا يبتليه الله بالفقر أو بالعدو الغاشم أو بالمرض، وربما يكون المرض مرضاً

(١) آل عمران: ٧.

مؤذياً ومؤلماً جداً، وقد تكون رائحته مُنتنة ومنفرة، وقد يفر الناس منه، ويهجرونه، لماذا؟

وما هو السِّرُّ في ذلك؟

وهذا مصداق من مباحث عالم التكوين، وله مجال بحث هام وتفصيلي، إلا أن أجوبتنا ههنا ستنفع في هٰذا المبحث أيضاً؟

وينفع ـ **ثالثاً** ـ في الجواب عن سؤال: لماذا الله ﷻ ابتلانا بـ(البداء)، لماذا وما هو السبب في ذلك؟ وبعضها كان على لسان النبي ﷺ والعديد من أنبياء الله العظام، وبالتعبير العرفي (النبي تورّط) بالبداء...، وهذا التعبير نذكره للتقريب للذهن وليس المقصود به معناه الحرفي، إذ نجد أن النبي يقول شيئاً ويخبر عن حدث مستقبلي، وبعد ذٰلك يتغير الأمر ويحدث عكس ما أخبره، وذلك رغم أن الله تعالى كان هو الذي أوحى له بذلك قبل البداء، (ولا يخفى أن «البداء» في الله يعني «الإبداء»)، وذلك مما يسبب وقوع كثير من الناس في حيرة، ولعل بعضهم يضل ويفقد إيمانه بذلك، كما حدث في قضايا كثيرة ومتعددة، تعرف بقضايا (البداء) وهي ليست بالقليلة، وعند أهل الخلاف روايات في ذلك، وعند الشيعة أيضاً روايات متعددة بذلك عن رسول الله ﷺ، وعن الأنبياء السابقين كعيسى المسيح (على نبينا وآله وعليه السلام) وغيره.

فلماذا (البداء)؟

قصة النبي ﷺ واليهودي والأفعى

وقد ورد أن النبي ﷺ مر على يهودي حطاب فقال اليهودي للنبي ﷺ: (السَّام عليكم) إهانة وسباباً، إذ ليس هٰذا سلاماً، بل هو

إعتداء على النبي الأعظم بجارح القول، إذ قال: السَّام عليكم، و(السام) يعني (الموت)..

لكن النبيﷺ اكتفى في جوابه بـ: وعليك، ولم يعاقبه، ولم يسجنه، ولم يعذبه، ولم ينفه من الأرض، وما أشبه ذلك، ثم قال النبي لبعض أصحابه: إن هٰذا اليهودي الحطاب سيعضه أسود (ثعبان أسود) في قفاه فيموت.(١)

ومن الواضح حساسية الموقف فإن كلام النبي كان في معرض التكذيب، من اليهود، والمسيحين، والمشركين؛ إذ كانوا ينكرون رسالة رسول اللهﷺ ويستغلون كل شيء ضده، والله من جهة أخرى يريد أن يتمَّ الحجة عليهم فلماذا هٰذه الورطة المعاكسة إن صحَّ التعبير؟ لماذا هٰذا المطب؟ فإن الرجل عاد ولم يعضه الأسود كما أخبرهم النبيﷺ، وعندئذٍ قال النبيﷺ لهم: قوموا إليه وقال: اكشف عن الحطب، وكان قد احتطب حطباً كثيراً وإذا ثعبان أسود عاضٌ على خشبة، ولقد كان المقرر في قدر الله الأوّلي أي في لوح المحو والإثبات أن يعضه، ولكنه عضَّ على خشبة بدلاً عن ذلك، فقال له النبيﷺ: ماذا صنعت اليوم؟

---

(١) بإسناده إلى الإمام الصادق (عليه سلام الله) قال: «مر يهودي بالنبيﷺ، فقال: السام عليك.. فقال رسول اللهﷺ: عليك، فقال أصحابه: إنما سلم عليك بالموت، قال: الموت عليك!! قال النبيﷺ: وكذلك رددت، ثم قال النبيﷺ: إن هٰذا اليهودي يعضه أسود في قفاه فيقتله.. قال: فذهب اليهودي فاحتطب حطباً كثيراً فاحتمله ثم لم يلبث أن انصرف فقال له رسول اللهﷺ: ضعه.. فوضع الحطب فإذا في جوف الحطب أسود، عاضٍ على عود، فقال: يا يهودي أي شيء عملت اليوم؟ قال: ما عملت عملا حطبي هٰذا واحتملته فجئت به وكان معي كعكتان، أكلت واحدة وتصدقت بواحدة على مسكين.. فقال رسول اللهﷺ: بها دفع الله عنه أن الصدقة تدفع ميتة السوء عن الإنسان».. الكافي: ج٤، ص٥، باب أن الصدقة تدفع البلاء، ح٣.

إن النبيﷺ يعلم السبب، ويعرف القضية، ويدري ما هي المعادلة، ويعلم فلسفة هٰذه القضية وأشباهها، لكنه أراد أن يسمع من الطرف الآخر.. النبيﷺ قال له: ما الذي صنعت اليوم؟

قال: كانت عندي كعكتان فمرّ بي فقير فأكلت واحدة وأعطيت لذلك الفقير الكعكة الأخرى، قال النبيﷺ: بذلك دفع الله عنك البلاء..

ولعل شخصاً يقول في إيضاح فلسفة ذلك: بأن الفلسفة هي أن النبي أراد أن يبين أهمية، وفائدة (الصدقة) بشكل عملي، لذلك ذكر لهم موته.. ثم لمّا بان لهم عدم موته، سأله ماذا صنع، ليعلموا ولنعلم آثار (الصدقة).

ولكن هٰذا الجواب لعلّه غير كافٍ، لأن النبي كان بمقدوره أن يقول: أيها الناس اعلموا ـ وكان هٰذا يزيدهم يقيناً به ـ أن هٰذا اليهودي من المقدّر تقديراً مبدئياً أولياً في لوح المحو والإثبات أن يعضه أسود، وسأريكموه في الحطب الذي على ظهره، لكنه سوف يتصدّق بكعكة من كعكتيه فينجو من الموت!!

ثم إنه عندما كان يحدث ذٰلك في المستقبل، كما حدث بالفعل، كان الناس يزدادون إيماناً به وكانت الحجة على الأعداء أتم، وكان التحريض بذلك على الصدقة كبيراً أيضاً.

إذن جواب (بيان أهمية الصدقة) لا يكفي لدفع هٰذه الشبهة وهي: (لماذا هٰذا المطب؟)، أي لماذا ذكر النبي شيئاً ليتلقاه السامعون إخباراً حتمياً عن المستقبل، ثم عندما لا يقع، يشكك أناس ويهرجون، ولا يزالون كذلك، ولا يتفهمون أجوبة (البداء) أو غيرها، بينما تلك الطريقة الأخرى كانت بمنآى عن هٰذه الإثارة والمشكلة؟

إن الإجابة عن هٰذه القضية ونظائرها، هي بذاتها تعد الإجابة عن سؤالنا المعهود أيضاً، وهو: لماذا لم يصرح الله ﷻ بأسماء ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في القرآن الحكيم؟

إذاً الجواب الرابع والعشرون، هو فلسفة (الابتلاء) بغرض (التكامل)..

والجواب الخامس والعشرون الذي نضيفه الليلة هو: فلسفة (الفتنة) بغرض (الإسقاط) وقد ورد «**لتغربلن غربلة**»[1].

والجواب السادس والعشرون: فلسفة (الامتحان) بغرض (الكشف) و(الإكتشاف) وهو الذي رقمناه سابقاً برقم ٢٤.

للتوضيح دققوا بهذه الأجوبة الثلاثة، وهي في الواقع أربعة أجوبة، ولكن الجواب الثالث ندمج شقيه فيصير جواباً واحداً، فهذه ثلاث أجوبة تشكل بمجموعها الأوجه الثلاثة للإجابة عن تلك الأسئلة بأجمعها...

إن لله ﷻ فلسفة اسمها: (الابتلاء).. وفلسفة أخرى اسمها (الفتنة).. وفلسفة أخرى أو حكمة أخرى أو علّة أخرى اسمها (الامتحان).. ولكن ما هي معاني هٰذه المصطلحات والحِكَم، وما هي الفوارق بينها، وما هي النسبة من النسب الأربعة بينها؟

ليس هنا مكان البحث المفصل عن ذلك، ولكننا الآن نبحث عن هٰذه المصطلحات القرآنية الثلاثة على ضوء وجود أبعاد وزوايا ثلاثة مختلفة ثبوتاً، وعلى ضوء بعض مواطن الاستعمال القرآني لها إثباتاً، ودققوا في

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطبة ١٦ ـ من كلام له عليه السلام لما بويع بالمدينة وفيه ما يكون من امر الناس وكلامه في الوصية بلزوم الوسط: «والذي بعث محمداً ﷺ بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة ولتساطن سوط القدر حتى يعلو أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سابقون كانوا سبقوا»...

قولنا: (على ضوء بعض مواطن الاستعمال)[1] ودققوا أيضاً في البحث كله جيداً؛ لأنه دقيق ومفيد، بإذن الله تعالى.

(١) إذ في بعض موارد الاستعمال الأخرى أريد ببعضها ما يراد من الآخر.

[٢٤]

الجواب الرابع والعشرون:[١]

١. فلسفة (الابتلاء) بغرض (التكامل)

لسنا الآن بصدد تحديد العلاقة والنسبة بين (الابتلاء) و(الفتنة) و(الامتحان) بشكل مستوعب وتفصيلي، علماً بأنه قد يقال عنها بشكل عام: بأنها مما إذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت اجتمعت، أي أن (الامتحان) يطلق على(الابتلاء)، و(الابتلاء) يطلق على (الامتحان)، وكلاهما يطلق على (الفتنة)، وبالعكس، فهي مما إذا افترقت اجتمعت، لكنها لو اجتمعت افترقت..

ولكن الآن وعلى ضوء بعض مواطن الاستعمال في القرآن الكريم، نوضِّح موارد الاختلاف بين المصطلحات الثلاثة، ولو بلحاظ (المستعمل فيه) دون (الموضوع له) أو دون (تمامه)[٢]، وبعبارة أخرى: سيجري

(١) كررنا الرقم، لأن الجواب الرابع والعشرين السابق قد كررناه في ضمن الأجوبة الثلاثة المذكورة هنا وهي الأجوبة ٢٤ـ ٢٦.

(٢) وبتعبير آخر سنستخدم كلاً من: (الابتلاء) و(الفتنة) و(الامتحان) بمعناها الأخص، ومن باب استعمال اللفظ الموضوع لمعنى في بعض أنواعه، والمهم أنه ثبوتاً توجد هٰذه الأنواع الثلاثة حسب تعريفنا لها، وإثباتاً قد استخدم كل منها في أحدها ولو في بعض الموارد.

الحديث عن المصطلحات الثلاثة بلحاظ (الهدف)[١] من كل منها عندما يستخدم وإن كان اللفظ في حد ذاته عاماً.

أ. العنوان الأول: (الإبتلاء)

والذي ورد في هٰذه الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾.[٢]

ولنتساءل الآن: ما هي حكمة (الابتلاء) في هٰذه الآية الشريفة؟

وما هو الهدف منه؟

والجواب:

في قضية إبراهيم الخليل (عليه سلام الله)، فإن فلسفة (الابتلاء) ـ بشكلٍ موجز ومختصر ـ كانت هي (التكامل)[٣]، فلقد إبتلاه الله بنار نمرود حتى يتكامل إبراهيم (عليه سلام الله).

ثم ابتلاه الله بإقصاء أهله إلى مكة المكرمة ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ ﴾، حتى يتكامل، أكثر فأكثر، فإن ذٰلك نوع من رياضة النفس، ورياضة الروح، وكما أن البدن يتغير بالرياضة وينمو ويقوى، كذلك الروح، والتقوى تزداد وتتضاعف بأمثال هٰذه الامتحانات.

ثم امتحنه الله سبحانه وتعالى بالخمسة الطيبة؛ حيث إن الله سبحانه وتعالى عرض عليه أسماء: (محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام) فخرج من

(١) مهم التوقف في كلمة (الهدف من كل منها) إذ لعل أحد هٰذه الثلاثة استخدم بهدف، والآخر بهدف آخر، وإن كان مفادهما واحداً فتدبر.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) ومن الواضح أن إثبات الشيء لا ينفي ما عداه؛ إذ (التكامل) كان (فلسفة إبتلاء إبراهيم عليه السلام) كما أن (السقوط في الامتحان وإتمام الحجة) كان (فلسفة الفتنة) في المقام.

الامتحان ناجحاً؛ إذ آمن بهم وبأفضليتهم منه ومن كافة خلائق الله تعالى.. كما ابتلاه ربه تعالى بإبتلاءات أخرى عديدة..

فكانت فلسفة (ابتلاء) النبي إبراهيم عليه السلام في هٰذه القضايا هي: التكامل والتسامي الأكثر في الدرجات والمراتب؛ ولذا نجد أن الله تعالى يقول بعد: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ والظاهر منه: أن جعله إماماً قد تفرع على نجاحه في كل تلك الكلمات، وترقية المتواصل في الدرجات والكمالات، خاصة مع لحاظ ما في كلمة (أتمهن) من المعنى الدقيق والعميق.

وفلسفة (الابتلاء) جارية في (الخلق) بشكل عام؛ فإن (التكامل) هو ما يريده الله تعالى لعباده الصالحين حين يبتليهم؛ إذ كثيراً ما يبتلي الله سبحانه وتعالى العبد المؤمن بمرض، أو بسلطان جائر، أو بسجن، أو بتعذيبٍ، أو بفقرٍ، أو ما أشبه ذلك؛ لكي يتكامل ويسمو روحياً، لما علم الله منه من صلاحه بذلك، وأنه من ﴿ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾[1]، فيريد جل اسمه أن يزداد عبده سمواً وقرباً وتكاملاً وأجراً ودرجات فـ(يبتليه)..

---

(١) (الأنبياء: ١٠١)

[٢٥]

الجواب الخامس والعشرون:

ب. فلسفة (الفتنة) بغرض (الإسقاط)

العنوان الثاني (الفتنة) وهي تقع في الاتجاه المقابل، وحسب مورد نزول واستعمال بعض الآيات القرآنية الكريمة، فإن الله ﷻ أحياناً يبتلي الإنسان لكي يسقط ويزداد طغياناً وعلواً وعصياناً وإثماً: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾[1] على عكس الصورة الأولى، فهو تعالى أحياناً (يبتليه) لكي يترقى وينجح ويسمو ويتألق أكثر فأكثر، وأحياناً (يبتليه) لكي يسقط في الإمتحان.

وقد اطلقت (الفتنة) في بعض موارد استعمالاتها على الأقل على ذلك، وهذه بعض الشواهد القرآنية:

---

(١) آل عمران: ١٧٨.

أ. السقوط في فتنة غزوة تبوك

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.(١)

نزلت هٰذه الآية الشريفة نظراً لأن بعضهم أراد التهرب من غزوة تبوك، فذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليستأذنوه كي لا يشاركوا في المعركة، قالوا: ﴿ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ﴾ فهم لا يريدون أن يشتركوا في الحرب؛ فهم كانوا سيعصونه ويخالفونه لو أمرهم بالمشاركة، فلا يشتركون، أو لأنهم حتى لو شاركوا فإنهم كانوا سيهربون في الأثناء، وفي كلتا الصورتين كان سيحق عليهم العذاب؛ ولذلك طلب هٰذا البعض أن لا يفتنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: ﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ أي: بأن تأمرني أمراً أعصيك فيه إبتداءً أو استمراراً فقد طلب (إذن النبي) ليسمح له، وهو يعلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا قال له شارك فإنه لا يشارك..

إذن (أمره) صلى الله عليه وآله وسلم أولئك النفر بالمشاركة في الحرب رغم علمه بأنهم لا يستجيبون إنما هو (فتنة) الهدف منها أن يسقط أولئك في الامتحان لا أن يترقوا: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ بل إنهم منذ البداية عندما طرحوا هٰذا السؤال على النبي وبهذه الطريقة، كان ذٰلك بداية سقوطهم في ﴿ٱلْفِتْنَةِ﴾، وفي الإمتحان الإلهي ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ﴾ أي معصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴿سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وهم أصلاً كفار في جوهرهم، ومصيرهم أن يدخلوا جهنم، ولكن هٰذه ﴿ٱلْفِتْنَةِ﴾ كانت طريقهم إلى ذلك..

---

(١) التوبة: ٤٩.

ولقد كان ذٰلك معلوماً من حقيقة (جوهرهم) من قبل[١]، وبنيَّة وعزم وجزم وإرادة واختيار منهم من بعد، فلا (جبر) أبداً.

كما أنه في الإتجاه المقابل، كان إبراهيم عليه السلام قد حدد مصيره جوهرياً[٢] من قبل، لكن بالنية والعزم والإرادة والاختيار، وبحسب الإمتحانات الإلهية السابقة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ أي حسب إمتحانات سابقة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾[٣]..

إذن، هناك فلسفة تسمى (فلسفة الفتنة)،وهي في مقابل (فلسفة الإبتلاء) تماماً[٤]، وبحسب الآية الشريفة المتقدمة التي يراد منها إسقاط الشخص، أي أن يسقط في الإمتحان وأن يرسب.[٥]

ب. السقوط في فتنة السامري

وهناك الكثير من الآيات القرآنية الكريمة الأخرى الدالة على أو الواردة مورد (الفتنة) التي يقصد منها (إسقاط الشخص) أو (الجمع) في الامتحان، قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾

(١) قال الحكيم الطوسي في «تجريد الاعتقاد»: (والعلم تابع، بمعنى أصالة موازنه في التطابق) وهذه الكلمة دقيقة إلى أبعد الحدود وعميقة الدلالة، وهو الجواب الشافي عن شبهة الجبر، وقد أوضحنا ذلك في «مباحث الأصول، القطع» الجزء الثاني.

(٢) وقد بحثنا موضوع (الجوهر) و(الطينة) وأنه لا يؤدي للقول بالجبر أبداً، بوجوه عديدة، في كتاب «شعاع من نور فاطمة» وكتاب «إضاءات في التولي والتبري».

(٣) المؤمنون: ١٠١.

(٤) حسب بعض موارد استعمالها.

(٥) وأن ينفضح بتعبير آخر..

﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾.[1]

لماذا فتنهم الله تعالى؟

حتى تظهر جواهرهم وحقائقهم فيسقطون في الإمتحان، وليس ليتكاملوا؛ لأنهم معلوم مسبقاً إنهم سوف لا يسلكون طريق التكامل.

﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾ وإن نبي الله موسى الكليم عليه السلام يعرف الإجابة على هٰذا السؤال، ولكنها إجابة لنا؛ كي نتعرف نحن والأجيال المتلاحقة على الإجابة على ذٰلك السؤال.

والحاصل: إن الله سبحانه (ابتلى) إبراهيم الخليل (على نبينا وآله وعليه السلام) حتى يتكامل وهذا جيد ومُحبَّذ، ولكنه (فتنهم) حتى (يسقطوا)، لماذا؟ أي نتساءل ما السبب وراء ذلك؟

والجواب يأتينا من رب العزة والجلالة مباشرة حسب الرواية التالية، فقد ذكر في «الصافي» الشريف: (وبقوا في ذٰلك (عبادة العجل) حتى تمَّ ميقات موسى أربعين ليلة، فلما كان يوم عشرة من ذي الحجة أنزل الله تعالى عليه الألواح فيها التوراة وما يحتاج إليه من أحكام السير والقصص، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾ وعبدوا العجل وله خوار، فقال: «يا رب العِجل، من السامري، فالخوار ممن؟ فقال: مني يا موسى، إني لما رأيتهم قد ولوا عني إلى العجل أحببت أن أزيدهم فتنة».. فرجع موسى إلى قومه كما حكى الله.[2]

---

(١) طه: ٨٥ـ٨٨.

(٢) تفسير الصافي للفيض الكاشاني قدس سره: ج٤، ص٣٢٩.

فنبي الله موسى عليه السلام ذهب إلى الميقات أربعين يوماً، فهو إذن في مهمة إلهية رسالية، ثم يفاجأ ولو ظاهرياً احتمالاً بأن الله (يفتن) قومه حتى يسقطهم في (جهنم)..

نعم.. هٰؤلاء هم بنو إسرائيل الذين نرى نسلهم الطاغي الباغي الآن، والذين ما غاب عنهم رسولهم إلا أياماً معدودات، حتى عبدوا العجل الذهبي الذي له خوار..

وموسى الكليم (عليه سلام الله) لم يتعجَّب من العجل، ومما صنعه السامري، ولكن تعجب بحسب الظاهر على الأقل من (الخوار) وهو صنع الله فسأل عنه ليُعلم الأجيال أن ذٰلك (فتنة) لهم ليسقطوا في الإمتحان..

العجل من السامري لكن (الخوار) ممن؟

إن الإشكال في (قضية السامري) قد يتوهم أنه إشكالٍ على ما صنعه الله تعالى، أي في الحقيقة هو سؤال عن (حكمة) ما صنعه تعالى؛ لأن السامري صنع من الحُلي والزينة مجسماً وتمثالاً على شكل العجل، وكان قد قبض قبضةً من أثر الرسول الذي هو جبرائيل عليه السلام ـ احتمالاً ـ إذ كان حافر جواد جبرائيل[1] عندما يضعه على الأرض فإنه يبعث في التراب أو الرمل الذي يلامس حافره (الحياة)، فحافر حصان جبرائيل كانت له هٰذه الخاصية، فأينما يضع هٰذا الحصان حافره فإنه كان يبعث فيه الحياة، فكان الرمل يتحرك ويصدر أصواتاً خاصة..

(١) ربما كان هو البُراق كما في بعض النصوص..

هل هٰذا من عمل الله تعالى أم من عمل السامري؟! من الواضح أن السامري أقل من ذٰلك بكثير، إلا أنه كان ذكياً، ولديه علم، ولكن ذكاءه كان ذكاءً شيطانياً: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾.[1]

فأخذ السامري قبضة من تراب حافر جواد جبرائيل، ونبذها في العجل فراح العجل يخور ويصوِّت، وهذا هو الذي أغرى بني إسرائيل بعبادته: ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ إذ صحيح أن العجل كان من الذهب، إلا أن الذي زادهم إغراءً لعبادته، وصوَّر لهم صحة دعوى السامري بكون العجل إلهاً، هو الأصوات التي كانت تصدر منه، والسؤال هو: هٰذه الأصوات من أين؟

إن الله تعالى هو الذي خلق ذٰلك الأثر في حافر حصان وجواد جبرائيل، وسمح للسامري أن يقبض قبضةً من ذٰلك الأثر، والله قادر كما هو بديهي على أن يسدّ عليه هٰذا الباب، ولا يسمح للسامري بأن يقبض قبضة من أثر الرسول، أو إذا سمح له، كان له تعالى أن يزيل ذٰلك الأثر بمجرد أن قذف السامري تلك القبضة في داخل العجل، ولذلك نجد موسى يسأل ويقول: «يا رب العجل من السامري، لكن الخوار ممن؟»

فقال الله تعالى: «مني يا موسى! إني لما رأيتهم قد ولوا[2] عني إلى العجل أحببت أن أزيدهم فتنة..».

أي: نعم هو منّي حتى اسقطهم في الامتحان؛ لأني رأيتهم قد ولوا عني إلى العجل، والذي يُعرض عني (أُملي له) وأفتح له مجالات

---

(١) طه: ٩٦.

(٢) ولعل «قد ولوا» من باب المجاز بالمشارفة، أي لما رآهم أرادوا أن يولوا إلى العجل، وإن كان المعنى الحقيقي أيضاً تاماً بوجه، مثل أن يراد به الميل القلبي أو ما أشبه، وهذا بناء على تزامن صناعة العجل مع صدور الأصوات منه، وإلا لما احتاج إلى توجيه كما لا يخفى.

المعصية والطغيان أكثر ليبتعد عني أكثر، فيستحق العقاب الأشد، وهذا هو جزاء فعلهم، فإن الجزاء من سنخ العمل، وبعبارة أخرى: إني لما رأيتهم قد ولوا عني الى العجل باختيارهم، أردت أن أزيدهم فتنةً حتى يسقطوا في الإمتحان، وكل ذٰلك بسوء اختيارهم..

وضع (الطعم) للعصابات!

تصوروا، أنه وجدت في بلدكم عصابة خطيرة من اللصوص، ولم تستطع الأجهزة الأمنية إلقاء القبض عليهم، أو كان بمقدورها ذٰلك إلا أنها أرادت إلقاء القبض عليهم متلبسين بالجريمة كي تكون الحجة عليهم أتم، وكي لا يكون هنالك منفذ (للمحامين) مثلاً للدفاع عنهم، فما الذي عليهم أن يصنعوه؟

عليهم أن يضعوا لهم (طعماً)، هٰذا الطعم هو (تسريب الأخبار) للص أو الجاسوس؛ إذ كيف تكتشف الدول اللصوص أو الجواسيس؟ إن إحدى الطرق هو (الطعم)، حيث يوضع لهم طعم معين كأن يُسرَّب لهم خبر سري، وبدون أن يشكوا بمصدره، بأن هناك مجموعة من السندات والأرصدة ذات القيمة البالغة، أو مجموعة من المجوهرات الثمينة، في فلان مكان، بل وأحياناً مع تسريب معلومات أخرى هامة مثل: أن الحراسة ضعيفة، وأن نقطة الضعف هي كذا وكذا، في تلك الشركة، أو ذٰلك الحصن، أو البناء، أو المتحف، أو ما أشبه ذلك..

فمن الذي سرب ذٰلك الخبر؟! إنه (الحكومة) و(الأجهزة الأمنية)، والسبب أن قسماً من اللصوص ذكي، أو له (حماة) و(ظهر)، والحكومة تريد أن تصطاده بالجرم المشهود، حتى تودعه السجن وتريح العباد والبلاد من شروره.

بعد ذٰلك نجد هٰذه المجموعة من اللصوص تأتي ليلاً وتتسلل للموقع، وإذا بالشّرطة أو البوليس يحاصرونهم ثم يلقون القبض عليهم متلبسين بالجريمة.

إن الحكومة، هي التي زودت اللصوص وأعطتهم (المعلومات) ووفرت لهم آليات المعصية وسهلت لهم إقتحام الشركة أو المتحف أو غيرهما.. كل ذٰلك لا لكي (يتكامل) هٰؤلاء اللصوص، بل لكي يُلقى القبض عليهم، فيودعوا السجن، وتلك المعادلة هي معادلة عقلية، وعقلائية، وهي مقتضى (الحكمة).

إذن: (الفتنة) بغرض (الإيقاع بالأعداء) وبغرض (الاصطياد) هو هدف عقلائي، والهدف في مثل هٰذه المواطن هو (الإسقاط)، كما كان (الابتلاء) بغرض (التكامل) أو (التألق الأكثر) هدفاً عقلائياً أيضاً.

وتسألنا: لماذا لم يصرح الله تعالى باسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم، وبأسماء سائر ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ من الأئمة المعصومين (عليهم صلوات المصلين) رغم أنه قد أمر باتباعهم بصريح قوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ و: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾؟

وخلاصة الجواب:

حتى يزداد المؤمن بهذا (الإمتحان)[1] تألقاً، وكمالاً، وتكاملاً، وأما ذاك الذي في نفسه غشّ، وفي قلبه مرض، فستنكشف ذاته ويظهر جوهره ويسقط في هٰذا (الإمتحان).[2]

---

(١) الذي يسمى بـ(الابتلاء) ولو في بعض المواطن.

(٢) الذي يسمى بـ(الفتنة) ولو في بعض الموارد.

بل لعل شيئاً واحداً كـ(المتشابه): (إبتلاء) بالنسبة للبعض و(فتنة) للبعض الآخر، أو (ابتلاء) من جهة و(فتنة) من جهة أخرى، أو (ابتلاء) في زمن و(فتنة) في زمن آخر.

ولهذين الهدفين المزدوجين، كان (المتشابه) والله يُصرِّح: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾.

فالذي في قلبه زيغ، يريد الله تعالى أن يسقطه في (الفتنة) أو في (الإمتحان)، وذلك مثل عصابة اللصوص الذين نستدرجهم إلى (المصيدة) وإلى ما ينبغي أن يُستدرجوا له، ولكن الذي جوهره صالح، يريد الله تعالى أن يزداد درجة أو درجات، ويتكامل، ويترقى، ويزداد لله ﷻ حباً ومن الله قرباً، وهكذا وهلم جراً..

فهاتان فلسفتان عامتان شاملتان: أن يزداد المؤمن تكاملاً ورقياً، فيحظى باللطف والعطاء الرباني، وأن يزداد المنحرف انحرافاً وضلالاً فيقع في شر آثامه وأعماله.

[٢٦]

الجواب السادس والعشرون:

ج. فلسفة (الإمتحان) بغرض (الكشف) أو (الاكتشاف)

العنوان الثالث: (الامتحان) بالمعنى الأخص، أي المعنى المعهود منه عرفاً، وهو الذي قُصِد في الآية الشريفة التي تقول:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.(١)

والسؤال هو:

لماذا هٰذا الإمتحان في مثل هٰذه الآية الشريفة وما هو الهدف منه؟

هناك هدفان، هما:

(١) الممتحنة: ١٠.

أ. اكتشاف المرء نفسه

الأول: أن (يستكشف) الإنسان نفسه، وأن نعرف أنفسنا؛ ذلك إننا نتصور أننا نعرف أنفسنا، والإنسان عادة هكذا، يتصور نفسه أنه سوف (يصبر) في الملمات الشديدة لا العادية فقط، فإذا دهمه فقر، أو مرضٌ، أو مشكلة، وإذا به ينهار، أو يستسلم، أو يكفر، والعياذ بالله، أو يعتب على الأئمة الأطهار (عليهم سلام الله)..

فـ(بالإمتحان) سوف يكتشف الإنسان نفسه، وهل هو حقاً ذلك الإنسان الصالح، الأمين، الوفي، الذي لا تزل قدمه عند المعصية، أم لا؟

إن الكثيرين يتصورون أنفسهم صالحين حقاً، والبعض قد يتصور إنه (عبد لله) حقاً، لكنه في واقع أمره ليس كذلك و«عند الإمتحان يكرم المرء أو يهان»، إن العبد الحقيقي هو (رسول الله) وسائر المعصومين (عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه) ثم كبار الأولياء، وليس أغلب الناس، وعندما نقول: «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»، لاحظوا أن كلمة (عبده) متقدمة على «رسوله» لماذا؟ لأنه نال مقام «العبودية» الأسمى، فأصبح الأصلح لمقام الرسالة العظمى..

ب. إكتشاف الآخرين للإنسان

الثاني: أن يتعرف الآخرون على الإنسان ويستكشفوه، وفي الآية الشريفة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾[1] الهدف من الامتحان هو ذلك، أي أن يُعرَفَ صدق أو زيف إيمانهن، أي أن

(١) الممتحنة: ١٠.

يَعرِف المؤمنون ذلك، ومن البين أن الله تعالى بذلك عالم، إلا أنه أراد للمؤمنين استكشاف حقيقة إيمانهن.

أمثل لكم مثالاً لطيفاً، حيث ورد في التاريخ: أنّ (خليفة) مشهوراً والأصح أن مدعياً للخلافة وهو حاكم جائر معروف، كان له ولدان، أحدهما ابن لإمرأة من عائلة شهيرة واسمها (زبيدة) وكان ذٰلك هو الابن المُدلل، فلم يبذل الجهد اللازم ليأخذ من العلم شيئاً يُذكر، والابن الثاني؛ كان ابنه من إحدى الإماء وكانت تسمى (مراجل)، وقد جامعها ذاك المسمى بالخليفة في المطبخ، أو اعتدى عليها، وذلك بعد أن اشترطت زوجته زبيدة عليه عندما إنهزم في جولته معها في لعبة الشطرنج المحرمة بمتواتر الروايات ونص الآية الشريفة، أن يجامع تلك الأمة في المطبخ، وعلى أي، فإن ولد (مراجل) ولعله لأنه كان يشعر بعقدة نقص وحقارة، مما حدى به أن يحاول تعويض ذٰلك ببذل جهد كبير لكي (يتعلم) بشكل متميز.

وذات يوم قالت الزوجة (زبيدة) لزوجها: لماذا تُفضِّل وتُقرِّب ابن أمة سوداء قذرة على ابني الشريف النسب؟

الزوج أراد أن يكشف لها السبب عملياً عبر امتحانهما أمامها.. فقال لها: الفرق بينهما كبير والتجربة أكبر شاهد.. ثم استدعى ابن تلك المرأة (زبيدة)، وقال له يا بني: ما هو جمع مسواك؟ فقال له: جمع مسواك هو (مساويك).. فقال له: اذهب..

ثم استدعى أخاه الثاني (المتعلم)، قال له: ما جمع مسواك؟ قال له: جمع مسواك ما هو ضد محاسنك يا أميرالمؤمنين!!

لاحظوا أن الأول غبي مُستهتر، لا يقيم وزناً لأبيه في عالم الأبوة، ولا للحاكم والسلطان، ولم يفهم السبب في توجيه هٰذا السؤال له، وهو

اكتشاف مدى فطنته وكياسته، لأن (مساويك) تعني (مساوؤك)، وهذا الجمع صحيح إلا أن استخدامه كان خلاف البلاغة لأنه كان يخاطب أباه، أما الثاني فهو ذكي، ومتعلم، فلم يقل لأبيه: جمع مسواك مساويك، بل قال له: ضد محاسنك..

وهنا قال ذٰلك الحاكم لزوجته زبيدة: هل عرفتي الفرق بينهما؟

وقد اتضح بذلك وأشباهه ما هو الهدف من أمثال هٰذا الإمتحان؛ فإن الهدف هو أن يُكشف وتُكشف حقيقة هٰذا للآخرين، والقصص كثيرة في هٰذا البحث والشواهد عليه طويلة..

أنواع عديدة من الامتحان

ولنيمم وجهنا الآن صوب القرآن الكريم؛ لأنه يستعرض تلك الحالتين في آياته، وهناك شواهد من القرآن الكريم على تينك الحالتين؛ لأن الله ﷻ يبين لنا أن الإمتحان أحياناً يكون ليكتشف الإنسان نفسه، وأحياناً أخرى ليكشف هٰذا الإنسان للآخرين..

١. امتحان أهل (السنة)؟

هذا الذي يتصور نفسه إنساناً مؤمناً، ولعله يصلي ويصوم على مدار الأيام والسنين، الله تعالى يمتحنه، ثم يقال له: ألم يأمرك الله تعالى في القرآن الكريم بـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، فلماذا لم تبحث عن ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، لتكون معهم، مع وجود الأمر القرآني الصريح المتوجه إليك وإلى كل المؤمنين؟!

ولماذا لم تقرأ الروايات الصريحة الصحيحة الواردة عن النبي ﷺ وهي موجودة في كتبكم وصحاحكم، عن شأن النزول في آية (التطهير) و(الإنذار) وآية (الولاية) وآية (الإطاعة) وآية (إكمال الدين)[1] وغيرها.

عند ذٰلك لو فتح هٰذا الإنسان عينه وقلبه فإنه سيكتشف نفسه على حقيقتها، هٰذا أولاً، كما سيكتشفه الآخرون ثانياً، ولئلا يكون للناس على الله حجة ثالثاً، أي حتى لا يحتج على الله تبارك وتعالى أحد بأنك لم تمتحنّا لترى نجاحنا أو سقوطنا، فلماذا جعلتنا من أهل النار!

٢. امتحان الإرهابي!

وعند التدبر في الآيات الآتية، سنستكشف منها أن كثيراً من الناس لا يعرف نفسه، بل يحسن الظن بنفسه ويتصور نفسه قاطعاً بالجهل المركب أنه من أهل الجنة.

لاحظوا ـ مثلاً ـ ذاك (الإرهابي) الذي يفجِّر نفسه، ويقتل الأبرياء، متوهماً بل قاطعاً، بأنه سيقع في أحضان الحور العين، فيقتل نفسه ويقتل العشرات من الأبرياء بأبشع طريقة، وتتلقاه رؤوس الشياطين في نار الجحيم والعياذ بالله.. فإنهم قد ضلوا، وأضلوا، وطغوا، وبغوا، فمثله كمثل الذين حاربوا رسل الله وأنبيائه ثم أوصياءهم (صلوات الله وسلامه عليهم)، متوهمين بل قاطعين (أي الكثير منهم) بأنهم على الحق المحض.

---

(١) والآيات هي: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ «الأحزاب: ٣٣»
و: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ «النمل: ٢١٤».
و: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ «المائدة: ٥٥».
و: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ «النساء: ٥٩»
و: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ «المائدة: ٣»،

(ويــــكـــبــــرون بـــأن قـتـلـت وإنــمــا
قـتـلـوا بــك الـتـكـبـيـر والـتـهـلـيـلا).

ولا يخفى أن هٰؤلاء على أقسام:

فمنهم الذين: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾.(١)

ومنهم: الجاهل، جهلاً مركباً والقاطع أنه على الحق، لكنه كان مقصراً في المقدمات وهذان يستحقان نار جهنم والعذاب والعقاب.

ومنهم: الجاهل جهلاً مركباً قصوراً، وهذا يعاد امتحانه يوم القيامة...

وتفصيل الكلام عن ذٰلك في محله.

٣. امتحان بني إسرائيل في قتال العمالقة

في غابر الأيام بعث الله تبارك وتعالى نبياً اسمه: (ارميا)، لكن الله تعالى لم يذكر اسمه في القرآن الكريم.. لماذا لم يذكر اسمه؟ مع سهولة ذٰلك وكونه عملياً، فبدل أن يقول جل اسمه: ﴿إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾(٢) كان يقول مثلاً: (إذ قالوا لإرميا النبي) أو: (إذ قالوا لنبيهم أرميا)؟ إن الجواب هنا يشكل أحد الأجوبة عن سؤال: لماذا لم يصرح الله تعالى باسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم، كما سيتضح ذٰلك بإذن الله تعالى.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ ۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا

(١) النمل: ١٤.
(٢) البقرة: ٢٤٦.

مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾.(١)

إذن، قال النبي لهم: ﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُواْ﴾، لكنهم قالوا: كلا، بالعكس لماذا لا نقاتل؟! إن من الواضح أننا سوف نقاتل، إن كثيراً منهم بالفعل لم يكونوا يعرفون أنفسهم وجواهرهم وخبثهم الكامن في أعماقهم، لكن الله يُريد أن يُعرِّفهم بأنفسهم، حتى يكتشف كل واحد منهم أنه إنسانٌ جوهره خبيث، وأنه عند الامتحان سينحاز قطعاً للباطل، مهما تبجح الآن أو إدعى أو قطع بالعكس... إنه من أهل جهنم، وسوف يسقط في الفتنة: ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْ﴾.. لكن لولا ﴿ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ لما قَبِل حكم الله فيه، بل كان يحتج ويعترض وينكر خبث جوهره..

نعم، إنهم: ﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، لماذا لا نقاتل ونحن قد خسرنا كل شيء؟! ﴿وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا﴾ فإذن سنقاتل حتماً؛ لأن مقومات القتال والجهاد متوفرة فينا، وأسبابه كذلك، هٰكذا قالوا بضرس قاطع؛ ولذا طلبوا من النبي (أرميا) أن يبعث لهم مَلِكاً يقاتلون معه ولكن: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

إذن، هٰذه هي (الفلسفة)، وهي: ليكتشف هو نفسه، ليعلم أنه إنسان في جوهره دجال، في جوهره خبيث، ولولا هٰذا الإمتحان كنت تراه يحتج على الله، ويقول: يا رب لماذا جعلتني من أهل النار مع أنني إنسان مؤمن حقاً؟!

(١) البقرة: ٢٤٦.

وبالفعل نجد أن الكثير من الناس هٰكذا يخيل لهم، أي أنه جاهل بالجهل المركب بحقيقته، ولذا لسانه طويل، لكن الله يُعرِّض عبيده للامتحان في هٰذه الدنيا ليكشف لهم جواهرهم: رجالاً ونساءاً، علماء وجهالاً، تجاراً وفقراء، أقوياء وضعفاء، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ﴾.

وهذه هي فلسفة (المتشابه) في القرآن الكريم، وهي من الإجابات على سؤال لماذا يوجد (المتشابه) في الكتاب؟

والجواب: إن (المتشابه) جعل ووضع لكي يكتشف ذاك الإنسان الخبيث، عمقَه ونفسَه وذاته وجوهره، حتى إنه إن لم يكن يعلم أنه خبيث، بل كان يتصور نفسه أنه من عباد الله الصالحين، فإن الله سبحانه يوقعه في (الفتنة) بأن يمتحنه بمرض عُضال، أو بمال وافر، أو برئاسة وحكومة وسلطة، أو بغير ذلك، فيكفر بالله العظيم، أو يظلم العباد ويخرب البلاد ليكون طريقه إلى جهنم وبئس المهاد، وبذلك تنكشف نفسه لنفسه بما لا مجال معه كي يشكك في ذٰلك فـ(تتم الحجة) عليه بذلك، كما تنكشف نفسه للآخرين، ويظهر للجميع أنه كان جديراً بعذاب الله حقاً وصدقاً..

إذن، فكثير من الناس ممن كان عمقه خبيثاً، يسقط في (فتنة) (المتشابه والمحكم)، ويقع في (فتنة) (الأمراض)، ويقع في (فتنة) (حبال إبليس)، وغير ذٰلك أيضاً، ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.. ولذلك جعلت ﴿ٱلْفِتْنَةِ﴾ وتلك هي الحكمة.

٤. امتحانهم في ملكهم الفقير!

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ

يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.(١)

لقد اعترضوا وقالوا: لماذا الله بعث طالوت، وطالوت رجل فقير لا مال له؟! وكان هٰذا امتحاناً لهم؛ إذ أنهم كانوا يريدون أن يبعث الله لهم رجلاً غنياً، كما قالوا مثل ذٰلك للنبي الخاتمﷺ، إذ كانوا يتصورون، أنه تعالى إذا بعث شخصاً غنياً ومن أسرة معروفة، فإن الناس تهابه عندئذٍ ويخضعون له، وأما طالوت فإنه لم يكن من أسرة نبوية، ولا كان من أسرة ملوكية، فهو إنسان مغمور، ولكنهم فجأة يجدونه وقد جعله الله ملكاً عليهم، لذا تجدهم لا يتحملون ذلك.

ولنتساءل الآن ما السبب في ذلك؟

إن الله سبحانه إذا كان يريد أن يسوقهم إلى الجنة أو إلى النار، دون أن يكشف لهم ولغيرهم خبثهم، وخبث سرائرهم، فما كان ليبعث لهم شخصاً فقيراً، ومن عائلة مغمورة، بل كان يبعث شخصاً من عائلة الملوك، حتى يقبله الجميع، لكن عندئذٍ لم تكن سرائرهم تنكشف ولا جواهرهم تظهر.

ولكن إرادته تعلقت بأن يُكتشفوا، وأن يَكتشفوا أنفسهم.. وهذه هي فلسفة (الامتحان).

٥. امتحانهم في الشرب من النهر!

هكذا إذن ظهر خبث هٰؤلاء من بني إسرائيل الذين إعترضوا على قيادة طالوت، ثم إن الله تعالى امتحنهم مرة أخرى بعد أن أذعنوا للامتحان الأول مكرهين بعد أن أتاهم التابوت جهاراً نهاراً؛ إذ كثيراً ما

(١) البقرة: ٢٤٧.

لا يكفي (الامتحان) الأول، أو قد يدعى (الممتَحَن) أنه لا يكفي: ولذا جرت سنة الله على (الامتحانات) المتعددة والمتتالية، فإنها أتم للحجة، وأقوى في كشف ذواتهم وجواهرهم، وحتى لا يبقى لهم مجال للقول: إننا نذعن أننا سقطنا في الامتحان الأول، لكن لماذا يا رب لم تمنحنا فرصة أخرى؟

وكما نشهد في واقع الحياة، فإن الله تعالى يمنح عشرات الفرص بل المئات منها، ويعيد الامتحان ثم الامتحان للإنسان طوال حياته... كي لا يبقى أدنى شك أو مجال للتشكيك حتى من أكبر مكابر ومعاند.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.[1]

لاحظوا الآية الشريفة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ لماذا؟ إنه لنفس العلة والسبب والحكمة، (كي يكتشف الصالح من الطالح)[2]، يقول: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ فإنّهُ ليس مني ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾.

---

(١) البقرة: ٢٤٩.

(٢) ولا مانعة جمع بين هٰذه الحكمة وحكمة (كي يسقط في الامتحان الخبيث الجوهر) وحكمة (كي يتكامل الصالح الطيب الذات).

واللطيف أن الروايات، تقول: إن ذاك الذي اغترف غرفة بيده، ارتوى وقضى الله حاجاته وجعله من السعداء، وأما ذاك الذي شرب كثيراً، فإن الله ﷻ جعل ذٰلك سبباً لزيادة عطشه، وإسوداد شفتيه، ولم تقض حوائجه في الدنيا..

وفي الرواية ما مضمونه: إن الإنسان الذي يطلب الدنيا أي للدنيا وينسى حظه من الآخرة، فإن الله ﷻ يحرمه الدنيا والآخرة، والذي يُقبل على الآخرة فإن الله تعالى يرزقه الدنيا والآخرة معاً..

ولنسأل مرة أخرى: لماذا الله ﷻ ابتلى هٰؤلاء بِنَهر؛ وهم في شدة العطش، وهم سائرون بمفازة (الصحراء)؛ فلِمَ يأمرهم بهذا الأمر الشاق جداً والصعب حقاً، وذلك لأن الصبر على العطش أمر صعب جداً، ولعل بعضهم كان في أشد حالات العطش، فَلِمَ يأمرهم الرب بعدم شرب الماء إلا قدر غرفة واحدة؟ وهذا الأمر في ظاهره ليس بالحكيم، في توهم العبد الجاهل بِحِكَم الله تعالى وفي منطق المعارك العسكرية؛ إذ إنهم ذاهبون إلى معركة مع العمالقة، وهم عطاشى وربما كانوا بأشد أنواعه، ولعلهم كانوا على مقربة من العدو، ثم يقال لهم: لا تشربوا ماءً إلا غرفة باليد الواحدة، فكيف يحمل السلاح إذن؟ وكيف يقاتل هٰذا الإنسان العطشان جيشاً مخوفاً جباراً كجيش العمالقة؟

إن وراء المسألة سراً إلهياً، والسر في ذٰلك هو أن الله تعالى أراد للمؤمن (أن يُكتشف) أولاً، و(أن يتكامل) ثانياً، كما أراد لغير المؤمن الخبيث في جوهره (أن يُكتشف) و(أن يسقط في الإمتحان) أيضاً.

وقد جاء في الرواية: أن ستين ألفاً منهم سقطوا في الامتحان، وأن الذين نجحوا وافلحوا كانوا (ثلاثمأة وثلاثة عشر) شخصاً فقط، أي عدَّة أصحاب غزوة (بدر)، وعدَّة أصحاب الإمام الحجة المنتظر عجّل الله فرجه..(١)

والمحصلة النهائية هي: إن هناك فلسفة اسمها (فلسفة الابتلاء)، وهناك حكمة أخرى اسمها: (فلسفة الفتنة) وثالثة اسمها: (فلسفة الامتحان).

ومن الضروري الإشارة إلى أننا استخدمنا في كل البحث، كل واحد من هٰذه المصطلحات الثلاثة بمعناها الأخص وليس الأعم؛ إذ أن كلاً منها بمعناه الأعم يشمل الآخَرَين أيضاً، فليتدبر.

عودة إلى فلسفة (الابتلاء) و (التكامل)

والآن لنرجع إلى السؤال ذاته، وهو: لماذا لم يصرح الله سبحانه وتعالى بأسماء ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في القرآن الكريم؟

والجواب: لكي (يتكامل) المؤمن أكثر فأكثر، وهو ما أطلقنا عليه (فلسفة الابتلاء)؛ إذ عدم ذكر أسمائهم بصراحة لا لبس فيها أبداً، يدفع المؤمن لكي يجدّ ويجتهد ويبحث وينقب أكثر فأكثر؛ ليصل إلى الحقيقة فيزداد بذلك (تكاملاً):

أ ـ علمياً، ومعرفةً إجتهادية.

ب ـ كما يزداد قرباً إلى الله تعالى، لسعيه وجدّه.

ج ـ كما يزداد عزيمة ومضاءً.

---

(١) للتفصيل راجع تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي قدس سره: ج٢، ص١٣٠، وتفسير الأصفى للفيض الكاشاني قدس سره: ج١، ص١٤٠..

د ـ كما يزداد إيماناً وإخلاصاً.

هـ ـ ولكي يزداد بذلك كله أجراً ومثوبةً ودرجاتٍ.

وكل هٰذه أنواع من (التكامل)، يريدها الله تعالى لعبده المؤمن.

وإننا عند التتبع، نجد أن أولئك الذين رجعوا إلى طريقة أهل البيت الأطهار عليهم السلام وتحوّلوا إلى الحق والتشيع، لم يصبحوا كذلك دون بحث وتنقيب، وجدّ واجتهاد، بل إن بعض هٰؤلاء المستبصرين ربما كان يبحث لستة أشهر، أو أربع سنوات كاملة، بل إن بعضهم استمر في البحث لعشرين سنة كاملة، وبذلك طوى مراحل (التكامل) العلمي والفكري، كما طوى مراحل (التكامل) النفسي، كما (تكامل) إيمانه أكثر فأكثر، و(تكاملت إرادته وعزيمته) أيضاً.. وذلك ما كان يريده الله تعالى له.

والحاصل: أنه تعالى لم يصرح بأسماء (الصادقين) في القرآن الكريم، بشكل صريح جداً؛ لكي تبحث، وتنقب، وتتعب حتى تحصل على (الجوهرة) و(الحقيقة) بالجدِّ، والكدِّ، والاجتهاد، فتتكامل أكثر فأكثر، وهذا حال الإنسان النقي الجوهر، وأما غير هٰذا الإنسان فإنّه يسقط في الإمتحان، وهذه كما سبق هي الفلسفة الثانية لعدم ذكر أسماء ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ عليهم السلام في القرآن الكريم، وأشباه ذلك.

فتح المجال للمحتالين

وبتعبير آخر: إن الله تعالى ـ دائماً ـ يفتح مجالاً للبشر (للفرار) من أحكامه، و(للاحتيال) كجزء من معادلة (الامتحان)... ولنستعرض الآن الأسئلة المطروحة على ضوء ذلك:

- لماذا لم يصرح الله تعالى بأسماء ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في القرآن الكريم؟
- ولماذا يوجد (المتشابه) في القرآن الكريم؟
- ولماذا (الاقتصاد الإسلامي) لم يصرح به في القرآن الكريم؟
- ولماذا (البداء)؟
- وألف لماذا ولماذا..

وقد سمي إبليس، إبليساً لاحتمالات، منها: لأنه أبلس من رحمة الله، ومنها: أنه ألبس ولبّس الحق بالباطل، ولكن من الذي سمح له بذلك؟

إنه الله تعالى دون شك... ولكن لماذا كل ذلك؟

إن ذٰلك ليترك لعبيده دائماً مجالاً (للفرار)؛ إذ لا (جبر) ولا كبت فكري ولا اضطهاد ولا خنق أبداً بل: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[١] و: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٢] فالمؤمن إذا كان يريد أن يفر من الحق إلى الباطل فله مجال، وذلك سواء أراد أن يفر من الإسلام إلى الكفر، أم أراد أن يفر في داخل دائرة الإسلام من حق كالبيع والنكاح إلى باطل كالربا والسفاح، وكذلك (الكافر) إذا أراد أن يفر من كفر إلى آخر كعابد صنم، يصبح عابد بقر، أو كمسيحي يتحول بوذياً أو من إنحراف داخل دائرة كفره إلى إنحراف آخر، أو من كفر إلى إسلام وإيمان، فإن (المجال) في كل ذٰلك مفسوح له..

---

(١) البلد: ١٠.

(٢) الإنسان: ٣.

وكل أولئك له حجة يحتج بها، له شيء من الأشياء يتشبث به، فإن باب الاحتيال مفتوح، باب التلبيس مفتوح، باب الدجل والخداع والخدعة مفتوح، كما أن باب الصلاح والإصلاح والإيمان مفتوح، وبذلك (يسقط) في الامتحان (من يسقط)، و(ينجح) في الامتحان (من ينجح)؛ إذ من الواضح أن الله تعالى لو أغلق أبواب الشبهات والفتنة على كل الناس، ومنعهم بالقسر من الخداع والاحتيال والتدليس لما (امتحنوا)، ولساروا جميعاً في طريق الجنة، لا باختيارهم، بل اضطراراً؛ إذ لا بديل، قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾.[1]

هذه هي الحكمة إذن: (تكاملاً)، و(سقوطاً)، و(كشفاً) للمرء، لنفسه و(اكتشافاً) للآخرين له..

و(البداء) الذي أشرنا إليه في قصة ذاك اليهودي مع الرسول الأعظمﷺ من شواهد ذلك ومصاديقه؛ إذ المؤمن يزداد إيماناً، بـ(البداء)، والجوهر يزداد نقاوةً بذلك؛ إذ أنه يسمع كلام النبيﷺ ويراه غريباً، وقد لا يفهمه، لكنه يتعبد به، ولعلك تجده يبحث عن السبب، فإذا عرف السبب فإنه يقبل ويرضى فيزداد على إيمانه علماً، بل يزداد إيماناً على إيمان، وإن لم يعرف السبب فإنه يقبل ويسلم أيضاً، فيزداد على إيمانه، تسليماً وإيماناً، قال تعالى بهذا الشأن: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.[2]

---

(١) (الإسراء: ٢٠)

(٢) (النساء: ٦٥)

و: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ أي سواء اقتنعوا أم لم يقتنعوا، بل عليهم أن يرضوا ويسلموا بالمطلق، حتى ولو لم يفهموا الحكمة، وعندئذٍ يكونون مؤمنين لا غير؛ إذ قد صرح بذلك الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

فـ(البداء) إذن من فلسفته: اسقاط الذين في جوهرهم خبث في الامتحان، ومن فلسفته تكاملية أكثر للإنسان المؤمن لكي يزداد درجة، وعلواً، ومقاماً، ومن فلسفته أن يكشف نفسه لنفسه، وأن يكشفه للآخرين أيضاً..

[٢٧]

الجواب السابع والعشرون

منهجية عدم ذكر أسماء (المعاصرين) ولا (اللاحقين)

الاجابة السابعة والعشرون: إن المنهج القرآني هو ذكر أسماء (الماضين) من الأنبياء والأوصياء والأولياء، وكذا أسماء (الهالكين) من الطغاة والفراعنة، ولكنه ليس من منهجه ذكر أسماء (المعاصرين) ولا أسماء (اللاحقين) في المستقبل.

ولذا نجد أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الكريم الذي نقرؤه آناء الليل وأطراف النهار اسم واحدٍ من أولئك الكبار المعاصرين لنزول الوحي على رسولﷺ فلم يذكرهم على الاطلاق. نعم إنه جل اسمه ذكر اسم شخص مغمور نسبياً هو (زيد)، وكما ذكر (كنية) شرير هو (أبو لهب).[1]

فأين كبار الصحابة، سواء الصالحون الأبرار منهم، أم المنافقون والأشرار؟

(١) قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ «الأحزاب: ٣٧» وقال سبحانه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ «المسد: ١».

وهذا منهج قرآني عام في أسماء (الماضين) حيث يذكرهم كـ: (فرعون، نمرود، هامان) من دائرة الأشرار، وكـ(موسى، عيسى،.. إلخ)، من دائرة الأنبياء، وهي طريقة عامة ومنهج شامل.

وفي هٰذا الإطار العام، كان عدم التصريح بأسماء ﴿ٱلصِّدِّيقِينَ﴾ من أئمة أهل البيت الميامين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، متطابقاً مع المنهج العام المرسوم.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾، فالكوثر هو نهر في الجنة، والكوثر هو العطاء الكثير، والكوثر هو لقب من ألقاب السيدة فاطمة الزهراء (عليها الصلاة وأزكى السلام)، حسب التحقيق، لكننا لا نجد اسماً صريحاً لها (صلوات الله عليها)، أي اسماً صريحاً بحيث لا يقبل التوجيه والتأويل، وإحتمال إرادة غيره.

وأما الألقاب والصفات، فهي متعددة، بل كثيرة جداً فيما ورد في أمير المؤمنين عليه صلوات المصلين ومنها: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[1]، وقد بلغت المئات من المواطن والموارد في الآيات الشريفة، كما فصله السيد العم دَامَ ظِلُّهُ في «علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن» والسيد هاشم البحراني قُدِّسَ سِرُّهُ في «ألف آية نزلت في الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ».

وهكذا نجد: أن الله تعالى في القرآن الكريم، ذكر بعض رؤوس جبهة الباطل، من الماضين، وبعض رؤوس وأئمة جبهة الحق والنور من السابقين، ولكن الذين تاخموا زمن الوحي، أو كانوا بعده لم يذكر أسماءهم في القرآن الكريم، لا من هٰذا الفريق، ولا من ذاك، كأمثال: مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي الذي ادعى النبوة، والمرأة التي ادعت النبوة وهي (سجاح)..

(١) المائدة: ٥٥.

وكذلك (العشرة المبشرة بالجنة) حسب تعبيرهم وزعمهم فإنهم لا نجد اسماً لهم في القرآن الكريم، فلماذا لم يذكرهم الله تعالى لا بالسلب ولا بالإيجاب؟! فأين مقام (زيد) المذكور في القرآن، من مكانة ومنزلة العشرة المبشرة حسب رأيهم؟! وأين أسماء أبي بكر وعمر وعثمان؟!

ونسأل أيضاً: أين أسماء سلمان، وعمار، والمقداد، وابن التيهان، وحمزة عم رسول الله ﷺ؛ هٰؤلاء الأبطال، الذين قام التاريخ الإسلامي على أكتافهم، ولم يذكرهم القرآن الكريم حسب منهجه العام في عدم ذكر أسماء المعاصرين ولا اللاحقين؟

وهذا كله بناءاً على عدم ذكر صريح لإسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم، فإن الإجابة هٰذه تتكفل ببيان السبب والمنهج والإطار العام القرآني الداعي لذلك.

لكن بناءً على أن اسم الإمام علي عليه السلام قد ذكر في القرآن الكريم بالصراحة[1]، فإن هٰذا يعد (استثناءً) من القاعدة العامة؛ إذ ما من عام إلا وقد خُص.

والخلاصة: إنك إما أن تُنكر ذكر اسم الإمام علي (عليه سلام الله) في القرآن أو أن تقر بذلك..

فإن أنكرت ذكر اسمه فنقول: إن ذٰلك لا يشكل أدنى خدشة في مقامه وإمامته؛ نظراً لكون منهج القرآن العام هو عدم ذكر أسماء المعاصرين والقادمين، لا من الصالحين ولا من الطالحين، مهما بلغوا من الشأن والجلالة، أو من الخطر والضلالة.

---

(١) كما سيأتي في الإجابة الحادية والثلاثين، وكما قد سبق في جواب سابق.

وكان السبب في عدم الذكر هو: لفلسفة (الإمتحان) و(الابتلاء) و(الفتنة)، كما أنه يكفي تصريح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باسم علي عليه السلام؛ لأن قول الرسول هو قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ إلى آخر ما ذكرناه سابقاً.

وإن أقررت بذكر اسمه المبارك في القرآن الكريم لما سبق وسيأتي فهو المطلوب، ويكون ذكر اسمه الشريف استثناءاً من القاعدة العامة، في عدم ذكر أسماء المعاصرين والقادمين، ويكون تخفيفاً منه جل وعلا في (الإمتحان)، ومزيد إتمام حجة، وهو جل شأنه: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ وهو: ﴿أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾.

ولكن لماذا؟

والآن لنرجع إلى المنكرين، ونقول: على فرض عدم ذكر اسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم بالصراحة، وأن منهج القرآن العام هو عدم ذكر الأسماء، لكم أن تسألوا: لماذا كان منهج القرآن العام عدم ذكر أسماء المعاصرين والقادمين؟

نقول إضافة إلى أنه تعالى الأعلم بمصالح عباده وبوجوه الحكمة:

إن لذلك أسباباً عديدة، وهو بحاجة إلى بحث مستقل، ونشير ههنا إشارة فقط إن من أسباب ذلك، هو الأسباب الثلاثة المتقدمة وهي: (الابتلاء، والفتنة، والامتحان)..

ومن الأسباب: لكي تتأكد الحاجة للرسول العظيم، أي ليكون هناك (شفعٌ) للقرآن الكريم، تحتاج إليه الأمة وترجع إليه وتلجأ، وهو الذي يبين لهم مَن هم امتداده؟ ومن هم ﴿الصَّادِقُونَ﴾؟ فإذا كان الله تعالى يذكر كل شيء في القرآن بصريح القول، فما هي الحاجة إذن للرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

﴿إِلَيْهِمْ﴾[١] ثم لاحظوا حديث الثقلين حيث قالﷺ: (إني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي).[٢]

إن قسماً من الأشياء تذكر في القرآن الكريم بالصراحة، والقسم الآخر يترك ذكره بصريح القول لكي يبيِّنه الرسول الأعظمﷺ، ثم ليبينه (الثقل الآخر)، ولكي تتكرس مرجعيتهﷺ ومرجعيتهم (عليهم سلام الله) أكثر فأكثر؛ فإنهم (القرآن الناطق) وهم أئمة المسلمين من أهل البيت الطاهرين (عليهم سلام الله) الذين قرنهم رسول اللهﷺ بالقرآن الصامت، وقال: (أنهما لن يفترقا إلى قيام الساعة).[٣]

وقد سبق أنه: صحيح أن كل شيء في القرآن موجود، ولكن ذٰلك بدلالات مختلفة لا يدركها إلا ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾.

وهنا يظهر وجه من وجوه الحاجة لهم صلوات الله عليهم، فإن الله ﷻ أراد للأمة أن تتمسك بكلا الأمرين: (الكتاب والعترة) الذين يجريان في خطين متوازيين متعاضدين إلى يوم القيامة.

ولذلك كله كانت هناك قضايا مهمة لم يذكرها القرآن الحكيم، وأحالنا فيها للرجوع إلى الرسول الكريمﷺ، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، ثم بعد ذٰلك كانت هناك قضايا هامة لم يذكرها الرسول الكريم وحولنا فيها للرجوع إلى العترة الطاهرة..

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم لكي نكون من أتباع ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ حقاً وصدقاً..

---

(١) النحل: ٤٤.

(٢) سنن الترمذي: ج٥، ص٣٢٩، ح٣٨٧٦، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ، المستدرك للنيسابوري: ج٣، ص١٤٨، طبعة دار المعرفة، بيروت، و....

(٣) مسند أحمد ـ احمد بن حنبل ـ ج٣ ـ باب مسند أبي سعيد الخدري ـ ص١٤

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

[٥]

(كونوا مع الصادقين)

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين..

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.[1]

البحث في هٰذه الليلة سيكون بإذن الله تعالى، تتمة لبعض الأبحاث السابقة حول هٰذه الآية الشريفة، والإجابة عن السؤال:

لماذا لم يصرح الله ﷻ باسم أمير المؤمنين ومولى الموحدين الإمام علي بن أبي طالب (عليه صلوات المصلين) وسائر الصادقين من الأئمة المعصومين عليهم السلام في الذكر المبين..؟

ولعلنا لأسباب معينة لا نستطيع الاستمرار في إلقاء المحاضرات لإستعراض كل الأجوبة التي ألمحنا إليها، لكننا نعدكم بإذن الله تعالى بذكر وطرح كامل الأجوبة ـ وقد بلغت ولله الحمد مائة وعشرة أجوبة ـ في مجلدين، نستعرض في أحدها ٣١ جواباً وسنحاول أن نضغط الـ ٧٩ جواباً أخرى في المجلد الآخر وهو ـ المجلد الثالث ـ ، بإذن الله تعالى.

(١) (التوبة: ١١٩)

[٢٧]

الجواب السابع والعشرون[1]

لا ذكر لأسماء المعاصرين

وصلنا في البحوث السابقة إلى الجواب السابع والعشرين، وإليكم تتمة هامة لذلك الجواب، ثم سنكمل الأجوبة الأخرى، بإذن الله تعالى.

كان الجواب السابع والعشرون عن هٰذه الشبهة أو هٰذا السؤال هو: إن منهج القرآن العام هو عدم ذكر أسماء المعاصرين واللاحقين بشكل مطلق، باستثناء موردين[2]، كمورد ﴿زَيۡدٞ﴾ في سورة الأحزاب، و(زيد) من الناحية الظاهرية والواقعية، لم يكن أفضل الصحابة، وهذا واضح للجميع؛ لأنه كان من الدرجات اللاحقة، فأين مقام أهل البيت (عليهم الصلاة وأزكى السلام) وأين مكانة ومنزلة الكثير من الصحابة من أمثال: سلمان، وعمار، والمقداد أو عندهم العشرة المبشرة من موقع زيد الذي ذكره القرآن الحكيم؟

---

(١) تتمة هامة للجواب السابق.

(٢) هٰذا بناء على المعروف من عدم ذكر اسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم، وأما بناء على أن اسمه قد ذكر كما سيأتي في الجواب الواحد والثلاثين، وكما مضى في جواب سابق، فإن اسمه المبارك سيكون استثناءً آخر من القاعدة الكلية.

إذن، توجد حكمة أخرى من ذكر زيد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾.(١)

فهنا نجد أن اسم ﴿زَيْدٌ﴾ قد ذكر بالصراحة، لكن الأمر لا يرتبط بالأهمية القصوى لزيد وأنه أفضل الصحابة، وعدمها، بل كان ذلك لحكمة أخرى كما هو واضح، كما أن كنية واحدة ذكرت أيضاً، وهي كنية ﴿أَبِي لَهَبٍ﴾ كما في سورة ﴿تَبَّتْ﴾، أما ما عدا ذلك من الأسماء فهي أسماء الماضين لا غير كما سبق..

لكن كبار العلماء والمفسرين المعاصرين لزمن نزول الوحي، وكبار الصحابة، وأهل البيت الأطهار (عليهم الصلاة وأزكى السلام)، لم يصرح بأسمائهم في القرآن الكريم حسب المعروف عند الكثيرين، ومن الصحابة الأخيار نذكر مثلاً: سلمان وعمار والمقداد وابن التيهان وذا الشهادتين وأويس القرني، ومَنْ أشبههم من الأعاظم.

وحتى خديجة الكبرى عليها السلام رغم مكانتها وعطاءها

حتى السيدة خديجة الكبرى عليها السلام زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه المرأة العظيمة إلى أبعد الحدود، والتي كان لها الحق الكبير.. الكبير على الإسلام والمسلمين، لم يذكر اسمها في القرآن الكريم، وذلك على الرغم من:

(١) الأحزاب: ٣٧.

أ- إن السيدة خديجة كانت أول مَنْ أسلم، فهي وبالنسبة إلى كل نساء العالم على مرِّ التاريخ، هي المقدمة والسابقة، ولها شرف وقصب السبق، إضافة إلى حقها العظيم على عامة المسلمين، ولكن مع ذٰلك لم يُذكر اسمها في القرآن الكريم، ولقد كان النبيﷺ يُقدِّرها أكبر تقدير، ويُعزّها أكبر إعزاز، ويجلها أكبر إجلال.

ب- وعندما توفيت السيدة خديجةعليها السلام في العام العاشر للبعثة والفاصل بين رحيلها ووفاة أبي طالبعليه السلام كان أياماً، سمّى النبيﷺ ذاك العام بـ(عام الحزن)، وتدبروا في عمق دلالات ذلك، أي أن أعظم أنبياء الله ورسله، وخاتم الأنبياء، يسمي (سنة) من السنن بـ(عام الحزن) نظراً لوفاة هذين البطلين والعملاقين.

وهذا يكشف جانباً من المكانة العظيمة التي كانت لخديجةعليها السلام.

كما أن السيدة خديجةعليها السلام كانت مكانتها بحيث أن عائشة تقول[1]: (ما غرت على امرأة من نساء النبي إلا على خديجة) وذلك عندما كان يذكرها رسول اللهﷺ.

---

(١) نقل مسلم فيما يسمى بالصحيح عدة أحاديث في غيرة عائشة وحسدها على خديجة (عليها السلام)، ومن جملة تلك الأحاديث، ما رواه هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: ما غرت على امرأة من نساء النبيﷺ إلا على خديجة، واني لم أدركها، قالت: وكان رسول اللهﷺ إذا ذبح الشاة يقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة، قالت: فأغضبت يوما فقلت: خديجة؟! قال: «إني قد رزقت حبها» .. صحيح مسلم: ج٤، ١٨٨٨ ح ٧٥.

وفي كتاب المغازي لمحمد بن إسحاق بإسناده عن أم رومان، قالت: كان لرسول اللهﷺ جارة قد أوصته خديجة بأن يتعاهدها، فحضر عنده شيء من المأكل، فأمر بإعطائها وقال: هٰذه أمرتني خديجة بأن أتعاهدها، قالت عائشة: وكنت أحسدها لكثرة ذكره لها، فقلت: يا رسول الله لا تزال تذكر خديجة كأن لم يكن على ظهر الأرض غيرها؟! فقال: «قومي»، فقامت إلى ناحية منه في البيت، فقالت أم رومان: فقلت له: يا رسول الله، لا تؤاخذ عائشة، فإنها حديثة سن، فناداها، فقال: «يا عائشة، إن خديجة آمنت بي إذ كفر بي قومك، ورزقت منها الولد وحرمتموه» .. العمدة ص ٣٩٤.

ج- ولم يكن النبيﷺ، ينسى خديجة حتى بعد وفاتها بفترة طويلة لأن النبي توفي بعدها بثلاث عشرة سنة، إلى درجة أنهﷺ كما تقول عائشة عندما كان يذبح خروفاً، كان يبعث به أو ببعضه إلى خليلات خديجة، وذلك على الرغم من أن الفقر في ذاك الوقت كان شديداً، لكن النبي ما كان ينسى الاهتمام حتى بصاحبات زوجته خديجة المضحية الفدائية الأولى في الإسلام من النساء، فكما يروون هم أيضاً؛ «أن أول مَنْ أسلم من الرجال علي بن أبي طالبعليه السلام ومن النساء خديجة»[1] فما كان ينساها حتى في صديقاتها، فكان يبعث من هٰذا الخروف أو الشاة المذبوحة إلى خليلاتها - يعني صديقات خديجة - في الزمن الغابر..

الله تعالى يبلغها السلام

د- نعم.. لقد كان هٰذا المقام الكبير لخديجة، بل كان لها ذاك المقام الرفيع، بحيث أنها سلام الله عليها كان يبلغُها ويأتيها (السلام) من الله تبارك وتعالى ومن أمين الوحي جبرائيل، وهذا ما ذكرته الروايات في أحاديث المعراج، فإن رسول اللهﷺ عندما أسري به، ثم عرج به إلى السماء، ورجع من الإسراء والمعراج قال لجبرائيل: «هل لك حاجة يا جبرائيل»؟

والآن لنفكر قليلاً قبل أن نسمع الجواب: ما هي حاجة جبرائيل؟ وجبرائيل هو أمين وحي الله، ووسيط وحي السماء للأنبياء (على نبينا وآله وعليهم السلام) على مرِّ الدهور، ورسول الله هو أعظم مخلوق على الإطلاق.. فلاحظوا أنه بعد هٰذه الرحلة العظيمة الاستثنائية التاريخية الغريبة التي لم تشهد الخلائق كلها نظيراً لها (أي رحلة الإسراء ثم

(١) هٰذا من المتواترات عند العامة والخاصة، فراجع مسند أحمد بن حنبل: ج٦، ص٤٣٦، وأماكن أخرى كثيرة منه..

المعراج)، نجد جبرائيل الأمين يسأله الرسول الأعظم: هل لك من حاجة؟ ويجيب جبرائيل مخاطباً المصطفى: «حاجتي أن تقرأ على خديجة من الله ومني السلام»..[1]

تدبروا كم هو عظيم وغريب ذلك: أن جبرائيل يطلب بأمر إلهي مباشر إبلاغ (السلام) عبر أعظم رسله على الاطلاق، ذٰلك أن جبرائيل لا يمكنه أن ينطق عن لسان الله بدون إذن من الله، وبدون أمر من الله تعالى.

ومن ذٰلك نعرف القيمة الكبرى لهذه المرأة العظيمة، وقيمة (السلام) عليها، فإنك عندما تُسلِّم من هنا على رسول الله ﷺ، أو على الإمام الحسين (عليه سلام الله) أو على السيدة خديجة عليها السلام اعرف كم لك من أجر مذخور في ذلك، وكم من ثواب لك في ذلك، وليس ذٰلك مُجرد أمر شكلي أو عاطفي، إنَّ جبرائيل لا يتحكم فيه عامل العاطفة، قال: «حاجتي أن تقرأ على خديجة من الله ومني السلام» وهذا نص الرواية.

ومع ذٰلك وخديجة بهذه المكانة والعظمة، لا نجد أن اسمها قد ذكر في القرآن الكريم، مما يوضح ويؤكد أن منهج القرآن الكريم العام هو عدم ذكر أسماء المعاصرين لزمن نزول الوحي..

(١) عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «حدث أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: إن جبرائيل عليه السلام قال لي ليلة اسري بي حين رجعت وقلت: يا جبرائيل هل لك من حاجة؟ قال: حاجتي أن تقرأ على خديجة من الله ومني السلام، وحدثنا عند ذلك أنها قالت حين لقاها نبي الله ﷺ، فقال لها: الذي قال جبرائيل، فقالت: إن الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام، وعلى جبرائيل السلام».. بحار الأنوار: ج١٦ ص٧.

(النجاشي) حاكم الحبشة

وكذلك (النجاشي) حاكم الحبشة الذي كان له ذٰلك الموقع الكبير في نصرة الإسلام، وكم هو صعب أن إنساناً في هٰذا الموقع المتميِّز، موقع الملوكية والقدرة والسلطة المطلقة، يخضع للحق ويأتي ليقعد على التراب ويُصرِّح بالحق ويذعن له، كما تجدون تفاصيل ذٰلك في قصة النجاشي وأحواله والتي لا نريد أن نتطرق لها الآن..[1]

إذن، فالجواب السابع والعشرون؛ هو: إن للقرآن الكريم المعتمد لدى عامة المسلمين، منهجه الخاص وهو: أن لا يذكر أسماء المعاصرين والذين سيأتون في المستقبل على الإطلاق، والاستثناء نادر نادر، ولِحِكَمٍ خاصة ولعلها من نمط آخر..

(١) انظر الكافي: ج٢، ص١٢١، باب التواضع، ح١.

[٢٨]

الجواب الثامن والعشرون

منهجية القرآن (ذكر الصفات)

الجواب الثامن والعشرون[١]: هو أن القرآن الكريم جرى عادة على جعل المحورية (للمبادئ والصفات) وليس (للأسماء والذوات)، وهذا في مرحلة (الإثبات)، أما في مرحلة (الثبوت) فسنعلق تعليقاً موجزاً يبين السر في تفكيكنا بين عالمي الإثبات والثبوت..

وإن القرآن الكريم جعل المحورية للمبادئ وللصفات، لا للأسماء والذوات في عالم الإثبات، وفي عالم التعريف.

أ. لا ذكر لأسماء (الثلاثة الذين خلفوا)

فمثلاً في قضية (غزوة تبوك) وقد كانت هٰذه القضية مهمة جداً؛ لذا خلدها الله في الذكر الحكيم، فلاحظوا الآية التي تسبق آية البحث[٢]

---

(١) وهذا الجواب قد يُعد تتمة للجواب السابق، وقد يُعدُّ من وجوه الحكمة في ما ذكر في الجواب السابق.

(٢) آية البحث هي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وهي الآية ١١٩ من سورة التوبة.

مباشرة، وهي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.(١)

لقد كانت قضية مهمة جداً؛ لذلك ذُكرت في القرآن الكريم؛ إذ لا يوجد شيء أهم مما ذُكر في القرآن الكريم(٢)، فإن الله ﷻ قد انتخب وأختار أهم شيء على الإطلاق ليذكره، فأهم ما كان ينبغي أن يُذكر من بين كافة الحقائق والمعلومات، ذكره جل اسمه في القرآن الكريم، وإلا كان لغواً، وكان ترجيحاً للمرجوح، وترجيح المرجوح قبيح، وهذا واضح..

إن القرآن كتاب خالد مُخلَّد، ووحي مُنزَّل على أفضل الخلائق، ولكل الخلائق على مرِّ الأزمان، وقد ذكرت فيه قضية: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ لكن لماذا أسماؤهم غير مذكورة؟

المحورية

إن من الأجوبة: إن ذٰلك هو لأجل أن المحورية في عالم الإثبات، في منهج القرآن، عادة هي للصفات والمواقف، وليس للأسماء والذوات: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ وهم: كعب، ومرارة، وهلال.

وان السنة الشريفة قد بينت مَن هم الثلاثة الذين خلفوا، أما الكتاب الحكيم فلم يذكر أسماءهم؛ لأن المحورية عادة فيه هي للمبادئ والصفات والحالات، في عالم الإثبات.

(١) التوبة: ١١٨.

(٢) وإن كان وجه الأهمية ووجه الحكمة قد يكون غير ما نتصوره نحن أو على خلاف توقعاتنا، فإن الله تعالى هو العالم الحكيم على الإطلاق.

ب. ولا ذكر لأسماء أصحاب الكهف!

ولاحظوا أيضاً: أن لأصحاب الكهف قصة مهمة جداً؛ ولذا فإن سورة كاملة قد سميت باسم (الكهف)، وفيها حديث دقيق وهام جداً عن أصحاب الكهف، لكن أين أسماؤهم.؟ ولِمَ لَمْ تذكر؟

الجواب: لأن المحورية هي للمبادئ وللصفات التي ترشد إلى حامل تلك المبادئ وليس للاسم بما هو اسم، ولدينا في القرآن الكثير من هٰذه الأمثلة الأخرى أيضاً، ومنها:

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾.[1]

لكن ما هي أسماؤهما؟ هٰذا المحاوِر وذاك المحاوَر، ليس مهماً ما هو اسمهما لأن المحور هو: الحوار والفكرة والمضمون والمحتوى، وهو المبدأ، وهو القيمة، هو ما يُساق لأجله الحديث..

ج. وأسماء زوجات النبي ﷺ

وفي آية أخرى في بُعدٍ آخر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.[2]

لماذا لم يذكر جل اسمه، الاسم، وذكر الصفة[3] فقط؟

---

(١) الكهف: ٣٧.

(٢) التحريم: ٣.

(٣) وهي (بعض أزواجه)، فإن (الزوجة) صفة كما لا يخفى.

وفي آية قرآنية أخرى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾[1] والصفة هي صفة كونهن (نساء النبي)ﷺ.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ فإن من الهام جداً ملاحظة (أداة الشرط) في هٰذه الجملة القرآنية وهي ﴿إِنِ﴾، فإنها جداً مهمة ولها مفهوم ودلالة خطيرة[2]، وليس الآن مجال التفصيل، فلنتركه لوقت آخر.

ونجد في آية أخرى في هٰذا السياق من الآيات قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴾.[3]

وفي آية أخرى: ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾.[4]

والشاهد: أنه قد وجه الخطاب إلى (نساء النبي) والتي هي صفة من الصفات، بدون ذكر أسمائهن.

هـ. وعندما يُذكر الاسم، يُذكر مجرداً من اللقب والنسب

بل لاحظوا هٰذه التتمة اللطيفة، فإن الله تعالى عندما يذكر أسماء الماضين (حسب الجواب السابق)، فإن له منهجه الفريد؛ إذ أنه يذكر الاسم فقط، لا اسم الأب ولا اسم الجد ولا الكنية ولا اللقب..

فمثلاً: عندما يأتي اسم (إدريس) أو (نوح) أو (موسى) (على نبينا وآله وعليه السلام) وقد استثنى (عيسى بن مريم)عليه السلام للخصوصية

---

(١) الأحزاب: ٣٢.

(٢) وهذا المفهوم يفهم من الآيتين اللاحقتين.

(٣) الأحزاب: ٣٠.

(٤) الأحزاب: ٣١.

الواضحة فيه عليه السلام نجد منهجاً فريداً، ولا تجده في أي كتاب؛ إذ أنكم في كل كتب العالم ترونهم يذكرون الطرف باسمه ولقبه على الأقل، أو اسمه واسم أبيه، أو ما أشبه ذلك من المعرِّفات، لكن القرآن الحكيم حتى في الموارد القليلة من الماضين الذين يذكر أسماءهم، يقتصر على الاسم فقط.

وربما الاستثناء الوحيد[١] أو كالوحيد هو أنه عندما ذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه ذكره وشفعه بذكر الصفة بقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[٢] فقد حصره في الصفة، أو وسمه بالصفة بقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[٣] ومع ذلك لم يذكر اسم أبيه ولا كنيته، ولا أي لقب آخر من ألقابه الشهيرة كـ(المصطفى)، إلا اللهم لو كان (اللقب) هو مورد الخطاب كـ: ﴿طه﴾ و: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾.

إذن، فالقرآن الكريم هكذا منهجه: حتى أسماء الماضين عندما يذكرها يذكر الاسم لوحده، وهذه سيرة لعلها فريدة؛ إذ الكتب عادة لا تقتصر على الاسم فقط، بدون إضافة اسم الأب، وبدون اللقب، وبدون الكنية، وبدون الخصوصيات الأخرى.

---

(١) وهذا الاستثناء منقطع كما لا يخفى.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

(٣) الفتح: ٢٩.

و. و (السور الثلاثة) لا تتضمن أسماء![1]

نقول: إن السور القرآنية الكريمة المفتاحية التي محورها شريحة خاصة من المجتمع، مثل: سورة: ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وسورة: ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، وسورة: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ أين الأسماء فيها؟

فالمنافقون في سورة ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ مَنْ هم؟

ولاحظوا أن ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ كانوا مشكلة ومُعضلة حقيقية، فإنهم كادوا أن يقلبوا الأوضاع، ويُدمِّروا الإسلام والمسلمين، وكادوا أن يقلبوا الأمور كلها رأساً على عقب؛ ولذا فالمسلمون كانوا بحاجة ماسّة لمعرفة هٰؤلاء بالاسم، لأن خطرهم كان خطراً شديداً جداً، والقضية كانت مورد ابتلاء حقيقي، ولكن سورة ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ لم تذكر حتى اسماً واحداً من المنافقين..

وسورة ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ كذلك لم تصرح ولم تتطرق لإسم واحد من المعاصرين.. نعم، من القدماء يوجد اسم (نوح)، واسم (موسى)، واسم (عيسى وأمه)، ولكن اسم حتى واحد من المعاصرين غير موجود، والحال أن السورة تتحدث عن المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾.[2]

ولاحظوا مرة أخرى، إن السبب العام أو من الأسباب هو: إن المحورية للصفات والمبادئ والقيم، وليست المحورية للأسماء والذوات بما هي أسماء وبما هي ذوات..

---

(١) أي لا توجد فيها أسماء الأشخاص.

(٢) المؤمنون :١ـ٤.

فإذن، هٰذا هو المنهج القرآني الكريم العام، وهذا الحديث له تتمة طويلة، وإنما أشرنا إليه ههنا إشارةً فقط، وسنركز على الجوابين الآخرين ـ إن شاء الله ـ لأنهما من مساق آخر..

أما الوضع في عالم الثبوت...

إن الله ﷻ قد صنع ذٰلك في عالم الإثبات، يعني انطلق من الصفات ومن المبادئ لكي تكون هي الجسر لمعرفة المصاديق والأفراد، هٰكذا اقتضت حكمته ﷻ في عالم الإثبات.

ولكن في عالم الثبوت ـ والحديث حديث مُفصَّل وهذه إشارة فقط ـ فقد يكون (الحق) عين (الشخص)[1]، وتكون (الصفات) عين تلك الذات، كما تكون الذات عين الحق ـ والمراد بالعينية، المعنى العرفي لها، لا الدقي الفلسفي وعين المشتق ومطلق ما جرى على الذات، قال تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ ويقول رسول الله ﷺ: **(علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار)**[2] بل يقول: **(حب علي عبادة)**[3] ولولا أن علياً (صلوات الله عليه) عين الحق، لما كان حبّه عبادة، ويوضحه أنهم (صلوات الله عليهم) **«كانوا أنواراً بعرشه محدقين»**[4]

---

(١) فإن (الكلي الطبيعي) متحد مع مصاديقه فتأمل.
ومع التنزل فإنه لا ريب في العلاقة اللزومية القطعية بين بعض الأشخاص (كالأنبياء والأئمة) والحق والقيم، فيصلح كل منهما أن يكون مقياساً وشاخصاً للآخر ودليلاً عليه، ففي مرحلة الثبوت (تلازم) وفي مرحلة الإثبات (دلالة).

(٢) بحار الأنوار: ج١٠، ص٤٣٢.

(٣) تفسير الآلوسي: ج٢٢، ص١٢.

(٤) ينظر تهذيب الأحكام: ج٦، ص٦٥، باب زيارة جامعة لسائر المشاهد على أصحابها السلام، ح١، وفيه: (.. وأنّ أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض، خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين، حتى منّ علينا بكم، فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه..).

وإنهم قمة الكمال في عالم الإمكان ووسائط الفيض، فتدبر.[١]

لكن هٰذا في عالم الثبوت، وأما المنهج القرآني في عالم الإثبات فإنه ينطلق عادة من الصفات ومن المبادئ ليوصلك للاسم الذي تجلت فيه تلك الصفات، ويقع على عاتقك أن تُكمل مسيرة البحث عن (الأفراد والمصاديق) في الحياة والواقع، إذ يقول ربنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ هٰذه هي الصفة وعليك أنت أن تبحث عن هٰذه الصفة أين تتجلى وفيمن.؟ ولقد أوضحنا فيما سبق أن أبرز مَنْ تجلت فيهم هٰذه الصفة، بل مَنْ انحصرت فيهم هٰذه الصفة بلحاظ هٰذه الآية القرآنية الكريمة، هم رسول الله وأهل بيته الأطهار(عليهم الصلاة والسلام)..

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾.[٢]

إذن، انطلق الله ﷻ من الصفات، فإن: ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ صفة، كما أن ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ﴾ هي مجموعة صفات، انطلق منها الله ﷻ مُعرفاً للولي، ويبقى عليكم أنتم أي على المولّى عليهم، أي على عامة المخاطبين بهذه الآية الشريفة البحث عن أن هٰذه الصفات تجلّت وتحققت وانطبقت على مَنْ، فتأمل..

وكذلك نجد تعليق الحكم على صفة: ﴿ٱلرَّسُولَ﴾ وصفة: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ في الآية القرآنية الكريمة الأخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ

---

(١) إذ قد يقال: (العينية) لا يقصد بها الحقيقي منها، لتغاير الجواهر مع الأعراض والصفات والحق منها بل هو محمول على المبالغة كـ(زيد عدل) والجواب: إذ ليس الكلام في المقام في عينية الذات للصفات بل عينيتها للمشتق وهو (الصادقين) مثلاً.

(٢) المائدة: ٥٥.

ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾.[١]

فعليك أن تبحث لتعرف أن (أولي الأمر) مَنْ هم مصاديقه؟

أما السنة المطهرة فإنها كثيراً ما كانت كذلك، لكن لا مطلقاً، فقد كان الرسول الأعظم كثيراً ما يبين الصفة ثم يصرح بالاسم، وكثيراً ما كان العكس هو المتّبع، وذلك كقوله (صلوات الله عليه وآله) يوم الغدير: **«مَنْ كنتُ مولاه فهذا عليٌ مولاه، اللهم والِ مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه، وانصر مَنْ نصره واخذل مَنْ خذله وأدر الحق معه حيثما دار..».**[٢]

وهذا ضروري في (المكمّل) للكتاب العزيز والموضِّح والمفسّر له، إلا أن الكلام هو حول منهج القرآن الكريم خاصة، وهو حكيم وعقلائي في هٰذا الكتاب الخالد على مرِّ الأزمان، وكرِّ العصور، وتعاقب الأجيال..

---

(١) (النساء: ٥٩)

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج٢ص١١٢، وكثيرة مصادر هٰذا الحديث الشريف..

[٢٩ــ٣٠]

الجواب التاسع والعشرون، والثلاثون

أراد الله أن يروضنا على (الاستنباط والاجتهاد) وعلى (البحث والتنقيب)

وهذا الجواب سيال، بمعنى: أنه يجري ويُعد إجابة على مختلف الأسئلة الأخرى، كـ: لماذا لم يذكر الله ﷻ (الاقتصاد الإسلامي) في القرآن الكريم بصريح العبارة؟

ولماذا لم يذكر (حقوق المرأة) وحدود حقوقها في القرآن الكريم؟

ولماذا لم يبين ـ مثلاً ـ مسألة (فصل السلطات)؟

ومسائل أخرى كثيرة وعديدة، ومنها أيضاً السؤال مورد البحث..

الفرق بين (الاستنباط) و(التنقيب)

والجواب على هٰذا السؤال هو: إن الله ﷻ، أراد أن يربينا ويروضنا على منهجية (الاستنباط والاجتهاد) وعلى منهجية (البحث والتنقيب) وهذان في الواقع كما لا يخفى جوابان؛ لأن (الاجتهاد والاستنباط) أمر، و(البحث والتنقيب) أمر آخر..

فإن الاجتهاد والاستنباط يرتبط (بالحدس)، والبحث والتنقيب مما يرتبط (بالحس)، والفرق بينهما واضح، إذ هناك أمور حسيَّة، وهناك أمور حدسية، والله في كلا الجانبين أراد أن يربينا.. أي إنه أراد أن يربينا على منهجية (الاستنباط والاجتهاد)، وعلى منهجية (البحث والتنقيب) أيضاً.

فإنه جل اسمه أراد أن يعطيك (المفتاح)، وأن يعطيك (الدليل) و(المشير) و(الإشارة) وأنت عليك أن تبحث بعقلك وبما وفرته (السنة) لك من (أدوات) و(دلائل) لتصل إلى النتائج الصحيحة.. هٰذا هو المنهج القرآني..

إنهما مفتاحا عالمي التكوين والتشريع

إن (الاجتهاد والاستنباط) وكذا (البحث والتنقيب) هما (مفتاح) عالم التكوين، كما هما (مفتاح) عالم التشريع..

فإن الله تعالى (عالم التشريع) هٰكذا بناه، و(عالم التكوين) أيضاً هٰكذا جعله... أنه سبحانه لا يُعطيك كل شيء (حاضراً محضراً)، بل كثيراً ما يعطيك (المفتاح)، يُعطيك الإشارة، يُعطيك الإضاءة ويقول لك سِر وامشِ وحقق، وابحث، وافحص إلى أن تصل إلى نتيجة، فإما أن تجتهد فيما يحتاج إلى الاجتهاد، أو تبحث وتنقّب فيما يحتاج إلى البحث والتنقيب..

وقد أشار الإمام (عليه سلام الله) إلى ذٰلك حيث قال: «**علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع**».[1]

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢٧، ص٦٢، ح(٣٣٢٠٢)٥٢.

فلسفة الحاجة لـ (الاستنباط)

بل الغريب في الأمر: أنه حتى إذا كان هناك شيء سالكٌ طريقُه، فإن الله تبارك وتعالى يضم له ويشفعه بشيء ثانٍ في آية أخرى من القرآن الكريم، بحيث تتحول القضية إلى قضية محتاجة إلى استنباط وبحث؛ حتى أن الإنسان العادي لعله يتحير أو يدوخ فيها، وذلك مما يسبب أن يحس المرء بالحاجة إلى أن يرجع إلى (المستنبط) و(المجتهد)، أو أن يسلك هو طريق (الاجتهاد والاستنباط) و(البحث والتنقيب)، والآية الشريفة تقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.(١)

والحاصل: أننا نشهد في عالم التشريع أشياءً واضحةً بما هي هي، لكن الله تعالى يأتي بآية ثانية قد توجب الحيرة أو التشويش المبدئي للكثيرين، وإليكم الأمثلة التالية:

أ. الله الخالق وهل غيره أيضاً؟!

فإن الله تعالى هو خالق كل شيء دون شك، والقرآن يصرح كما في آية قرآنية كريمة: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.(٢)

وفي آية قرآنية كريمة أخرى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.(٣)

و: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.(٤)

---

(١) (النساء: ٨٣)
(٢) (الأنعام: ١٠١)
(٣) الرعد: ١٦.
(٤) الزمر: ٦٢.

و: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.(١)

إذن، لدينا آيات واضحة وصريحة وبديهية أيضاً: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾.(٢)

ولكننا في الوقت نفسه، نرى وجود نمط آخر من الآيات، فنلاحظ وجود آية أخرى لعلها توجب الحيرة والارتباك وتلقي التشويش المبدئي، كقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(٣)، وهذا ما يستدعي التدبر والتفكر والاجتهاد؛ فإن هٰذه الآية تجعلك تتأمل وتفكر ما معنى ذلك؟ وكيف نجمع بين هاتين الطائفتين من الآيات؟

فمن جهة يقول: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ و: ﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ و: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ و: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ ﴾، ومن جهة أخرى يُصرِّح: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ فهل هناك خالقون آخرون غير الله، حتى يكون الله هو أحسنهم؟!

إننا بالرجوع إلى أهل الاستنباط والاجتهاد، نعرف حل المشكلة عن طريق (الطولية)، و(المراتب)، فإن وجود خالق غير الله، كما هو صريح الآية الأخيرة ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ لا ينفي كون الله هو خالق كل شيء؛ أي (خالقٌ لما خلقه غيرُه) أيضاً، فإن (ما خلقوه) إنما هو (بإذن الله) وبقوى ووسائل وأدوات أعطاها الله لهم.

وبعبارة أخرى: كل خالقٍ غيرُ الله فإنه خالق لا بالاستقلال، والله سبحانه وحده هو الخالق بالاستقلال، فغيره خالق بالاستناد إليه، أما هو جل اسمه فإنه الخالق بنفسه:

(١) فاطر: ٣.
(٢) لقمان: ١١.
(٣) (المؤمنون: ١٤)

أزمّـــــــة الأمــــــــور طـــــــراً بـيـــده

والـــكـــل مـــســتـــمــدة مـــن مـــدده

ونجد وجه الجمع هٰذا مشاراً إليه في آية أخرى عن لسان السيد المسيح (على نبينا وآله وعليه السلام) إذ يقول: ﴿أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.[1]

إذن، حتى الشيء المُعبَّد الواضح، وهو كون الله تعالى خالقاً لكل شيء فإنّ الله تعالى يريدك أن تجتهد فيه، وتفكر وتتدبر وتستنبط الأجوبة والحلول، على الشبهات؛ ولكي تعرف (عمق) القضايا وأبعادها أكثر فأكثر.

والآن لنتساءل: لماذا لم يصرح باسم الإمام علي عليه السلام بكلمة صريحة لا تحتمل التأويل في القرآن الكريم.؟

الجواب: حتى تفكر، وتبحث، وتُنقِّب، وتجتهد وتكتشف (الولي) و(الإمام) و(الخليفة) عبر (الاستنباط) و(البحث) عن (المصداق) وعن مراده جل وعلا، فإن الله تعالى أعطاك (الدلالة) و(الإشارة) وقد أمرك أمراً واضحاً وصريحاً بقوله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ والبقية عليك أنت، اذهب وابحث عن الحق، ونقب، وقد أمرك الأمر الصريح بـ: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وعليك أنت أن تبحث وتنقب عنهم لتعرفهم؛ لتكون معهم.

ب. لا تناقض بين ﴿مَا طَابَ﴾ و﴿فَوَٰحِدَةً﴾

مثال آخر؛ لدينا آية واضحة وصريحة حول جواز (تعدد الزوجات)، لكن بعد ذٰلك يأتي ما لعله يوجب الحيرة والتشويش للكثيرين.. وذلك

(١) آل عمران: ٤٩.

حتى تجتهد، أو تسأل المجتهد، وترجع إليه؛ إذ في القضايا العقدية على الإنسان أن يجتهد، وفي غيرها عليه أن يبحث عن الثقة من المجتهدين العدول، فيتبعهم لو لم تكن له قدرة على الإجتهاد، أو لو لم يكن له مجال الاستنباط، أو لم يكن راغباً في ذلك.

الآية تقول: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾.(١)

إن الآية واضحة الدلالة على الجواز بشكل عام، وأما: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾، فهو استثناء، والأصل الأولي هو: الإباحة وأن الله قد أباح ذلك: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أي إذا لم تخافوا فانكحوا، ولكن ما قبله أمر، والأمر هنا ربما لأنه في مقام توهم الحظر، يحمل على الجواز(٢): ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾، فالآية إذن في حد ذاتها واضحة، ولكن تأتي آية ثانية ربما توجب الحيرة وتدوخ الإنسان المبتدئ ـ إن صح التعبير ـ يقول تعالى فيها: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾(٣) فمع نفي إمكانية العدالة أبدياً ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا﴾، كيف سوغ وأجاز الله في تلك الآية الأخرى نكاح ما طاب من النساء بشكل عام واستثنى فقط: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾؟

إن البعض جهلاً أو تجاهلاً، توهموا أن هنا تناقضاً في القرآن الكريم؛ إذ كيف يقول الله سبحانه من جهة: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾، ومن جهة أخرى يقول في التشريع: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ

---

(١) النساء: ٣.
(٢) بالمعنى الأعم الشامل للإستحباب.
(٣) النساء: ١٢٩.

لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ﴾؟! ولعل الظاهر منه: أن الخوف من عدم العدالة غير موجود إلا كاستثناء..

وهنا نحن بحاجة إلى الاجتهاد أو التنقيب، وتأتي الرواية لتعطيك الجواب عن توهم التناقض، حتى لا تبقى الشبهة عالقة في ذهن البعض ممن لا يعلم الجواب، تقول الرواية: أن الآية الثانية ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ﴾ إشارة إلى (العدالة القلبية) فهي الممتنعة دائماً، و: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ أما الآية الأولى فهي إشارة إلى (العدالة العامة) الظاهرية الواجبة على الزوج، أي العدالة القانونية والحقوقية، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ يعني في النفقة، وفي الواجبات الزوجية القانونية المحددة، لكنكم في القلب وفي الحب: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ﴾..[1]

لولا منهجية (الاستنباط) لاختلت الحياة

إذن، الله ﷻ هكذا أراد أن يعودنا ويروضنا على منهجية (الاستنباط) ومنهجية (البحث والتنقيب والفحص).

والسر في ذلك: أن الله تعالى لم يرد لنا أن نكون مجرد (آلات) صمّاء ميكانيكية، تتحرك بـ(جهاز تحكم عن بعد) بل أراد لنا أن نكون مفكرين قادرين على الاستنباط.

إننا إذا لم نتعلم ولم نتربّ على هذه المنهجية، فإننا سنصبح مثل ذاك القائد العسكري في ذاك البلد الإسلامي إبان الحرب العالمية الثانية، وهو من حزب معروف، شارك هو وجماعته في الحرب، قال ذلك القائد

(١) ينظر الكافي: ج٥، ص٣٦٢، باب فيما أحله الله ﷻ من النساء، ح١. ووسائل الشيعة: ج٢١، ص٣٤٥، ب٧، ح٢٧٢٥٤.

العسكري الإسلامي الذكي(!) بأن الآية تقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ﴾[1] وأضاف: نحن متعبدون بالقرآن الكريم! وهذا أمر إلهي صريح، فتعالوا كلكم نقف أمام العدو صفاً واحداً، متراصين متلاصقين في المعركة، ثم نطلق الرصاص على العدو دفعة واحدة!! فوقف هٰؤلاء المساكين الجهلة الذين سلموا أنفسهم بيد من لا يجتهد ولا يستنبط، في صف واحد وأطلقوا رصاصاتهم، فما كان من العدو إلا أن ألقى عليهم قذيفة هاون واحدة فماتوا وقتلوا..

نعم؛ الآية صريحة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ﴾ ولكن ليس كما فهم هٰذا القائد.. لقد كان يحتاج إلى (التدبر) و(التفكر) و(الاستنباط) ليعلم المراد بـ(صفاً)، وهل المقصود به (صفاً جغرافياً واحداً)، أم المقصود به وحدة الصف في التخطيط، أو في الإدارة، وفي التنفيذ، وفي تماسك القلوب، وإن تنوعت الأدوار وتوزعت وتباعدت الأبدان واختلفت المواقع؟

والله سبحانه لا يريد أن نكون بهذه السذاجة، ولا يريد أن نكون متحجرين جهلة؛ ذٰلك أن الاجتهاد والاستنباط هو الذي يصمد أمام تحديات الحياة، وهو الذي يقف أمام (الشبهات) سداً منيعاً..

إن (الاستنباط والاجتهاد) هو طريق التطور، وطريق التقدم، لا (التحجر)، وإلا فإذا أردت أن تتحجر فاعتقد بحرفية معنى الآية الشريفة: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾[2].

إن الله تعالى أراد أن يُعودنا على هٰذه العقلية: عقلية الاستنباط، وعقلية الاجتهاد، وعقلية البحث والتنقيب، بحيث يُعطيك (الإشارة)

(١) الصف: ٤.
(٢) الإسراء: ٧٢.

ليدفعك إلى البحث، ولتستنبط منها (إشاراته) الكثير الكثير من الحقائق والحِكَم واللطائف والدقائق..

لا اسم للأولياء كما لا اسم للأعداء

والآن سأذكر لكم آية قرآنية كريمة أخرى، وهذه الآية دققوا فيها جيداً، وسأتبع طريقة القرآن الحكيم فلن أذكر الأسماء، وعلى القارئ النبيه أن يحقق بنفسه وينقب ليصل إلى (الواقع) و(المصاديق)، ونحن نتكلم عن أن الله ﷻ في القرآن الكريم لم يذكر الاسم، لا أسماء المعاصرين ولا الذين سيأتون، وذكرنا بعض وجوه الحكمة في ذلك، وأنه لأجل تلك الحِكَم وغيرها لم يذكر الله تعالى أسماء ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ بصريح القول.

بل إنه تعالى ذكر لك الضابط، وأعطاك الأمر الإلهي الصريح، حتى تذهب وتحقق، وتنقب، وتبحث، وتجتهد، وتفحص، وذلك في كلا جانبي الإيجاب والسلب.

أما الإيجاب فكقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ فمَنْ هم هٰؤلاء الذين جعلهم الله علينا أولياء؟

القرآن الكريم في هذه الآية الشريفة لم يذكر الأسماء، وأنتم مسؤوليتكم أن تبحثوا وتفحصوا عنها.

(إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما)

وأما الجانب السلبي فمن أمثلته ما نجده في سورة التحريم حيث يقول جل اسمه: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾.[١]

و:﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ﴾، أي مالت عن الحق، والجزاء[٢] محذوف وهو (فهو المطلوب والمتحتم أو اللازم) مثلاً[٣].. لكن سوف يتساءل المرء: من هاتان المرأتان؟

فإن القرآن الكريم لم يذكر الأسماء أصلاً.

ولكي تتضح لنا الصورة والحكمة أكثر فأكثر: تدبروا فيما يلي وتصوروا إنكم لستم فرضاً شيعة ولا سنة، بل إنكم أناس قدموا من المريخ، مثلاً، لكنكم تعرفون أن هٰذا القرآن نازل من قبل الله سبحانه وتعالى، من لدن علي حكيم، ثم تقرأون هٰذه السورة المباركة، لتعرفوا ماذا يقول الله تعالى فيها، فتجدون أنه لم يذكر الأسماء، لكن القرائن العامة والخاصة، والسِّياق والإشارات تقودنا إلى ما يلي:

لماذا خلّد الله إدانة المرأتين؟

هذه القضية لم تكن قضية عادية أبداً، بل كانت قضية مهمة جداً، وإلا لمّا سجّلها وخلّدها الله تعالى في كتابه المجيد الخالد، فلا شك في أنها قضية هامة جداً وإلى أبعد الحدود ككل ما أنزله رب العزة والجلالة في قرآنه الحكيم...

(١) التحريم: ٤.

(٢) أي جزاء ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

(٣) أو هو (يَتُبِ الله عليكما).

ولكن وحسب الظاهر وحسب ما يذكره المفسرون قد يتساءل البعض: هل هٰذه القضية، حسب شأن النزول المذكور لها، كان من المناسب أو من الضروري أن تذكر في القرآن الكريم؟؛ ذٰلك أن القرآن مخلّد لكل العلماء، والحكماء، والفلكيين، والفيزيائيين، والأطباء، والمحامين، والفقهاء وغيرهم، على مرِّ التاريخ، ثم تبرز قضية خاصة، شخصية، وسرية بين النبي وبين زوجته فيقوم اللهعزّوجلّ بتخليدها في القرآن بهذه الطريقة؟

هل سمعتم بمحامٍ، أو طبيب، أو رجل دين، أو عالم، يعلن على رؤوس الأشهاد، على المنبر، أو في الجرائد ـ مثلاً ـ أنه البارحة جرى له مع زوجته مثل هٰذه المشكلة؟ ولتتضح الصورة أكثر لابد من أن نستعرض الأقوال في شأن نزول الآية.

فإن شأن نزول الآية هو أحد أمرين: فإما أن تكون قد نزلت عندما شرب النبيصلى الله عليه وآله وسلم عسلاً، فتآمرت عليه (الزوجتان)، وقالتا: رائحتك رائحة المغافير، وهي رائحة كريهة.[1]

أو أن شأن النزول هو أن النبيصلى الله عليه وآله وسلم واقع مارية القبطية، فاعترضت عليه زوجتاه وتآمرتا عليه بهذه الطريقة، أي بدعوى أن رائحة فمه كريهة، والنبي إثر ذٰلك حرَّم على نفسه ذلك..

هذا الموجود في أقوال المفسرين، وهو واضح.

(١) حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ يَشْرَبُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا فَوَاطَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ عَنْ أَيَّتُنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقُلْ لَهُ أَكَلْتَ مَغَافِيرَ إِنِّى أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ. قَالَ «لاَ وَلَكِنِّى كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ فَلَنْ أَعُودَ لَهُ وَقَدْ حَلَفْتُ لاَ تُخْبِرِى بِذَلِكِ أَحَدًا».
المغافير: جمع مغفور وهو صمغ حلو له رائحة كريهة، صحيح البخاري: ج١٦، ص٢٧٦

لكن السؤال هو: لماذا الله ﷻ عبر القرآن الكريم؟ يخلد ذٰلك في التاريخ البشري كله، وما الغاية من ذلك؟

سؤال هام ووجيه، ودققوا فيه جيداً؛ إذ سواء النبي ﷺ شرب عسلاً أم لا، وسواء زوجته اتهمته بالرائحة الكريهة أم لا، فما وزن هٰذه القضية بما هي هي لو لم يكن وراءها حدث خطير عظيم في ميزان القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعالمية الكبرى، أو الفكرية والعقدية المصيرية؟

وما فائدة سَرد هٰذه القضية لنا، وللمجتمع البشري كله، لعامة الناس وللعلماء، للحكماء، للفلكيين، للسياسيين، لكبار التجار، والاقتصاديين، وللحكام والمحكومين؟

إن الشخص إذا لم يكن يؤمن -والعياذ بالله- بأن الله تعالى حكيم، أو كان لا يؤمن بأن القرآن الكريم هو كتاب عظيم خالد ما فوقه كتاب، ولا يعقل أن يرقى إلى مستواه كتاب في أي حقل من الحقول، لا في ظاهره ولا في باطنه، وهو معجزة خالدة في كل شيء، نعم.. إذا لم يكن الشخص يؤمن بأحد هذين، فإن استعراض قضية شخصية تاريخية كأكل العسل وإتهام الزوجتين للآكل برائحة فمه، قد يكون له ما يبرره...

لكن الحق الواضح البديهي هو: إن الله تعالى حكيم بقول مطلق، وإن القرآن هو أعظم كتاب في الكون كله، وفي كل جهاته وسوره وآياته وكلماته، فكيف تذكر فيه قضية شخصية، لا ترتبط بالبشرية، وتبدو عادية جداً؟!

السر: (المؤامرة الكبرى) وليس قضية (مارية) أو (المغافير)

لنتأمل قليلاً في القرآن الكريم، ونتدبر في هٰذه الآيات تدبراً شاملاً في سلسلة الآيات وسياقها؛ لنكتشف السر وأن هنالك أمراً خطيراً جداً، أخطر بكثير مما هو ظاهر القضية، بل لعله من أخطر القضايا التي واجهت رسالة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم على الإطلاق، الله تعالى يقول: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.(١)

إذن، هناك سر يكمن في ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾.. وليست قضية المغافير، أو قضية مارية، وفي الواقع فإن قضية المغافير ومارية، كانت هي (المدخل) لأمر آخر أعمق وأخطر بكثير، وبتعبير آخر ـ ولا أقصد حرفية معنى هٰذا التعبير ـ إن قضية المغافير كانت هي غطاءاً للموضوع وللهدف الأساسي المنشود، لكي يرمز إلى السر الخطير الكامن على مرِّ التاريخ.

أ. (وأعرض عن بعض)

فإن الله تعالى يعطي إشارة ويقول: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾، إذن هٰذا (الذي أعرض عنه) هو السر، وهو السبب الحقيقي وراء تخليد القرآن الكريم هٰذه القضية، وإلا فإن الذي ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ كان هو حسب المفسرين قضية المغافير والرائحة والاقتراب من مارية القبطية، والإلتزام بأن لا يقاربها بعد ذلك.. إن هٰذه قضية عادية كما هو واضح، ولا ترتبط لا برسالة الرسول، ولا بالبشرية والأجيال على مر التاريخ.

ثم إن قضية مارية والمغافير هي التي ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ فما هو الذي ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾؟

(١) التحريم: ٣.

إذن: نعرف من ذٰلك أن الأمر أمر آخر.. أخطر بكثير جداً.. فما هو؟

ب. تغيير الضمائر

والآن لاحظوا سياق الآيات فإن الله تعالى يقول: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾.[1]

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ وهنا إشارة؛ فإن السياق قد تغيَّر بوضوح؛ إذ لم يكن الحديث عن (امرأتين) بل كان الكلام عن (امرأة واحدة)، (فلما نبأت به) لكن مَنْ الذي نبأته به؟ هل نبأت واحدة أو عشرة؟[2] التاريخ ينقل لنا أنها نبأت واحدة، هي الزوجة الثانية والتي لم يذكر القرآن الكريم اسمها أيضاً.

والتغيير في السياق فيه إلفات هام لشد الإنتباه؛ إذ الجو بدأ يختلف فالآية السابقة هي: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾، ولم يقل نبأت به زوجته الأخرى، أو زوجاته الأخريات؛ لكننا نجد الضمير يختلف في هٰذه الآية، إذ يقول تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ هٰذه إذن لفتة أولى..

ج. مفهوم (أزواجاً خيراً منكن مسلمات...)

وبعد ذٰلك يقول الله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾.[3]

ولا يعقل أن لا يكون لمثل هٰذا الكلام مفهوم، فإذا قال شخص لشخص آخر: عسى أن يبدلك الله زوجةً مطيعة، فهذا يعني بالضرورة أن

(١) التحريم: ٤.

(٢) وإذا كان الأنباء والإخبار لأكثر من واحدة كان ينبغي أن يكون الضمير ضمير جمع أي (إن تَتُبْنَ).

(٣) التحريم: ٥.

زوجته الحالية ليست مطيعة، إذ لو كانت مطيعة لكان ذلك الكلام لغواً، وكذا لو قال له: عسى أن يبدلك الله امرأة حسنة الخلق، فما معناه؟ معناه أن زوجته بالفعل هي امرأة سيئة الخلق، وإلا لم يكن لكلامه معنى، أي كان لغواً..

والله يقول في هٰذه الآية القرآنية الكريمة: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ﴾ فلنسأل: ما هو مفهوم هٰذا الكلام: ﴿أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ﴾ فلو كانت زوجاته اللاتي هدد الله بطلاقهن، مسلمات مؤمنات بالفعل، فما معنى هٰذا الكلام؟

إن حديثنا هٰذا هو موضوعي وعلمي صرف؛ إذ أننا نقرأ القرآن الكريم ونقرأ هٰذه الآية الشريفة، ونعلم أنه من عند الله تعالى، وقد خلده للتاريخ، فماذا يعني تهديد تلك الزوجات العاصيات بأن يبدلهن خيراً منهن، نساء لهن المواصفات التالية: ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾، ألا يعني أن اللاتي هددهن الله تعالى لسن مسلمات مؤمنات قانتات...؟

أم ماذا؟

وهذه أيضاً إشارة.

د. التهديد الإلهي الغريب والشامل

وأما الإشارة الأخرى ـ الهامة جداً ـ في هٰذه الآية القرآنية الكريمة؛ فهي هٰذا التهديد الغريب، المنقطع النظير، لاحظوا جيداً فإن الله حكيم، فما هٰذا التهديد العجيب لتينك المرأتين اللتين قالتا كلاماً عن النبي، ليأتي الله ليهددهما في القرآن الكريم، الذي يُتلى آناء الليل وأطراف النهار، ولألوف وربما ملايين السنين، على المليارات من الناس؟

ثم لاحظوا أي نوع من أنواع التهديد هو؟

إذ كان يكفي أن يقول جل اسمه: (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله بغيركن) أي يكتفي بالتهديد المذكور في الآية الخامسة فقط.. لكن الله يصعق الأسماع بهذا التهديد العجيب في الآية الرابعة؛ إذ يقول: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

لماذا حشد الله قوى الكون لتهديد (المرأتين)؟

فما هو هٰذا (التظاهر) الغريب الذي حشد الله تعالى له كل قوى الكون في مقابل تينك المرأتين، فما معنى كل هذا؟!

تفضلوا وتأملوا واحكموا..

إلا إذا كنتم تقولون: إن القرآن ـ والعياذ بالله ـ يطلق الكلام على عواهنه..

وفكروا مرة أخرى: هل يطلق الإنسان صاروخاً في مقابل نملة؟

بل هل يطلق قنبلة ذرية عليها؟

امرأتان ـ والمرأة ضعيفة بطبعها ـ أهانتا زوجهما بأن رائحة فمه كريهة، ثم تظاهرتا عليه في ذلك، أي اتفقتا على قول ذٰلك له حسب المفسرين فهل يعقل لذلك أن يهددهما الله وعلى رؤوس الأشهاد من كل الأمم ولألوف السنين القادمة، بذاته الكريمة، وبجبرئيل، وصالح المؤمنين، والملائكة أجمعين؟!

لاحظوا وتدبروا جيداً:

﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ وهو تصريح بأن الله على عظمته يتدخل، فالقضية إذن ليست مُجرد قضية أكل عسل ورائحة، ومجرد شأن عائلي زوجي، يقع بين الأزواج عادة، لا يعقل أن يكون تمام القضية هو ذٰلك فقط: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ ومَنْ أيضاً؟ لاحظوا أن الله يُدخل

جبرئيل في المعادلة أو المعركة: ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ وبعده يُدخل: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، يعني المؤمنين بأجمعهم على مرِّ التاريخ؛ لأن القرآن لكل التاريخ المستقبلي حتى يوم القيامة[1]، وكل ذٰلك لا يكتفي به الله تعالى في مقابل (تظاهر المرأتين)، بل يضيف الله العزيز القهار: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾..

فما هي هٰذه القضية؟ لا يعقل ذٰلك إلا أن تكون: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ مؤامرة خطيرة جداً، وإلى أبعد الحدود، وإلا أن تكون لها امتداداتها الكبيرة وأذرعها اللامرئية في ذٰلك الزمن وعلى امتداد التاريخ.. ولذا استحقت أن تخلد على مر التاريخ، وأن يجري تحذير المسلمين في كل الأزمان من تينك المرأتين، وإلفاتهم إلى مؤامرة كبرى بحجم التاريخ الإسلامي العالمي اللا متناهي، كله.

نعم، إنما هي قضية (المؤامرة التاريخية الكبرى لتحريف مسيرة الإسلام) وضربه وتحطيمه وإفراغه من الداخل، والتي بدأت عبر محاولة تنفيذ مخطط إقصاء الخليفة الشرعي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والتخلف عن جيش أسامة، ثم والانقلاب على الأعقاب[2]، وسرقة الدولة والثورة، والحضارة، والانجازات، كما تضمنت محاولة قتل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم نفسه.[3]

---

(١) وفي بعض الروايات أن ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ المقصود بهم الأنبياء عليهم السلام، وفي رواية أخرى: المقصود علي بن طالب عليه السلام وكلاهما صحيح، لكنهما من باب التفسير بأجلى المصاديق، فإن ظاهر هٰذه الآية هو ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على مرِّ التاريخ، وعلى مرِّ السنين، لأن ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ جمع محلى بأل، وهو يفيد العموم دون ريب، وهم موجودون على امتداد الأزمان و﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ هو المضاف إليه في ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فالمراد به الصالح من المؤمنين على مر الأزمان، كما هو كذلك خارجاً أي أن ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على مر الأزمان كانوا ولا زالوا وسيبقون ﴿أَنصَارًا﴾ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) إشارة لقوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾.

(٣) والذي أشعر به قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾.

إن ذٰلك مع قطع النظر عن الوثائق التاريخية الجلية على ذٰلك هو التفسير الوحيد الذي يمكن به عقلاً أن نفهم سر هٰذه اللهجة القرآنية العجيبة ضد المرأتين وتهديدهما بكل ذلك، وإلا فمجرد قضية عائلية وخلاف أسري خاص، هل يبرر التهديد بكل قوى الكون المادية والغيبية في مقابلهما؟!

نعم الله تعالى جمع وحشد هنا في مقام التهديد كل هٰذه القوى الغيبية والظاهرية، رغم أنه تعالى ما حشد كل هٰذه القوى لتهديد كل جحافل الكفر، ولا مقابل أبي سفيان، وأبي لهب، وما أشبه، بل قال ـ مثلاً ـ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1]، وذلك في (غزوة بدر) وذلك رغم خطورة الوضع، واحتمال انتصار الكفار على المسلمين وقضاءهم على رسول الله والإسلام والمسلمين.

وقال جل اسمه: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[2]، فالمجموع إذن ٨ آلاف ملك، وفي مقابل ذٰلك كله نجد الله ﷻ يقول ههنا في مقابل تظاهر امرأتين فقط ضد رسول الله ﷺ:

﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

ولاحظوا: إن الله لم يجعل ملكاً واحداً فقط هو (الظهير) لرسول الله، مقابل (الزوجتين)، بل ولا جعل المئات من الملائكة أو الألوف منهم

---

(١) الأنفال: ٩.

(٢) آل عمران: ١٢٤ ـ ١٢٥.

هم (الظهير) كما جعل (الألوف) فقط في قضية بدر هم (الظهير)، بل جعل ﷻ المليارات من الملائكة، بل التريليونات من الملائكة، بل كلهم أجمعين أعوانه وأنصاره و(ظهيره) فإن ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ جمع محلى بالألف واللام، وهو يفيد العموم كما هو واضح لمن له أدنى معرفة بقواعد اللغة العربية.

والآن فكروا وتدبروا: هل يوجد وجه لكل هٰذا التهديد النادر وللاستظهار بكل تلك القوى الغيبية الهائلة، إلا ما أشرنا إليه من وجود مؤامرة كبرى خطيرة جداً، امتدت بحجم التاريخ الإسلامي كله في (التظاهر) ضد رسول الله ﷺ بدءً من تينك المرأتين ومروراً بكل امتداداتهما على مر الأزمان؟!

ولكي تتضح القضية أكثر فأكثر: لاحظوا ما هو الوضع في الإنسان العادي فكيف بالنبي وسيد الكائنات فإنه إذا أساءت الزوجة الأدبَ مع زوجها، واتهمته ـ كذباً ـ برائحة كريهة في الفم، فكيف يقابلها؟ من الواضح أن عليه أن يقابلها: إما بالعفو كما هي سيرة الكرام، أو غاية الأمر بعتاب وزجر، أو كأقصى حد بعقوبة بسيطة، أما أن يأتي ويرتقي المنبر ـ مثلاً ـ ويطلق التهديدات ضدها، وعلى مرأى ومسمع الألوف، فهل هٰذا من العقل أو الحكمة؟!

والتمثيل الأقرب هو: أن يأتي رجل الدين، أو العالم، أو رئيس الجمهورية، ليفضح زوجته على مرأى ومسمع من كافة الناس وفي كل الدول؛ ويقول: إن زوجتي اتهمتني بأن فمي له رائحة المغافير، ثم يهدد هٰذه الزوجة بكل الجيش والقوات المسلحة..!!

هل يعقل ذلك، أن يهددها بأن كل الجيش سيأتي لساحة المعركة معها (لأنها تظاهرت عليه مع زوجته الأخرى بتهمة بسيطة: رائحة

الفم كريهة!)، وكذلك كل الضباط، وكل الجنرالات، وكل القادة العسكريين، ووزارة الاستخبارات، والأمن، والأمن القومي وكذا، وكذا..؟!

الله سبحانه أكثر من هٰذا فعل؛ لأنه أتى بكل قوى الكون، واعتبرها في مواجهة تينك المرأتين اللتين ﴿تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ لماذا؟

أليس ذٰلك إلا لأن مخططهما كان هو نفس المخطط التاريخي لأعداء الأنبياء على مر التاريخ، ضد رسل الله (صلى الله عليهم أجمعين) وأن تأثيرات المخطط ستبقى متموجةً متفاعلةً على امتداد المستقبل القريب والمتوسط والبعيد، حتى يوم ظهور المنتقم من آل محمد (صلوات الله عليهم و عجل الله فرجه الشريف).

هـ. (تعليق) توبة المرأتين

والحقيقة الأخرى هي: إن الله تعالى لم يقل بعد ذٰلك أنهما (تابتا) وأنه قبل توبتهما، أبداً، وذلك يكشف عن أنهما لم تتوبا أبداً، ويظهر ذٰلك لكم جلياً لو تتبعتم آيات القرآن الكريم، ولاحظتم مسألة (التوبة)، وكيفية تعامل القرآن مع هٰذه القضية.

توضيح ذلك: انه عندما (يتوب العاصي أو المجرم)، فإن الله يقبل توبته ويصرح بذلك، يعني أنه تعالى لا يقتصر على تصريحه بعصيانه فقط، بل يضيف قبول توبته أيضاً، أي يحيطنا علماً بعصيانه وبقبول توبته أيضاً[1]، ولكنه تعالى عندما لا يقبل التوبة يذكر الجريمة والمعصية فقط، ولا يعلق على ذٰلك بتوبة المجرم أو بقبول توبته، لاحظوا هٰذا في آيات قرآنية كريمة عديدة..

(١) أي يقول مثلاً: إنه قد عصى، وتاب، وقد قبلت توبته.

ونذكر بعض الأمثلة بشكل سريع وعابر، وهذه الآيات هي حقيقة جديرة بالتأمل والتدبر..

لاحظوا: إننا في هٰذا المقام نستنطق (القرآن الحكيم) مباشرة ولا نستشهد الآن بالروايات، ليشكك أحد في سندها مثلاً، فإن القرآن يتكلم عن زوجتين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صنعتا ما صنعتا، ثم يواجههما الله تعالى بهذا التهديد العجيب.. ثم يقول: ﴿إِن تَتُوبَآ﴾ ولا يقول بعدها: (ثم تابتا) مما يعني أن التوبة لم تقع.[1]

ولنستعرض بعض هٰذه الآيات القرآنية الشريفة؛ فـ(آدم) يقول عنه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2] وفي آية أخرى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾.[3]

وفي آية أخرى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.[4]

فهناك أناس يخطؤون ثم يتوبون فيتوب الله عليهم، ويذكر الله تعالى ذٰلك متى ذكر خطأهم، لكن هل تابت هاتان الزوجتان؟ وهل تاب الله عليهما؟ إنه تعالى لم يقل أنهما تابتا، وأن الله قد تاب عليهما، بل زاد على ذٰلك أنه قابلهما بهذا التهديد العجيب الغريب..

ما الذي يعني ذلك؟!

(١) ولعل من الأدلة إضافة إلى تتبع سائر آيات التوبة كما هو مذكور في المتن، قوله تعالى في الآية اللاحقة: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ حيث إن ﴿إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ شرط وهو لم يطلقهن، وكذا ﴿إِن تَتُوبَآ﴾ وهو شرط، فالتوبة لم تتحق منهما كذلك.

(٢) البقرة: ٣٧.

(٣) طه: ١٢٢.

(٤) التوبة: ١١٧.

إنه ـ بوضوح ـ يعني: أنهما لم تتوبا، وأن غضب الله عليهما وتهديده لهما قائم لم يتغير، وأن الواجب الإلهي يفرض على الجميع أن يغضبوا حيث غضب الله، وأن يسخطوا حيث سخط ليكونوا مرضيين لله سبحانه.

ونلاحظ في آية أخرى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.[1]

إذن؛ إذا تاب الطرف المخطئ فإن الله يُصرح بأنه سبحانه قبِلَ منه توبته، لكن إذا لم يقبل الله ﷻ توبته فإنه يستخدم أدوات مثل (إن) أو (لو) أو ما أشبه، مما يبقي السامع أو القارئ في دائرة الترديد والتشكيك، والذي يظهر منه بعد التدبر: العدم أي عدم التوبة.

فمثلاً: لاحظوا الآيات الثانية؛ ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.[2]

لاحظوا أن الحديث عندما صار عن الكفار الذين لم يتوبوا[3]، فإن الله جعل الأمر تعليقياً وترديدياً، وإنما لم يطرح العدم ويؤكد الجزم؛ بعدم قبول التوبة، فلأنه جل اسمه هو الحاكم كما يشاء، فلا ضرورة لأن يُعطي الوعيد بعدم التوبة جزماً، أو عدمها، وذلك لحكمة مُعينة وعلى أي فتفصيل السر في محله المناسب..

(١) التوبة: ١١٨.
(٢) آل عمران: ١٢٧ـ١٢٨.
(٣) إذ ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

وفي آية قرآنية أخرى يقول تعالى: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.(١)

وهكذا نجد أنه جل اسمه عندما يتكلم عن الكفار، نشهد هنالك (ترديداً) في التوبة والتعذيب، وعندما يتحدث عن ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ نشهد الأمر نفسه، أي (الترديد) في التوبة والتعذيب..

وفي آية أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.(٢)

في هٰذا المقام قال تعالى: ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟﴾ ولم يقل: (تابوا) أو: (تاب الله عليهم)، وفي الآية مورد الشاهد في المقام قال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾.

بل إن الله تعالى لا يقتصر على: ﴿إِن تَتُوبَآ﴾ المفيد للترديد، بل يضيف تأكيد عصيانهما: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، فلو فرض أن شخصاً لم يقتنع بما ذكرناه من ظهور ذٰلك في عدم التوبة، نقول له: فماذا تصنع بتتمة الآية، إذ يقول تعالى: ﴿فَقَدْ﴾ يعني بالتحقيق: ﴿صَغَتْ﴾ أي مالت ﴿قُلُوبُكُمَا﴾ عن الحق؟!

ثم نقول له: وماذا تصنع بأن الله تعالى لم يكتف بمجرد جعل التوبة مرددة وتعليقية، ولم يكتف بتأكيد المعصية بقوله: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ بل إنه تعالى صَعَّد من اللهجة بشدة وقال: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾؟!

(١) الأحزاب: ٢٤.
(٢) التوبة: ٧٣ـ٧٤.

إذن، ليست هنالك «معصية قلبية» فقط: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، بل هي «معصية عملية سابقة»: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ على خلاف وعدها لرسول الله ﷺ وهي «معصية عملية سابقة» أيضاً، حيث اتهمت رسول الله ﷺ برائحة كريهة ثم هي «معصية عملية لاحقة أكبر» ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ وما الذي يستفيده المنصف من كل ذلك؟

أخيراً نقول:

ثم أخيراً نقول:

لو فرض أن شخصاً لم يذعن لما ذكرناه من ظهور السياق القرآني، وظهور دراسة مختلف مواطن ذكر الله للعصاة والكفرة والمنافقين، ممن قبل الله تعالى توبتهم، أو لم يقبل، أو لم يتوبوا، وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ﴾ وقوله: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ ظهور ذٰلك كله في أن: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ﴾ دال على عدم توبتهما حتماً.

نقول: لو فرض ذٰلك كله، فإنه لا أقل من أن (عصيانهما) الله ورسوله (دراية) بنص القرآن الكريم، وأما توبتهما فـ(رواية) على فرض وجود هٰكذا رواية، والرواية لا تنسخ الدراية كما هو أوضح من أن يخفى على من كانت له أدنى دراية، فاغتنم، وكن لله تعالى من الشاكرين.

و. ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ حركة ممتدة بامتداد التاريخ

والحقيقة الأخرى الهامة نلاحظها في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ فإنها تكشف عن وجود حركة مستمرة، ومؤامرة متصلة الحلقات، وعلى مرِّ التاريخ ممتدة.

وهي مؤامرة الانقلاب على الأعقاب واغتصاب (الخلافة) ومواجهة خط (الولاية) على امتداد التاريخ، ولذلك خلد الله تعالى ذٰلك في قرآنه

الخالد بقوله: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، ليكون تذكرة وتحذيراً للناس على تعاقب الأجيال وكر الليالي والأيام، إضافة إلى ما في الدلالة الأكيدة لكلمة: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الشامل لكل المؤمنين الصالحين على مر التاريخ، على أن: ﴿تَظَٰهَرَا﴾ هي حركة مستمرة ممتدة بامتداد المستقبل؛ لذا كان لابد من أن يكون في مواجهتها ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ على امتداد الزمن.

فلسفة (التوازن) بين الجبهتين

وهنا نشير إلى جانب من السر في هٰذا التهديد العجيب، فلأن الدنيا دنيا الامتحان، وكما خلق الله ﷻ (الشيطان) وهو قادر على أن ينسف الشيطان نسفاً، بإشارة واحدة فقط؛ إذ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، لكن دنيا الامتحان تقتضي إيجاد نوع من التوازن بين الجبهتين، وتستدعي أن يعطي الله تعالى لجبهة الشر والشيطان قوى كثيرة جداً، لتكون قوية جداً، قال تعالى: ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾[1] لذا فإن الله سبحانه يأتي بالتهديد بهذه الجبهة الأقوى..

وهو (تهديد) يراد منه: (تقوية) عزائم المؤمنين، و(فضح) جبهة المتظاهرين والمتآمرين، ولا يراد منه (فعلية) تنفيذ التهديد بكامله؛ إذ أن فعلية التهديد تعني القضاء عليهم بأمر إلهي واحد، وهو مما يلغي عالم الامتحان، ولعلنا نعود في مبحث قادم إلى تفصيل هٰذه النقطة أكثر، بإذن الله تعالى.

وشاهدنا هنا: لماذا لم يذكر الله تعالى اسم هاتين المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ، بالصراحة، وذلك على الرغم من

(١) الإسراء: ٢٠.

أهمية القضية إلى هٰذه الدرجة الاستثنائية التي استدعت ذٰلك التهديد عديم النظير؟!

الجواب: أراد الله سبحانه أن يروضك على منهج (الاستنباط) ومنهج (التحقيق)، لكي تذهب أنت بنفسك وتبحث وتحقق لتصل للنتيجة[1]، فإن الله أراد ذلك: أن يعطيك (الإشارة) و(الدلالة)، وعليك إكمال مسيرة البحث والتحقيق، وأن يعطيك (المفتاح)، وعليك أن تفتح به الباب لا أن تقف عنده ممسكاً بالمفتاح حائراً!!

وكما كان ذٰلك كذلك في الجانب السلبي، فكذلك الحال في الجانب الإيجابي: لماذا لم يصرح الله تعالى بأسماء ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾؟

والجواب هو: حتى تذهب وتبحث وتنقب وتحقق، وعندما تكتشف الحق ستكون حصيلة البحث والاجتهاد، مبهرة، رائعة، وذات رسوخ أعمق في نفس (الباحث)؛ لأنه (اكتشف) الحقيقة بالجهد والتعب..

وبخصوص قضية (المرأتين) راجعوا «صحيح البخاري» ـ كما يسمونه ـ في كتاب التفسير في سورة التحريم التي هي السورة ٦٦ من سور القرآن الكريم، حيث أن عبد الله بن عباس يسأل عمر بن الخطاب، ويقول له: مَنْ هاتان المرأتان؟ وإذا فعلت فإنك ستجد الجواب مذكوراً في «صحيح البخاري» وعلى لسان عمر بن الخطاب أيضاً! ـ والرواية رقمها ٤٩١٤ و٤٩١٥ فليراجع من يهمه معرفة الأسرار الكبرى في تاريخ الإسلام، والحقائق الخفية في تفسير الآيات القرآنية.

(١) ولأسباب أخرى عديدة منها ما ذكرناه في الأجوبة (٢٤ ـ ٢٦) ومنها ما سيأتي في المجلد الثالث بإذن الله تعالى، من أن اسم هاتين المرأتين وأشباههما لو ذكر في القرآن الكريم لحرفوه كما حرّف أسلافهم التوارة والإنجيل، وكان من السبل الظاهرية لحفظ القرآن الكريم عن التحريف هو عدم ذكر تلك الأسماء.

إذن، الجواب الآخر هو: إن الله ﷻ أراد أن يروضنا على منهج (الاستنباط) و(التحقيق) بعد أن لم يكن من منهجه العام أن يذكر أسماء (المعاصرين) و(القادمين) في القرآن الكريم، لا من الصالحين ولا من الطالحين، لكنه ذكر الصفات وأعطاك الإشارات الواضحة البيّنة، ويريد منك أن تحقق وتنقب مَنْ هم قادة هٰذه الجبهة، ومَنْ هم قادة تلك الجبهة؟

الله يريد منك ذلك، ولا يجوز لك التواني والتكاسل والإعراض عن ذلك؛ لأنه قد أمر، وقد نهى، وقد حرَّض، وقد منع، وعليك أن تبحث عن مراده مما أمر ونهى.

إنه تعالى يريد منك أن (تجاهد) للوصول إلى الحق، وأن (تجتهد) في التحقيق والتنقيب عن الحقائق، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[1] وقال: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[2] وقال: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾.[3]

وربما نتطرق في وقت آخر لتفصيل هٰذه القضية الكلية، وان الله أراد أن يروضنا على منهجيه الاجتهاد والاستنباط ومنهجية البحث والتحقيق، وسوف نتطرق في المستقبل بإذن الله تعالى إلى الكثير من مصاديق ذلك؛ إذ سنبحث ـ مثلاً ـ في نظام فصل السلطات في القرآن الكريم؛ إذ أن هٰذا العبد الفقير شخصياً عثرت في تتبعٍ واستقراء بسيط وسريع لما في ذهني من الآيات القرآنية الكريمة، فرأيت أن هناك ستة من الآيات القرآنية الكريمة التي يمكن أن يستفاد منها في نظام (فصل السلطات) كمصداق، ونظام (اللامركزية)، ونظام (تقسيم القدرة)، وما أشبه ذلك..

(١) العنكبوت: ٦٩.
(٢) النحل: ٤٣.
(٣) النحل: ٤٤.

فلنترك هٰذا وغيره لمحله.. والله المستعان.

الشفرة الجينية الوراثية

والحاصل: إن هٰذا هو منهج الله تعالى في عالم التشريع، كما أنه جل اسمه في عالم التكوين أيضاً صنع كذلك، وكلنا اليوم نسمع عن (الشفرة الجينية الوراثية) فإن الله تعالى يعطيك (المفتاح) ولا يعطيك كل شيء (حاضراً محضراً)، واللازم بعدها أن تحقق، وتنقب، وتكتشف.

فإن العلماء اكتشفوا حقائق مذهلة عن (الجين أو الجينوم) البشري، أي الجين الوراثي الذي هو في داخل الخلية.

وحتى نعرف عظمة الله ﷻ، فإن خلايا مخ الإنسان هي أكثر من مائة مليار خلية، وهو صدقاً رقم خيالي، وهذا الجين الوراثي يقع في داخل هٰذه الخلية، فتصوروا الآن حجمه! فإنه جزء بسيط من أجزاء خلية يوجد منها مائة مليار في رأس الإنسان ومخه الذي هو بحجم الكف، حقيقة شيء غريب!!.

تصوروا جيداً: في داخل هٰذه الخلية البسيطة العجيبة (التي تجتمع منها مائة ألف على رأس إبرة، ثم إنك لا تراها إلا بالمجهر، مائة ألف خلية على رأس إبرة واحد!!) يوجد هٰذا (الجين) الوراثي والذي لا يشكل من حجم هٰذه الخلية حتى واحداً بالمائة!

ثم لاحظوا: أن (الأحرف) التي اكتشفها العلماء حتى الآن والمسجلة في هٰذا الجين الوراثي، أي (الأحرف المفتاحية) التي كتبها الله ﷻ كتابة تكوينية في كل جين، المكتشف منها حتى الآن هو ثلاثة مليارات حرفاً!! لكن أين كتبت هٰذه الثلاثة مليارات حرفاً؟ إنها كلها في داخل (الجين) وهو في داخل (الخلية) التي هي في (مخ) الإنسان، وفيه أكثر من مائة مليار خلية!!

ولكي نعرف معنى وحجم وضخامة رقم ثلاثة مليارات حرفاً، فإنه يكفي أن نعرف أنه يعادل ثلاثة آلاف كتاب ضخم، وكل كتاب به مليون حرف! وقد كتبها الله تعالى بيد قدرته في المكتبة الجينية، في جزء من الخلية التي يتكدس كل مائة ألف منها على رأس إبرة واحدة، ومع ذلك لا يمكنك أن تراها إلا بصعوبة بالغة!..

ثم ما هي مهمة هٰذه الأحرف الجينية الوراثية؟ أنها تنقل الصفات الوراثية من الأجداد إلى الآباء، إلى الأبناء، فإنكم كثيراً ما ترون (الابن) ـ مثلاً ـ أو (الحفيد) متحلياً بصفات معينة، وربما بنظرة واحدة يكتشف الإنسان الذكي الذي يمتلك علم الفراسة من حركة العين مثلاً أن هٰذا ابن فلان، أو ليس ابن فلان.. فإن هٰذه (الشفرات) الوراثية هي كذلك.. بل إن الآثار هي الشواهد وهي الدليل، فإن ذا الفراسة، من كيفية حركة اليد مثلاً، أو شكلها يعرف ذلك، ولا يحتاج حتى إلى العلوم الحديثة الدقيقة التي تتعلق بتفاصيل الخطوط على إبهام اليد، والتي لا تتطابق حتى بين شخصين من كل مليارات البشر الستة! قال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾.(١)

بل إن التفاصيل والخصوصيات الفريدة، مكتوبة في كل جزء جزء من أجزاء بدن الإنسان، وهناك تجد كامل التفاصيل مذكورة!

بل في التصور القاصر، فإن الأمر أجل وأغرب وأوسع مما يذكره العلماء؛ إذ أن كل جزء جزء من أجزاء بدن الإنسان وكل خلية، فإنها تحمل شفرة ترشدك إلى الكون ومجاهيله في شتى أبعاده، كما ترشد إلى من كوَّنه وأوجده من كتم العدم، وهذا له بحث مفصل، فليترك لمحله المناسب..

---

(١) القيامة: ٤.

الخلاصة الموجزة

إن الله ﷻ تعلقت إرادته بأن يعطيك (المفاتيح): مفاتيح المعرفة، ثم أمرك بأن تجتهد وتستنبط من جهة، وتبحث وتنقب من جهة أخرى، حتى تصل إلى الحقيقة، في (عالم التكوين) الأمر كذلك، وفي (عالم التشريع) الأمر كذلك أيضاً..

وبذلك كله نعرف السر، أو واحداً من أسرار وعلل عدم ذكر الله ﷻ أسماء ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ بالصراحة التي لا تحتمل التأويل، في القرآن الكريم؛ فإنه لم يرد أن يعطيكها حاضرة محضرة، بل أعطاك الإشارة والدليل والدلالة، وقد أمرك في القرآن الكريم أمراً واضحاً وصريحاً بأن تتبعهم، فالواجب عقلاً وشرعاً وعرفاً بعد ذلك: أن تبحث عن ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ المأمور بالكون معهم في قوله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ حتى تصل إليهم بالجد والجهد والبحث والتنقيب.

وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ فمَنْ هو المقصود بذلك؟

عليك تقع مسؤولية البحث حتى الوصول إلى الحق الواضح الصراح.

وهنالك إجابة أخرى، لعلها تعد تتمة مهمة لهذه الإجابة نشير إلى عنوانها ونتركها إلى بحث آخر[1] هي؛ (التعبد) فإن ما ذكرناه كان هو (الاجتهاد) و(التنقيب)، وما سنذكره هو (التعبد) وهناك تكاملية رائعة بين هذين الجوابين، فإذا وفقنا الله ﷻ فإننا سنفصل البحث عنها في بحث قادم، بإذن الله تعالى..

(١) سنتطرق لها بإذن الله تعالى في المجلد الثالث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة على أعدائهم إلى يوم الدين.

[٦]

(وكونوا مع الصادقين)

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين بارئ الخلائق أجمعين باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.[1]

كان البحث في الماضي القريب حول هٰذه الآية القرآنية الكريمة، ووصلنا إلى تحقيق المقام وتفصيل الإجابة على تساؤل وهو: لماذا لم يذكر اسم أمير المؤمنين، ومولى الموحدين الإمام علي بن أبي طالب (عليه صلوات المصلين) في القرآن الكريم، والذكر المبين؟

وقلنا: أنّ هنالك الكثير من الأجوبة على هٰذا التساؤل، واستعرضنا حتى البحث الماضي ستة عشر جواباً[2]، وبقيت هنالك أجوبةٌ كثيرة، وسوف نتطرق الآن بإذن الله تعالى لجواب واحد؛ إذ سوف لن تكون لدينا الفرصة الكافية إلا لبسط الكلام حول إجابة واحدة فقط.. بل قد لا يسمح الوقت لاستيعاب أطراف الجواب كله في هٰذه الليلة.

---

(١) التوبة: ١١٩.

(٢) راجع هامش ص ٩٠ من هٰذا الكتاب.

[٣١]

الجواب الواحد والثلاثون:

قوله تعالى: {وجعلنا لهم لسان صدق علياً}

وهذا الجواب يثبت لنا بالبراهين القاطعة: إن اسم الإمام علي عليه السلام مذكور في القرآن الكريم!

وقبل البدء نقول: إن هٰذا الجواب يحدث منعطفاً جديداً في هٰذه المباحث بأكملها؛ إذ سيظهر بذلك أن هٰذا (السؤال) على ضوء هٰذا الجواب هو (خاطئ) تماماً، وغير صحيح بالمرة.

وأعني أن هٰذه (الإجابة) ستوضح لنا أن السؤال التالي: (لماذا لم يذكر اسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم؟) هو سؤالٌ خاطئ؛ لأنّهُ حسب هٰذه الإجابة، وعلى حسب رأي مجموعة من فطاحل العلماء الذين تعضدهم أدلة وقرائن كثيرة (نقلية) قرآنية وروائية و(عقلية)، فإنّ اسم الإمام أمير المؤمنين (عليه صلوات المصلين) قد ذُكِر في القرآن الكريم بنفس حروف اسمه المبارك أي (علي) وليس بالإشارة، أو بنحو شأن النزول، أو بذكر الصفات فقط.

فإذن، حسب هٰذا الجواب، فإن السؤال ينبغي أن يتحوّل إلى: أين ذُكِرَ اسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم؟

وليس: (لماذا لم يُذكَر)؟

فإذا توصلنا على ضوء ما سنذكره في هٰذا البحث ـ إن شاء الله ـ إلى أن الاسم قد ذُكِر بالصراحة في القرآن الكريم، وليس في موطنٍ واحد، بل في أكثر من موطن، فإن السؤال التالي سيكون:

كم مرة ذكر اسم علي عليه السلام في القرآن الكريم؟

وكم مرة ذكر لقبه الخاص؟

أو أوصافه الخاصة؟

والإجابة ستكون في هٰذه الآية الشريفة، أو في تلك الآية القرآنية الكريمة، مع البرهان والدليل، وبل الأدلة والبراهين.

القولان في: {وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا}.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.[1]

إن أبرز وأشهر رأيين وتفسيرين لهذه الآية الكريمة هُما:

الرأي الأول: وهو الرأي المتداول إذ أن الموجة هي لصالح الآخرين إن قوله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ [2]لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾، يعني: ذِكراً حسناً عالياً، على مرِّ الأزمان. وهذا هو الرأي المشهور.[3]

(١) مريم: ٥٠.

(٢) أي لإسماعيل وإسحاق ويعقوب.

(٣) ينظر التبيان للشيخ الطوسي قدس سره: ج٧، ص١٣١، سورة مريم. و: مجمع البيان في علوم القرآن: ج٦، ص٤٢٧ سورة مريم. التفسير الصافي للفيض الكاشاني قدس سره: ج٣، ص٣٨٤، و: تفسير نور الثقلين: ج٣، ص٣٣٩، ح٨٧. و: شواهد التنزيل للحسكاني: ج١، ص٤٦٢، ح٤٨٧و٤٨٨. و: تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين: ص١٠٧ سورة مريم.

ولعل المزيج من الظلم والاضطهاد والإرهاب الفكري والسياسي والاجتماعي الذي تعرض له أتباع أهل البيت عليهم السلام، إضافة إلى العداء المستحكم، الذي تميّز به خط الجاحدين لإمامة أمير المؤمنين (سلام الله عليه)، والمنكرين لكل، أو لأكثر، أو للكثير من فضائله ومناقبه، كل ذٰلك كان هو الباعث ليتحول هٰذا الرأي إلى الرأي المشهور ولو تقيةً.

الرأي الثاني هو: إن ﴿عَلِيًّا﴾ اسم علم، وليس صفة، أي ليس صفةً للسان الصدق.(١)

فهو كما لو قال: (جعلنا لهم أمير المؤمنين علياً) بتغيير المفعول الأول: أي ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ أو هو كما لو قال (وجعلنا لهم لسان صدق محمداً) بتغيير المفعول الثاني، أو الحال، مع أنه لو كان فرضاً (محمداً) كان يحتمل (الصفتية) أي محموداً، و(العلمية) أي الاسم الخاص والعلم المحدد للذات النبوية الشريفة.

وسنذكر بإذن الله تعالى لهذا الرأي الثاني، العديد من الأدلة والشواهد والقرائن المستلهمة من القرآن الكريم، إضافة للروايات الصحيحة الواردة في هٰذا الباب، فإن الذي اكتشفته ولاحظته ـ في هٰذه العجالة ـ بالتدبر في نفس الآية القرآنية الكريمة، والآيات المحيطة بها، بلغ تسع قرائن وأدلة وشواهد، كلها تدل على أنّ (عَلِيًّا) ههنا علمٌ، وليس صفة، وسوف نتطرق لها في أواخر البحث، أي أن ﴿عَلِيًّا﴾ في الآية الشريفة هو: علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذا يعني أن الله عز وجل قدّر أن يكون (امتداد آثار النبوة) ولسان صدقٍ لأولئك الأنبياء العظام، متجسداً في (أهل بيت) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ البعثة النبوية الشريفة وإلى مديات المستقبل القريب والمتوسط والبعيد، حتى يوم الظهور المبارك، بل

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج٢، ص٥١، سورة مريم.

حتى يوم القيامة، بل حتى في يوم الحشر الأكبر.. وذلك عَبرَ وعن طريق سيد الأوصياء الإمام علي بن أبي طالب وبضعة الرسول الأعظم الزهراء الحوراء، ثم عبر السلسلة النورية المباركة التي نتجت عن: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ أي عبر: الإمام الحسن، والإمام الحسين، والإمام السجاد، والإمام الباقر، والإمام الصادق، والإمام الكاظم، والإمام الرضا، والإمام الجواد، والإمام الهادي، والإمام العسكري، والإمام الحجة المهدي المنتظر (صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً).

فإذن، إبراهيم عليه السلام لم يطلب من الله تعالى مجرد (الذكر الحسن)، وإنما طَلِبَ ما هو الأكمل والأسمى والأفضل وهو: أن يكون امتداده إلى يوم القيامة عبر هٰذه السلسلة النورية، التي تخلّد له (الذكر الحسن) إلى أبد الآبدين، وهذه قرينة عقلية سيأتي بيانها لاحقاً، إذا شاء الله سبحانه وتعالى.

الأنواع الأربعة من الأدلة الروائية

النوع الأول من الأدلة الروائية:

١. روايات صحيحة السند تقول: ﴿عَلِيّـاً﴾ يعني: علي بن أبي طالب عليه السلام

ولنبدأ بالروايات الشريفة، على حسب ما يراه أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ثم ننتقل إلى بعض أتباع السقيفة، لنرى ما يقولون، حلاً ونقضاً، ثم نأتي إلى القرآن الكريم نفسه، والشواهد القرآنية الكريمة على ذلك، ونختم القضية ببعض الأدلة العقلية على ذلك.

أولاً: لنا أن نتساءل، هل هناك روايات صحيحة السند تدلُ على أنّ: (عَلِيًّا) علم، وليس وصفاً لـ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ في آية: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا

وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ في سورة مريم، التي هي السورة التاسعة عشرة من القرآن، الآية خمسون من هٰذه السورة المباركة؟

والجواب الصريح هو: إنه توجد ليس رواية صحيحة واحدة فحسب؛ وإنما توجد أكثر من رواية صحيحة في هٰذا الحقل، وسنستعرض روايتين الآن هما في أعلى درجات الصحة، يعني: سندها سندٌ ربما لا يُضارع، أو قليل المثيل في الصحة، والجلالة، والوثاقة.

ومن البديهي رجالياً أن الرواية الصحيحة يُتمسك بها دون كلام، وبدون شك، فكيف لو وجدت روايتان صحيحتان على أقوال مختلف علماء الرجال؟!

سند الرواية الأولى في أعلى درجات الصحة

الرواية الأولى؛ يرويها الشيخ الصدوق: وهو ابن بابويه، والعلماء يعرفون طبعاً هٰذه السلسلة من السند ومدى وثاقة رجال السند وجلالة شأنهم، لكن كثيراً من الناس ربما لا يعرف هٰذه الأسماء أو لعله يعرفها، لكنه لا يعرف بعض الخصوصيات التي تلقي الضوء على عظمة ومكانة وجلالة ووثاقة أولئك العظماء؛ لذا فإننا في البداية سوف نتطرق وكإشارة سريعة لبعض الحديث عن السند، والذي يمكن أن نُعبِر عنه بالسند الذهبي، أو السلسلة الذهبية حقيقةً.

الراوي الأول: هو الشيخ الصدوق قُدِّسَ سِرُّهُ في كتاب «كمال الدين وتمام النعمة»، أو «إكمال الدين وإتمام النعمة».[1]

---

(١) وإننا الآن نقرأ نص الرواية كما ينقلها صاحب كتاب «البرهان في علوم القرآن» عن كتاب «كمال الدين وتمام النعمة» وللقارئ الكريم أن يرجع مباشرة إلى هٰذا الكتاب.

والشيخ الصدوق رَحِمَهُ اللَّهُ كما تعلمون، وُلِدَ بدعاءٍ خاص من الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه، والإمام الحجة عبّر عنه، عندما بعث رسالة إلى والده، بهذا التعبير النادر وبهذا الوصف العظيم: «إنّهُ سيولد لك ولدٌ مباركٌ ينتفع به».

إذن، هو شخصية مباركة عملاقة استثنائية، كما أن له من المؤلفات ثلاثمائة كتاب، وهذا يشكل رقماً كبيراً جداً في ذاك الوقت، بل حتى في هٰذا الوقت، خاصة لشخصية متعددة الأدوار والمهام والمسؤوليات.

بل إنه أشهر من أن يُذكر أو يوصف أو يُعرّف، فقد كان شيخ الطائفة في زمانه، وحتى أن بعض الرجاليين، يقول: (لم يُرَ في القميين مثلُهُ في حفظهِ وكثرةِ علمهِ، وكان حافظاً للأحاديث، بصيراً بالرجال)[1].

الراوي الثاني: والد الشيخ الصدوق، فإن الشيخ الصدوق يروي هٰذه الرواية عن والده، ووالده أيضاً من الأعلام، والثقات، والمعروفين بالورع، والتقوى، والزهد، ويكفينا ما يقوله النجاشي حوله: (شيخ القميين في عصره، ومتقدمهم، وفقيههم، وثقتهم)[2].

وأيضاً فإن الشيخ الصدوق يروي هٰذه الرواية عن شخصٍ أخر أيضاً، يعني: أن الصدوق يرويها عن شخصين: عن والده، وعن شخص آخر، وذاك الآخر هو بدوره قمّة في الوثاقة والجلالة، وهو:

محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد: ونلاحظ أيضاً، أن كبار علماء الرجال وصفوا هٰذا العظيم بـ(ثقةٌ ثقة)، وليس فقط ثقة، بل: ثقة ثقة، و(عين) وهي عبارة أخرى قوية الدلالة و(مسكون إليه) و(شيخ القميين

(١) الفهرست للشيخ الطوسي قدس سره: باب محمد، ص٢٠٥.
(٢) الاستبصار للشيخ الطوسي قدس سره: ج٤، ص٣٢٦.

وفقيههم، ومتقدمهم، ووجههم)، إلى آخر العبارات التي تشيد بهذا الإنسان العظيم، وهذا كله في الطبقة الثانية.

هؤلاء يروون عمّن؟

إنهم يروون عن:

الراوي الثالث: وهو (سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمّي)، وكان أيضاً في زمانه: (شيخ الطائفة)..

ولاحظوا: أن سلسلة السند كلهم ليسوا علماء أو مراجع عاديين فقط، بل هم أكبر علماء أهل البيت عليهم السلام في زمنهم كابراً عن كابر، وستجدون السند حتى آخره كذلك، فالسند في قمّة الجلالة والصحّة والوثاقة.

وقد وصفه علماء الرجال بـ(شيخ هٰذه الطائفة، وفقيهها، ووجهها)، وكان (سعد بن عبد الله) حتى عند أهل الخلاف محترماً جداً، وكان قد سمع من حديث العامة شيئاً كثيراً، وسافر في طلب العلم، وصنّف كتباً كثيراً وقد وصل إلينا من أسماءها اسم ثلاثين كتاباً. كما أن هٰذا الإنسان العظيم، روى على أقل تقدير (ألف ومائة واثنين وأربعين رواية)، وهناك توجد كلمات كثيرة حول هٰذا الرجل، فلنكتف بهذا القدر.

هذا الراوي ينقل عمّن؟ إنه ينقل عن:

الراوي الرابع: وهو (يعقوب بن يزيد) والذي وقع أيضاً في إسناد «كامل الزيارات»، وهو من مشاهير الثقات، ومن الذين وثقه كبار العلماء، وعبروا عنه: بأنه (ثقة صدوق)، وهي صفة بعد صفة، كان (ثقةً صدوقاً)، وأوصافه وأحواله يمكن أن تراجعوها في كتب الرجال، كما أنه كان من أصحاب الإمام الكاظم، والإمام الرضا، حتى الإمام الهادي (عليهم الصلاة وأزكى السلام).

هذا الرجل العظيم ينقل عمّن؟ إنه ينقل عن:

الراوي الخامس: وهو (محمد بن أبي عُمير)، وهذا الراوي قد جرى ذكرُ خيره في بحث سابق، وهو من (أصحاب الإجماع) كما تعلمون، وكان معروفاً بالزهدِ، والورع، والنُسك، عند العامّة، والخاصة، وإليكم بعض العبارات التي تُنقل في وصف محمد بن أبي عمير: (كان من أوثق الناس عند الخاصة، والعامة، وأنسكهم نُسكا، وأورعهم، وأعبدهم)(١) وقد وصفه الجاحظ في كتابه «فخر قحطان على عدنان»: إنّهُ كانَ واحد أهل زمانهِ في الأشياءِ كُلِها.

هذا الإنسان له هٰذا المستوى الكبير... الكبير.

هذا العالم العظيم ينقل عمَن؟ إنه ينقل عن:

الـراوي السادس: وهو (هشام بن سالم) وقد عبّر عنهُ الرواة، والمؤرخون: بـ(ثقة ثقة)، والشيخ المفيد له عبارة قوية في حق هشام بن سالم؛ إذ يقول عنه: (إنه من الرؤساء والأعلام المأخوذ منهم الحلال، والحرام، والفتيا، والأحكام، الذين لا يُطعن فيهم بشيء، ولا طريقة إلى ذمِ واحدٍ منهم).(٢)

وهشام بن سالم أيضاً من المشهورين في مقامه العلمي، وفي زهده، وورعه، وتقواه، ووثاقته..

ويقع في سلسلة السند ختاماً:

الراوي السابع: وهو (أبو بصير) وهو معروف بمكانته، وجلالة شأنه، وعظمته أيضاً، ومن شواهد جلالة (أبي بصير) أنّ (محمد بن مسلم)

---

(١) الفهرست للشيخ الطوسي قدس سره: ص ١٦٨.

(٢) رجال الشيخ الطوسي قدس سره: ص٣٤٣، ١٤٩

على عظمته وعلى مكانته، في طريق مكة كان يصلي خلفهُ، أي يصلي خلف أبي بصير.

إذن: هٰذا السند من حيث الوثاقة في أعلى درجات الاعتبار.

نص الرواية الصحيحة الأولى:

ولنقرأ الآن الرواية التي رواها هٰؤلاء الأعلام الفطاحل، عيون الأمة وثقات الأئمة، وشيوخ الطائفة، ومراجعها العظمى بل العليا في أزمانهم والرواية طويلة، ونحنُ نقتطف منها موضع الحاجة فقط يقول الإمام عليه السلام في تفسير الآية:

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني: إبراهيم عليه السلام، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ يعني: به علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنّ إبراهيم كان قد دعا الله عز وجل أن يجعل له لسان صدقٍ في الآخرين..)[1] إلى آخر الرواية المُطولة.

فهذه رواية واضحة صريحة صحيحة، بينة في الدلالة على المقصود في المراد بـ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ حيث يُصرّح الإمام (عليه الصلاة وأزكى السلام) في هٰذه الرواية بـ: (يعني به علي بن أبي طالب) (عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام).

الرواية الصحيحة الثانية ونصها:

الرواية الثانية: وهي أيضاً صحيحة السند، وواضحة الدلالة على المقصود، ويرويها علي بن إبراهيم وهو المفسر المعروف الشهير بفضله وجلالته، وقد روى أكثر من سبعة آلاف رواية، كما أن والده وقع في

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٥، ص٥٩. والبرهان في تفسير القرآن وغيرهم عن (كمال الدين وتمام النعمة).

طريق إسناد أكثر من ستة آلاف رواية، هذان العلمان يعدّان من أشهر الأعلام في تاريخ علماء ورواة شيعة أهل البيت عليهم السلام.

علي بن إبراهيم يقول: (﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ يعني: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، من رحمتنا: (رسول الله)، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ يعني: أمير المؤمنين عليه السلام.[1])

قال علي بن إبراهيم وهو الذي وردت في حقه عبارات ذات دلالات عظيمة، مثل: أنّه ثقة في الحديث، ثبتٌ، معتمد، صحيح المذهب، وإن كنّا في غنى عنها لأنه مجمع عليه: (حدثني بذالك أبي عن الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام).

وهذا هو طريق الرواية، أي أن هنالك واسطة واحدة فقط بين الراوي وبين الإمام عليه السلام.

إذن:

أولاً: هناك روايتان صحيحتان حسب هٰذا التتبع الناقص العاجل لا يرقى إليهما الشك، تصرحان بأنّ المقصود بـ: ﴿لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ هو: علي بن أبي طالب (عليه الصلاة وأزكى السلام).

النوع الثاني من الأدلة الروائية

٢ ـ هناك روايات أخرى كثيرة مستفيضة دون شك، وهذه قد لا تكون بقوة الصحيحتين السابقتين وليس لها ذٰلك السند، لكنها تتعاضد فيما بينها، ويجبر بعضها بعضاً.

(١) راجع تفسير علي بن إبراهيم القمي: بتفسير الآية من سورة مريم، وعنه البحار للشيخ المجلسي قدس سره: ج١٢، ص٩٣.

وهي تصرح بوجود اسم الإمام علي عليه سلام الله في القرآن الكريم، أو تذكر الآيات التي تضمنت اسمه المبارك، وللباحث أن يراجع تفسير البرهان و(بحار الأنوار) وغيرها ليطلع على عدد منها.

فإنها روايات مستفيضة، الواحد منها إذا انفرد قد لا يكون حجة، لكنها بتعاضدها تفيد المقصود، وتنتج المطلوب، وبناء العقلاء على حجية مثل ذٰلك أيضاً. ولعل اعتمادهم على (المستفيضة) لا يقل عن اعتمادهم على (الصحيحة).

النوع الثالث من الأدلة الروائية

٣ـ والحديث عنه طويل جداً، ولكن سنكتفي ههنا بالإشارة؛ فإن هناك المئات من الروايات، بل الألوف[1] من الروايات التي تحتوي على الكثير من الروايات صحيحة السند عند الشيعة، وعند السنة، وهي التي وردت حول آيات كثيرة جداً، منها آية (الصادقين) والتي نزلت في علي بن أبي طالب (عليهما الصلاة وأزكى السلام) دون شك، أو أُولت به، أو كانت كناية عنه، فإن المشهور ذكروا أنّها ثلاثمائة وثلاث عشرة آية كريمة، لكن السيد العمّ حفظه الله في كتاب «علي عليه السلام في القرآن» بكلا جزئيه جمع أكثر من خمسمائة آية قرآنية كريمة، وردت فيها روايات كثيرة من طرق الشيعة، ومن طرق السنة، ليس بالعشرات، بل بالمئات، وما جمعه دام ظله يشكل بعض الروايات الشريفة في هٰذا الحقل، ولو قيض الله سبحانه وتعالى من يتفرغ لذلك، ويتتبع بشكل أكثر، فإنه ربما يكتشف أن هٰذه الروايات تصل إلى الألوف، ولعلها مع ما لم يصل بأيدينا منها مما أحرق أو أغرق أو بقي مخطوطاً يبلغ عشرات الألوف.

---

(١) وأضفنا في الهامش وحسب تحقيق بعض أهل الخبرة فإن روايات تحريف القرآن الكريم، بلغت أربعة آلاف رواية في كتب أهل السنة!

كل الطغاة ضد أهل البيت عليهم السلام

رغم أن التاريخ كله والطغاة كلهم كانوا ضد أهل البيت (عليهم من الله السلام) خاصة مع ملاحظة: ما طمس على مرّ التاريخ من أحاديث أهل البيت (عليهم سلام الله).

وتدبروا ولاحظوا هٰذه الكلمة: إن وصول رواية واحدة إلينا يشكل معجزة في حد ذاته، لماذا؟

لأنّ التاريخ كله كان ضدّ أهل البيت عليهم السلام، وكان الحاكم يتخذ سياسة التجهيل المطلق، والتعتيم الإعلامي الشديد، وسياسة البطش والإرهاب بكل مَن يذكر فضيلة لأمير المؤمنين (عليه سلام الله)، بل كثيراً ما كانوا يقتلون الشخص على روايته رواية واحدة يرويها، أو على ذكره فضيلة واحدة لعلي بن أبي طالب (عليهما صلوات الله وسلامه) وإن كانت فضيلة عادية في ظاهرها في زمن معاوية والحجاج وغيرهما، فكيف إذا روى شخص بأنّ القرآن الكريم قد صرّح باسم هٰذا العظيم، تُرى: هٰذا الشخص ماذا كانوا سيفعلون به؟!

وماذا كانوا سيفعلون بعائلته؟!

بل أحياناً ولعلها لم تكن بالقليلة، ماذا صنعوا بأصدقائه بل بكل عشيرته؟!

هذه قرينة عامة على صدق ما وصل إلينا من هٰذه الروايات، بل إننا لا نحتاج للإطمئنان بالصدور حتى إلى رواية واحدة صحيحة، فإنه إذا وصلتنا رواية واحدة فقط، حتى لو لم تكن صحيحة بالمنطق السندي الرجالي، مع هٰذا الجو من الإرهاب العجيب لكفى ذٰلك في بناء العقلاء، فكيف لو كانت هناك ـ حسب التتبع الناقص ـ روايتان صحيحتان

أولاً، وكانت هنالك روايات مستفيضة في خصوص هٰذه الآية القرآنية الكريمة ثانياً.

٥٠٠ آية بل لعلّه ١٠٠٠ آية نزلت في الإمام علي عليه السلام

وكانت هناك أكثر من خمسمائة آية في القرآن الكريم ثالثاً، وربما سمعتُ من السيد العمّ (حفظه الله) بأنّهُ بعدما ألف هٰذا الكتاب «علي عليه السلام في القرآن» بفترة، تتبع بعد ذلك، فوجدَ أنّ الآيات التي نزلت في شأن علي بن أبي طالب عليه السلام، أو أوّلت به بصراحة، أو بالكناية، بلغت هٰذه الآيات ألف آية قرآنية كريمة[1]، هٰذه حقيقة معجزة، أن يصل إلى أيدينا هٰذا الكم الهائل من الروايات رغم كل الإرهاب والتعتيم الإعلامي الشديد والشديد جداً.

وهذا هو الدليل الثالث.. ومن الواضح أن هٰذا الدليل يحتاج إلى سنين من الحديث والكلام أو التأليف والكتابة؛ لأنّه ليس الحديث عن آية أو

(١) وقد أطلعني أحد الطلاب الأفاضل بعد هٰذا الحديث بأيام على كتاب «١٠٠٠ آية نزلت في الإمام علي عليه السلام» علماً بأن اسم الكتاب كما وضعه المؤلف هو «اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية» ومؤلفه هو السيد هاشم البحراني قدس سره الذي قال عنه الشيخ الحر العاملي قدس سره في (أمل الآمال): (فاضل عالم ماهر مدقق فقيه عارف بالتفسير والعربية والرجال) وقال الشيخ عباس القمي قدس سره كما في «سفينة البحار»: (بلغ ـ أي السيد هاشم ـ في القدس والتقوى بمرتبة أن «صاحب الجواهر» قال في بحث العدالة: لو كان معنى العدالة الملكة دون حسن الظاهر فلا يمكن الحكم بعدالة شخص أبداً إلا في مثل المقدس الأردبيلي والسيد هاشم البحراني على ما ينقل في أحوالهما) «راجع سفينة البحار: ٧١٧/٢، وجواهر الكلام: ٢٩٥/١٣ وكتاب «ألف آية نزلت في الإمام علي عليه السلام» يقع في ٥٣٠ صفحة حسب الطبعة التي لدي وقد فرغ المؤلف من تأليفه في ١٠٩٦هـ يوم مولد الرسول صلى الله عليه وآله والإمام الصادق (عليه سلام الله) في ١٧ ربيع الأول، علماً بأن المؤلف الكبير استعرض في هٰذا الكتاب ألف اسم وصفة وردت في القرآن الكريم للإمام علي عليه السلام ولعل اثنين منها أو أكثر اجتمع في آية واحدة، فليلاحظ.

آيتين، وإنما الحديث عن أكثر من خمسمائة آية إلى أن تبلغ ألف آية من القرآن الكريم، بما حولها من ألوف الروايات..

النوع الرابع من الأدلة الروائية

أحد كبار علماء العامة يؤكد أن ﴿عَلِيًّا﴾ عَلَمٌ للإمام علي (عليه سلام الله)

٤ ـ والغريب أنّ بعض كبار علماء العامة صرّحوا بأنّ ﴿عَلِيًّا﴾ في هٰذه الآية الكريمة، يعني علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذا العالم يعدّ من كبار ومشاهير علماء أهل السنة، وهو عبد الله بن الحسن الحسكاني الحنفي المعروف، في كتابه «شواهد التنزيل لقواعد التفضيل» المجلد الأول (حسب طبعة صفحة ٣٥٨ وحسب طبعة أخرى صفحة ٤٦٣) ولاحظوا كم هي حساسة جداً هٰذه المسألة: اسمُ علي بن أبي طالب مذكورٌ بالصراحة في القرآن الكريم!! وكيف يجرؤ عالم سني شهير ويصرح بذلك في كتابه رغم كلِّ الإرهاب الذي يلفُ الأجواء، إلا لو كانت الروايات في هٰذا الحقل من القوة، والمتانة بحيث لم يجدّ بُدا، إلا أن ينقل وأن يذعن للحق، وأن ينشر الحق على رؤوس الأشهاد!!

وإنكم تلاحظون، إنه حتى الآن فإن الكثير من أتباع أهل البيت من علماءهم وعامتهم يحذرون، أو يتقون أن يقولوا بعض هٰذا الذي نقوله الآن، بل إن من يقول ذٰلك قد يتصوره بعض الناس متهوراً فيما يصفه البعض بالشجاعة!! فكيف إذا روى ذٰلك عالم بكري[1] شهير في كتابه، رغم أن الضغط على مثل هٰذا العالم مضاعف كما هو معلوم! وتلك قرينة عقلائية أكيدة عامة على صحة تلك الرواية أو الروايات.

---

(١) نسبة إلى أبي بكر.

يقول في «شواهد التنزيل لقواعد التفضيل»: قال رسول الله ﷺ: «ليلة عُرِجَ بي إلى السماء، حملني جبرائيل على جناحه الأيمن، فقيل لي: مَنْ استخلفته على أهل الأرض؟» وتدبروا في المفارقة الغريبة: أهل السماء يسألون، وأهل الأرض ينكرون؟! ويقولون: لا ضرورة لأن يعين النبي خليفة، بل ربما قالوا ذٰلك لغو! وإلا يناقض ذٰلك صريح (الفطرة) و(الوجدان)!! فإن الأب عندما يسافر هل يترك أولاده سدى، هَمَلاً؟! وماذا عن رئيس الشركة أو مدير المدرسة أو المستشفى أو قائد الجيش، لو سافر دون أن يعين نائباً أو خليفة، ألا يذمه العقلاء؟! وألا يستحق العتاب بل العقاب؟! ولو حدثَ حدثٌ في غيابه من جريمة أو سرقة أو ضياع طفل أو ما أشبه ألا يعد هو المسؤول الأول؟![1] «فقلتُ: خيرَ أهلها لها أهلا، علي بن أبي طالب أخي، وحبيبي، وصهري وابن عمي، فقيل لي: يا محمد أتحبه؟ فقلت: نعم يا ربّ العالمين» ومن هٰذا الجواب يظهر أن: «قيل لي» كانت من رب العزّة والجلال «فقال لي» يعني: الله تبارك اسمه قال لمحمدٍ المصطفى ﷺ ـ: «أحبّهُ وأمُرْ أُمتك بحبه، فإني أنا العلي الأعلى اشتققت له من أسمائي اسما فسميته ـ ماذا؟ ـ علياً، فهبط جبرائيل، فقال: إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: اقرأ، قلت: وما أقرأ؟ قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾».[2]

هذه الرواية ينقلها مَنْ؛ ينقلها هٰذا العالم السني الشهير، وكفى بذلك شاهداً ودليلاً.

---

(١) ثم لو كان تعيين (الخليفة) غير ضروري، وليس من (الحكمة) ولذا لم يعين الرسول ﷺ خليفته، فلماذا عين أبو بكر خليفته؟! ولماذا عين عمر الخليفة وحصره في واحد من ستة؟ إلا أن يصرحوا بأنهم أدرى من رسول الله ﷺ ـ والعياذ بالله ـ بشؤون الأمة!

(٢) شواهد التنزيل للحسكاني: ج١، ص٤٦٣.

ولو تتبع متتبعٌ لوجد أضعاف ما أشرت له ههنا من الروايات في كتب الفريقين، فإنه مع لحاظ أنني لست متفرغاً لهذا الحقل، ولكن مع ذٰلك ومع بعض التتبع وجدت هٰذه الروايات في كتب الفطاحل من الفريقين..

فكيف إذا تتبع الإنسان، وبذل جهداً في ذلك؟ بل كيف لو كانت لا تزال بأيدينا الألوف بل مئات الألوف من الكتب التي أُتلفت؟ كم من كتبنا أُحرقت؟ كم من كتبنا ألقيت في نهر دجلة، والفرات؟ حتى أن النهر تحول إلى نهر أسود من الحبر! تصوروا ذلك، على الرغم من أنّ نهر دجلة، والفرات هما نهران عظيمان، فأي كم هائل من الكتب ولعلها تكون بالملايين كما يبدو، ألقيت في نهر دجلة حتى تتحول مياه النهر الجاري العظيم إلى مياه سوداء ولمدة ثلاثة أيام؟!

هذه الكتب كلها اتلفت، وربما في تلك الكتب توجد أضعاف، أضعاف، أضعاف، أضعاف بل وأكثر مما وصل إلينا من الروايات، ومن الأدلة.

الإرهاب في عصر الحريات! ومنع طباعة «الكافي»!

ولأن الأشياء تعرف بأشباهها كما تعرف بأضدادها، فمن المفيد أن تلاحظوا أنه الآن في عصر العلم والحريات، كيف أن كثيراً من الأحداث يعمّى عليها ويُطمّس عليها، وكيف أن الكتب ممنوعة، الآن «الكافي» الشريف في البلاد الإسلامية غالباً، أو شبه الغالب ممنوع! فكيف بذاك الزمان؟!

فلو وصلت إلينا رواية أو كتاب في فضائل أهل البيت عليهم السلام فكيف بكون الآية الشريفة تتحدث عن علي بن أبي طالب عليه السلام وكون المراد بـ﴿عَلِيًّا﴾ اسمه المبارك ألا يعد ذٰلك معجزة؟!

وألا يعد دليلاً قاطعاً على أن هٰذه الرواية هي واحدة من ألوف أمثالها قد أفلتت من يد (الرقيب الرهيب)؟!

وألا يعد دليلاً واضحاً على قوتها وقطعية صدورها، حتى استطاعت المقاومة واختراق حاجز الزمان، رغم قوته وكثافته عبر مئات السنين؟!

الآن في عصر الحريات، كتاب المسيحي يُطبع ولا يوجد معترض، وكتاب العلماني يطبع ويوزع ولا يوجد مانع أو رادع، بل الكتاب المعادي للدين، بل الكتاب الذي هو ضد الله خالق الكون ﷻ يُطبع، ولا يحرك مسؤول ساكناً[1]، لكن (الكافي) الشريف الذي يتضمن علوماً ومعارف وروايات عن الرسول الأعظم ﷺ، وعن الأئمة الأطهار (عليهم سلام الله وصلواته)، ممنوع!! وصاحب المطبعة لعلّهُ يُجرّم، والذي نشر هٰذا الكتاب، أو وزع هٰذا الكتاب، لعله يُغرّم، والمؤلف إذا كان حاضراً الآن ربما يُحاكم، الآن الوضع هكذا، فكيف في تلك الأزمنة، والضلال مُخيّم والظلام مستحكم وبشكل رهيب، ومع ذٰلك تصلنا هٰذه الروايات؟!

و(أهل الخلاف) ينقلون روايات تناقض العقل والقرآن!!

والآن لننتقل إلى الاتجاه الآخر فنقول: يا أيها الناس! إن أتباع أهل البيت (عليهم سلام الله وصلواته)، لهم هٰذه الروايات الكثيرة الذي أشرنا إليها، وهي غيض من فيض، بل من بحر، بل من محيط، وبعض علماء السنة أيضاً رووا هٰذه الروايات، ومع ذٰلك (يستصعب) البعض أو (يستثقل) نقل هٰذه الروايات! وقد (تخونه الشجاعة) إن أراد نقلها أو الدفاع عنها! مع أن (الله يحب المؤمن الشجاع)!

(١) بل لعل بعض البلاد التي تسمى إسلامية، تشجع وتدعم طباعة هٰذه الكتب.

ولكن اذهبوا الآن إلى أتباع السقيفة، وانظروا إلى الكثير من (أتباع السقيفة) وكيف أنهم يروون الرواية التي تناقض العقل أولاً، وتناقض القرآن الكريم بالصراحة ثانياً، وتناقض الذوق السليم ثالثاً، وتناقض الفطرة رابعاً، وتناقض حتى (الأعراف) خامساً؟! وتأملوا كيف إنهم يروون هٰذه الروايات ويروّجون لها، وبكل قوة، بل ترى هٰذه الروايات موجودة في «البخاري» ولا يحسون بأي حرج من الدعوة «للبخاري» والترويج له كأعظم كتاب بعد القرآن الكريم؟!!

والآن لننقل لكم إحدى الروايات المخالفة لصريح العقل، ولصريح النقل، بل المخالفة للقرآن الكريم بالصراحة، ومع ذٰلك ينقلها البخاري في «صحيحه»! و«البخاري» يعتبرونه كتاباً صحيحاً لا ريب فيه، ومن حيث الصحة والعظمة تأتي مرتبته عندهم بعد القرآن الكريم مباشرةً.

«البخاري» يروي: اللّٰه يضع رجله في النار فتمتلئ!!

الرواية تقول: بأنّ النار تطلب المزيد والمزيد وهذا موجود ولا كلام عليه إذ يقول الله: ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ وماذا بعد ذلك؟ الجواب هو وحسب صريح رواية البخاري الذي هو أصح كتبهم، والذي يحفظ «البخاري» يعطوه من الجوائز كذا وكذا: إن الله ﷻ بعد ذاك يُخرج رجله، ويضعها في النار فتمتلئ[1]!!

(١) في البخاري باب كامل تحت هٰذا الاسم (٣٣٣ ـ باب قوله: (وتقول هل من مزيد)، حديث ٤٥٦٧ ـ حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا حرمي بن عمارة حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس عن النبي (صلى الله عليه ـوآلهـ وسلم) قال: (يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فتقول: قط قط) والحديث ٤٥٦٨ ـ ٤٥٦٩ ـ حدثنا محمد بن موسى القطان حدثنا أبو سفيان الحميري سعيد بن يحيى بن مهدي حدثنا عوف عن محمد عن أبي هريرة رفعه وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان: (يقال لجهنم: هل امتلأت وتقول هل من مزيد فيضع الربﷻ قدمه عليها فتقول قط قط)، والحديث في الصحيحين (البخاري ومسلم) ٤٥٦٩ ـ حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال: قال النبي (صلى الله عليه ـوآلهـ وسلم):

أليس هٰذا مخالفاً لصريح القرآن الكريم؟!

فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وهذا نص قرآني صريح لا لبس فيه، وهذه الرواية تخالف صريح القرآن الكريم، ومع ذٰلك يروونها وبكل قوة!!

نحنُ إذا قلنا: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ إن ﴿عَلِيًّا﴾ اسم علم، وهو علي بن أبي طالب، تعترض، وتحتج، وتقيم الدنيا ولا تقعدها؟! مع أن هٰذا لا يخالف القرآن أبداً، ولا يخالف شيئاً من الأدلة إطلاقاً، فلا هو خلاف للعقل، ولا هو خلاف للنقل، بل هو مطابق للأدلة العامة الثابتة حول مكانة علي (عليه سلام الله) وفضائله، ومنزلة علي في الآيات والروايات المتواترة والصحيحة، كما أنه مطابق للأدلة والشواهد الخاصة، من الروايات، والأدلة العقلية، والقرآنية على ذٰلك في خصوص هٰذه الآية الشريفة.

ثم أنتم يا أهل الخلاف، تخالفون القرآن والعقل بالصراحة، وتعتبرون هٰذه الرواية أي رواية (فتمتلئ): يضع الله رجله في النار رواية صحيحة، وكذلك أشباهها، وتنسون أو تتناسون قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

(تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم. قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي. وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها. فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً. وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون.. رقم ٢٨٤٦

ثم أو ليس هٰذا استخفافاً بالعقل البشري؛ الله يضع رجله في جهنم يعني ماذا؟! ولماذا لا يضع (حجراً) أو (جبلاً) مثلاً حتى تمتلئ؟! ما لكم كيف تحكمون، أم على الله تعالى تفترون؟

وإليكم رواية أخرى ـ بنفس المضمون ـ يرويها البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ والرواية طويلة، اقتطف منها موضع الشاهد قال: (فأمّا الجنة فإنّ الله لا يظلم من خلقه أحداً يعني يدخل الجميع في الجنة، ـ طبعاً المستحقين ـ وإنّهُ يُنشئُ للنارِ ما يشاء ـ ولنا على هٰذا المقطع تعليق نتركه لوقت آخر ـ فَيُلقَونَ فيها، فتقول: هل من مزيد ثلاثاً؟ حتى يضع فيها قدمه، فتمتلئ.

الله يضع قدمه في النار فتمتلئ النار، وتكتفي عندئذٍ!

ومع قطع النظر عن مخالفة ذٰلك لصريح العقل ولصريح القرآن الكريم كما سبق، نتساءل هل هٰذا يطابق الذوق السليم!

إذا أراد الله أن يملئ جهنم ألا يوجد هنالك إلا رجله؟!

ولماذا لا يضع فيها (الجبال) مثلاً؟!

أو (الكرات الأخرى)؟!

أو (أطنان الحديد والفولاذ)؟!

ثم أنت تريد أن يدخلك الله في الجنة، لكنك تدخل رجل الله في النار، ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾؟!

وهذه الرواية وأشباهها مما ينافر العقل والنص والذوق، ليست بالقليلة، ولنترك التفصيل لموضع آخر..

لا استحالة ذاتية، ولا وقوعية، ولا قبح؛ بل (الحكمة) في إرادة علي بن أبي طالب عليه السلام

ولنعد إلى الآية الشريفة، ولنطرق المسألة بطريق آخر، ولنعرض نوعاً آخر من البرهان قبل أن ننتقل إلى استعراض الشواهد القرآنية المباشرة في هٰذه الآية المباركة، وهذا مع قطع النظر عن هٰذه الأحاديث، فنقول:

إن مَن يقول: إن قوله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ يعني علي بن أبي طالب عليه السلام، هل قال أمراً مستحيلاً ذاتياً، أو مستحيلاً وقوعياً؟ يعني: هل من المستحيل على الله تعالى أن يقصد بـ: ﴿عَلِيًّا﴾ علي بن أبي طالب (سلام الله عليهما) استحالة ذاتية، أي كاستحالة اجتماع النقيضين، أو ارتفاع النقيضين؟

أم هل توجد استحالة وقوعية، فهل (قبيح) على الله تعالى أن يقصد بـ﴿عَلِيًّا﴾ علي بن أبي طالب عليه السلام، حتى تكون الاستحالة وقوعية؟

وأين وجه القبح؛ أو ليس علي هو باب علم رسول الله (صلى الله عليهما وآلهما)، وأليس علي هو مَنْ قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أقضاكم علي**»، و: «**أعلمكم علي**»، وقال فيه: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**»؟[1]

إن: علي بن أبي طالب هو مفخرة للبشرية، إن علياً هو الذي وردت فيه الآية القرآنية: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ يوم المباهلة، فهو نفس رسول الله، فأين القبح ـ لا قبحك الله ـ لو كان المراد بلسان الصدق للأنبياء هو

(١) هٰذه الروايات والعشرات بل المئات غيرها من المشهورات في كتب المسلمين جميعاً..

علي بن أبي طالب؟! إن ذلك: (لو كنتم تعقلون) ليس بقبيح، وليس بمستحيل، بل هو المستملح، والجيد، والمحبذ، واللطيف.

نعم، ذٰلك ليس بالقبيح، بل هو عين الحسَن وعين الجمال وعين الكمال وعين الحكمة... لكن «البخاري»، يأتي بروايات هي في غاية القُبح، هي في غاية البُعد، هي في غاية الاستحالة ومع ذلك يعتز بها، وتعتزون بها بل وتتبجحون!! ما أغرب ذلك.. وإن عشت أراك الدهر عجباً...

«البخاري» يروي: الحبر اليهودي يتكلم والرسول الأعظم يؤيد!

والآن لنستشهد على ذٰلك بشاهد آخر، وننتقل إلى رواية أخرى من روايات «البخاري»، لتقارنوا رواياتهم برواياتنا؛ لأنّ الأشياء تُعرف بأضدادها، كما تعرف بأشباهها.. لاحظوا «البخاري» ماذا يقول عن الله ﷻ، وهذه الروايات موجودة في كتب أخرى عديدة من كتبهم أيضاً، ولكن يكفينا الآن نقلها عن البخاري، والغريب أن «البخاري» يرويها عن (حبر يهودي)، فإن الحبر يكون يهودياً؛ إذ هو (مفرد وجمعه أحبار) وهو (واحد أحبار اليهود وهو القائم الذي صناعته تحبير المعاني)[1] وإن قال البعض أنه: (رئيس ديني عند المسيحين، أسقف، مطران)[2] تصوروا حبراً يهودياً[3] يأتي إلى رسول الله ﷺ ثم يسند إلى الله تعالى أمراً غريباً، بل في واقع الأمر يدعي على الله تعالى أمراً مستحيلاً؛ لأنّ الله تعالى ليس بجسم، ثم يؤيده رسول الله ﷺ!! ومع ذٰلك نجد «البخاري» بكل جرأة

---

(١) مجمع البحرين: ج١، ص٤٤٤، مادة حبر.
(٢) المنجد: مادة حبر.
(٣) أو حبراً مسيحياً، لا فرق.

على الله ورسوله، ينقلها هنا وينقلها في مكان آخر، كما ينقلها مسلم في صحيحه، وهناك مصادر أخرى ترويها، لا ضرورة لذكرها الآن.

محاكمة رواية: «اللّٰه يضع السماء على إصبع والأنهار على إصبع»!

ففي كتاب التوحيد، باب ٢٥ ما جاء من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾،[1] الرواية تقول: «جاء حبر (أي أحد علماء اليهود) إلى رسول الله فقال: يا محمد، إنّ الله يضع السماء على إصبع» إذن الله أصبح جسماً يتركب من أجزاء ومنها الإصبع!! والله يستحيل عقلاً أن يكون جسماً؛ لأنّه لو كان جسماً، لكان مركباً من الأجزاء[2] فكان محتاجاً إليها، فلم يكن إلهاً لكونه محتاجاً للغير، كما يلزم منه التسلسل، ولوضوح أن ما بالغير لابد أن ينتهي إلى ما بالذات.

ثم إنه لو كان جسماً لكان في حيّز وفي مكان، فكان محدوداً، فاستحال أن يكون إلهاً؛ لأن الإلٰه لا متناهي مطلق، وإلا لتركب وإحتاج.

إضافة إلى أنه يلزم من ذلك: أن يكون جل اسمه في مكان دون مكان، وموضع دون موضع، وهو معارض صريح لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.[3]

---

(١) البخاري: حديث ٧٤٥١ باب إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ـ حدثنا موسى حدثنا أبو عوانة عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: جاء حبر إلى رسول الله (صلى الله عليه ـوآلهـ وسلم) فقال: يا محمد، إن الله يضع السماء على إصبع، والأرض على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر والأنهار على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يقول بيده: أنا الملك، فضحك رسول الله (صلى الله عليه ـوآلهـ وسلم) وقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾..

(٢) أي مركباً من الذرّات سواء على شكل خلايا ونواة أم غيرها.

(٣) الحديد: ٤.

إضافة إلى مناقضة وجود إصبع لله، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]، «فقال يا محمد: إن الله يضع السماء على إصبع، والأرض على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر والأنهار على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع».

ولاحظوا هنا أنه لا يوجد (توازن)، ولا (حكمة) في هٰذا التوزيع الغريب، فمع قطع النظر عن الاستحالة، نقول: كيف تقول الرواية: إن (السماء) بما فيها من المجرات العملاقة بحيث أن (الأرض) إذا قيست إليها فستكون كحبة رمل ضئيلة في الصحراء الواسعة، فهذه السماء التي تشمل مجرة درب التبانة، والتي تعد بدورها كقطرة في بحر السماوات الأخرى، هٰذه السماء يجعلها الرب على إصبع، و(الأرض الصغيرة) يجعلها على إصبع!! علماً أن الأرض هي جزء من تلك المنظومة، ثم (الأشجار) وهي جزء صغير من الأرض، يجعلها على إصبع لماذا؟! وما هٰذا التوازن (الشجرة) على إصبع، أو (الشجر والأنهار) حسب اختلاف الروايات! و(الماء والثرى) يجعلها على إصبع! وهل الثرى وهو التراب إلا جزء من الأرض! فكيف أو لماذا يضع الأرض على إصبع والتراب على إصبع؟. و(سائر الخلق) يجعلهم على إصبع، «ثم يقول بيده أنا الملك».

وفي رواية أخرى: «أنا الملك، أنا الملك».

أليست هٰذه الطريقة في تصوير الله ﷻ، طريقة الكتب الخرافية والخيالية؟! هٰذه تُذكر في كتاب يعتبرونه بعد القرآن الكريم أعظم كتاب في الكون! والرجل عندهم في غاية الجلالة! ويعتبرون هٰذا الكتاب صحيحاً! ثم يعكفون عليه، يدرسونه ويدرّسونه ويعطون الجوائز لمن حفظ هٰذا الكتاب!!

(١) الشورى: ١١.

ونعود إلى تتمة الرواية: «ثم يقول بيده أنا الملك، فضحك رسول الله وقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾»

وإنني عندما قرأت هٰذه الرواية كما هي موجودة في الرقم ٧٤٥١ من «البخاري»، وتأملت فيها، فرأيت أنه يمكن لمتمحّل أن يوجه حكاية (فضحك رسول الله)، ويقول: يعني أنه ﷺ ضحك من سخافة عقل اليهودي، أصحيحٌ أم لا؟ وهذا احتمال، وقد يتمسك به متشبث، ويستدل بذيل الرواية وأن الرسول بعد أن ضحك، قرأ الآية: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[1] إذن الآية ترد كل ذاك الكلام، إذ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ﴾ حيث إنهم صوروا الله بهذه الصورة وأنه يضع السماء على إصبع، والأنهار والأشجار على إصبع.

إذن، قد يدافع شخص عن «البخاري» وروايته الغريبة بأنه نقل قول اليهودي، لكن رسول الله ضحك عليه! لكن البخاري بنفسه يكذّب هٰذا الاحتمال وهذا الاستدلال، فلاحظوا (الرواية الثانية) حسب إحدى الطبعات في الصفحة ١٠٠٦ من «البخاري»، كتاب التفسير سورة الزمر، باب٢، قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ رقم الحديث: ٤٨١١، وكذلك توجد في الرقم ٧٥١٣، فإن نفس الرواية تُنقل مع اختلاف في (التوزيع الجغرافي)! يعني هناك قال: (الشجر والأنهار على إصبع)، لكن في هٰذه الرواية (والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع) وهل الثرى إلا جزءً من الأرض؟! فإن الثرى: هو التراب النديّ وهو الذي تحت الظاهر من وجه الأرض، فإن لم يكن، فهو تراب وليس ثرى[2]، ولماذا يجعل ويفرز الله خصوص (الثرى) دون التراب والمعادن، وسائر ما في باطن الأرض، أو ما على ظاهرها؟!

---

(١) الأنعام: ٩١.

(٢) مجمع البحرين مادة ثرى.

ثم إنك تجد في الرواية ٧٥١٣ تقسيماً رباعياً إذ هي: (.. جعل الله السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والماء والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يهزهن..) وفي سائر الروايات تجد التقسيم خماسياً؟!

وعلى أي تقدير يقول: (فضحك النبي حتى بدت نواجذهُ تصديقاً لقول الحبر).[1]

وفي الرواية ٧٤١٤ من باب قوله تعالى: (لما خلقت بيدي) (... فضحك رسول الله تعجباً وتصديقاً له)!

وماذا تعني هٰذه الرواية؟ هل تعني أن النبي يأخذ الوحي وأخبار المغيبات من الحبر اليهودي، وإن ناقض صريح العقل وصريح الآيات القرآن الأخرى؟!

وما هي (الرسالة) التي توحي بها هٰذه الرواية، ولماذا (تصديقاً لقول الحبر)؟! وهل هو نوع تأكيد مبطن لما قاله المشركون: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ حيث إتهم المشركون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يأخذ الوحي والقرآن من علماء اليهود والمسيحيين؟!

(١) ٤٥٣٣ ـ حدثنا آدم حدثنا شيبان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله (صلى الله عليه ـوآلهـ وسلم) فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلائق على إصبع فيقول أنا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وـآلهـ وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله (صلى الله عليه ـوآلهـ وسلم): ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾، وأخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم كتاب صفة القيامة والجنة والنار رقم ٢٧٨٦.

لاحظوا ـ مرة أخرى ـ الرواية: فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذهُ تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾..

وهذه الرواية أيضاً موجودة في صحيح مسلم وفي مصادر عديدة مختلفة لدى القوم.

ولنتوقف عند هٰذه المفارقة الغريبة، فإن (أهل الخلاف) في «الصحيح» عندهم، وفي غير الصحيح، ينقلون روايات تخالف صريح القرآن الكريم وتخالف صريح العقل، وتخالف صريح النقل، وتخالف الذوق، وتخالف الموازين العقلية والنقلية، ومع ذٰلك لا (يتحرجون) من طرحها والترويج لها، وأما بعضنا فماذا يعمل؛ فعلى الرغم من وجود روايات صحاح أولاً، وأخرى مستفيضة ثانياً، ومتواترة مضموناً ثالثاً، وقد رواها بعض علماء أهل السنة ونقلوها أيضاً رابعاً، وكلها تدل على أن ﴿عَلِيًّا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ هو علي ابن أبي طالب عليه السلام، ومع ذٰلك (يتحرج) البعض من طرحها أو حتى من سماعها!!

أليس ذٰلك من أعجب العجائب وأغرب الغرائب؟!

تسعة أدلة قرآنية على أن ﴿عَلِيًّا﴾ في الآية هو أمير المؤمنين الإمام علي (عليه سلام الله)

والآن لننتقل إلى (الأدلة) و(الشواهد) و(القرائن) العامة أو الخاصة الدالة على أن المقصود بـ﴿عَلِيًّا﴾ في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾(١) هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فإن القرائن والشواهد المستفادة والمنتزعة من نفس الآية الشريفة والآيات

(١) مريم: ٥٠.

المحيطة بها، الدالة على أن: ﴿عَلِيّـًا﴾ هنا ليس صفةً وإنما هو علم، هي متعددة وهي أكثر من عشرة، نذكر بعضها، وهي تتوزع ما بين الشواهد من نفس (المفردات) في الآية الكريمة، وبين الشواهد من (السياق والجو العام).

١. (اللسان) يُكنى به عن الشخص عادة

الشاهد الأول: وهو من المفردات نلاحظه في آية: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّـًا﴾ فإن كلمة ﴿لِسَانَ﴾ عادة يُكنَّى بها عن الشخص؛ إذ أن المعنى الحقيقي ليس هو المراد في الآية كما هو واضح، إذ لا يقصد: جعلنا لهم هٰذا اللسان أي القطعة من اللحم الموجودة في الفم؛ لأن هٰذا غير مُراد قطعاً.

فالمراد هو: المعنى المجازي لا الحقيقي للسان، ولكن ما هو المعنى المجازي هنا؟

فإنه يحتمل أن يراد به (شخصاً ذا لسان صدق) كما نستظهر، وتدل عليه الروايات الصحيحة السابقة، وكما تدل عليه الأدلة والقرائن القرآنية اللاحقة، ويحتمل أن يُراد به (الذكر الحسن) كما تقولون، ويقول به جمع من العلماء.

لكن المشكلة والإشكال في هٰذا الاحتمال هو أن (اللسان) لا يكنى به عن الذكر الحسن عادةً، وإنما يُكنى به عن الشخص عادةً، تقول: (فلان لساني الناطق) أو (لساني في القوم)، هٰكذا يقولون عادةً، فـ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ يعني شخصاً ذا لسان صدق، أنتم ابحثوا في الأعراف وستلاحظون أنهم لا يكنون عن المعنى أي السمعة والذكر الحسن باللسان، وإنما يكنى به عن الشخص، تقول: (فلان هو لساني الناطق،

أو يدي الباطشة، أو عيني الناظرة)، ولا تقول فيما اذا أردت بيان: إن سمعتك حسنة، (إن لسانك حسن).

فهذه هي القرينة الأولى: أن (اللسان) يُكنى به عن الشخص عادةً، وإذا أرادوا (الذكر الحسن)، فإنهم يقولون: (سمعة حسنة أو جيدة) مثلاً، ولا يقولون: لسان حسن أو جيد.

والأمر في الطلب والدعاء كذلك ظاهراً؛ إذ تطلب: (رب اجعل لي سمعة حسنة) ولا تقول: (رب اجعل لي لساناً حسناً) قاصداً سمعة حسنة.

والكلام في الاستظهار وليس الامتناع للقسيم.

سلمنا فرضاً لكن نقول: لو ثبت الإمكان والحسن، فإنه لا مانعة جمع من إرادتهما معاً، فإنه لا تنافي بينهما، كظهر وكبطن، بل كمصداقين أو صنفين للكلي فإنه على تقدير صحة وحسن التكنية عن الشخص باللسان، فإن الأشمل والأكمل والأفضل في طلب إبراهيم (على نبينا وآله وعليه السلام)[1]، أن يطلبهما معاً أي أن يطلب شخصاً من ذريته يكون ذا لسان صدق وأن يطلب السمعة والذكر الحسن، وأن يكون إجابة الطلب[2] بأن يمنحه الله تعالى الحُسنيين معاً، ومن الروعة والجمال أن يجمعهما إبراهيم (على نبينا وآله وعليه سلام الله) في طلبه والله تعالى في إستجابته وهبته، في جملة واحدة؛ فإن خير الكلام ما قل ودل، وقد اسهبنا في «مباحث الأصول كتاب القطع» وفي كتاب «قاعدة الملازمة بين حكمي العقل والشرع» وكتاب «الضوابط الكلية لضمان الإصابة في الأحكام العقلية» في الحديث حول الوجوه المتصورة للجمع بين الباطن

(١) في قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾.
(٢) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾.

والظاهر، ولإرادة أكثر من معنى من لفظ واحد، كما برهنّا إمكانه، فليلاحظ، وليتأمل.

٢. اللسان لا يوصف بـ(علي) عادة

القرينة الثانية: إن (اللسان) لا يوصف بـ(علي)، ذلك أن اللسان قد يوصف بـ(طويل)، فيقال: فلان لسانه طويل، لكن هل سمعت أحداً يقول: (فلان لسانه عَلِيٌّ)؟ إنني لم أسمع، وبحثت فما وجدت، فإذا أحد سمع فليخبرنا، ونحن كلنا عرب ولله الحمد، وعندنا كتب اللغة، وعندنا العرف، هل سمعتم احداً يقول: (فلان لسانه علي)؟ إنهم يقولون: لسانه طويل، أو لسانه بذيء مثلاً، أو لسانه عذب، أما: لسان علي!! فليس من المعهود توصيف (اللسان) بـ(علي).

وفي الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ فإنه وحسب كلامك الذي تقوله: فإن ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ يعني الذكر الحسن، والحال أن (اللسان) لا يُوصف بعلي، وهو مستبعد لغةً، كما لا يوصف (الذكر الحسن) بـ(علي) أيضاً.

والحاصل هو: أن القرينة الأولى، هي كلمة (لسان) نفسها؛ إذ أن اللسان يُكنى به عن الشخص، وليس عن المعنى عادةً، حتى لو فرض أنه ليس مستقبحاً، أما القرينة الثانية فقد يقال: إنها تنتج (قبح إرادة الصفة) فإن (علياً) لا يطلق على اللسان ولا يُوصف اللسان بالعلي، وإنما يوصف بالعذب، أو ما أشبه ذلك من الألفاظ، فتأمل والله العالم..

٣. (جعلنا) هنا، هي نظير (اجعل لي وزيراً)

القرينة الثالثة: ترتكز على كلمة ﴿وَٱجْعَل﴾ ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾، حيث إننا عندما نتدبر في ﴿وَٱجْعَل﴾ هذه، وعندما نقارنها بـ﴿وَٱجْعَل﴾

أخرى في القرآن الكريم، نرى الوزان، وزاناً واحداً، والقرآن يُفسر بعضهُ بعضاً، فلاحظوا الآية القرآنية الكريمة الأُخرى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي﴾[١]

ولو كانت الآية هكذا: (واجعل لي وزيراً من أهلي علياً)، فهل يصح لواحد أن يقول: (علياً)، يعني عالياً؟ مع أنه ممكن نقول له: كلا؛ لأن الوزير لا يُوصف بالعالي والعلي، صحيح أم لا؟ كما أن اللسان لا يُوصف بـ(عالياً) و(علياً): ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾..

وفي آيتنا الشريفة فإن: ﴿لِسَانَ صِدۡقٍ﴾ تعادل: ﴿وَزِيرٗا﴾ في: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي﴾ و: (علياً) تعادل ﴿هَٰرُونَ أَخِي﴾، لاحظوا السياق، ولاحظوا البيان، (اجعل) أو (جعلنا)[٢] ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي﴾، وهنا يقول: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ فهذه تقابل تلك، وتلك تقابل تلك، وهذه هي القرينة الثالثة في الآية القرآنية الشريفة.

وجعلنا لهم لسان صدق عمرَا!

وإليكم هٰذه اللفتة اللطيفة قبل التطرق للقرائن الأخرى، لاحظوا؛ فلو أن هٰذه الآية القرآنية الكريمة كانت فرضاً[٣] هكذا: (ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عمر)! فما الذي كان سيحدث؟ كانوا يملأون الدنيا ضجيجاً وعجيجاً بأن المراد به (ابن الخطاب)، وأن (عمر) هنا اسم علم وليس صفة أي (عامراً)، لأن اللسان لا يوصف بـ(العامر)! فكيف (باؤكم) المتوهمة تجر و(باؤنا) الحقيقية لا تجر؟! ولكن لأنّ

---

(١) طه: ٣٠.

(٢) وهناك المزيد من البحث في هذين اللفظين: ﴿لِسَانَ صِدۡقٍ﴾ و﴿عَلِيّٗا﴾، وهل هما مفعولان أو الثاني بدل، أو ماذا؟ وربما نتطرق في المستقبل إلى تفصيل أكثر لذلك لاحقاً، بإذن الله تعالى.

(٣) وفرض المحال ليس بمحال كقوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

تلك هي مكرمة لـ(علي بن أبي طالب عليه السلام) فيجب أن يُقصقص اسمه المبارك، ويجب أن يعمل فيه مقص الرقيب!

صحبة أبي بكر في الغار للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فضيلة أم رذيلة؟

والدليل على ذلك، إنّ الله تعالى قال أمراً ليس له ربط بمقصودهم، ولا دلالة له على مرادهم أبداً، ولكن مع ذٰلك تراهم قد رفعوه علماً وراية وسوطاً على رؤوس العالمين!! وذلك في آية الغار، يقول الله تعالى في الآية القرآنية: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] فهم من ألف وأربعمائة سنة يقرعون العالم بكلمة (صاحبه)، والحال أنها:

أولاً: ليست مكرمة أو فضيلة، فإن المؤمن قد (يصحب) الفاسق، والفاسق (يصحب) المؤمن، هٰذه ليست فضيلة، فإن (الصحبة) بما هي هي لا هي دليل خير ولا هي دليل شر، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ﴾؟ والله يقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[2]، فإن معية الله هي لكل شيء للفاسق والمؤمن، وللحيوان والنبات والجماد، ولكل الأشياء.. والله كان مع نمرود، ومع فرعون، ومع هامان، وقارون؛ فإنهم لم يكونوا غائبين عن الله تعالى، بل كان معهم حيثما كانوا وأين ما كانوا، كما هو (مع) كل شيء وقبله وبعده، إذن هٰذه ليست فضيلة أولاً.

---

(١) التوبة: ٤٠.

(٢) الحديد: ٤.

وثانياً: إن الآية تنادى بصوت عال بأنها ليست فضيلة، بل هذه المعية رذيلة وأية رذيلة! لاحظوا قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ ولم يقل (عليهما) أي أنزل الله سكينته على أحدهما، وليس على الاثنين، ونسأل: نزلت السكينة على مَنْ منهما؟ وهذا واضح، إلا إذا كنت تُفضِّل ذاك الرجل على رسول الله ﷺ والعياذ بالله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ وليس (عليهما) ولاحظوا أيضاً، أن الله تعالى في البداية يقول: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ فيؤكد مفهوم الإثنينية، لكنه يرجع الضمير إلى أحدهما فقط، فالضمير أصبح مفرداً، سواء في (أنزل سكينته) حيث خصه برسول الله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ أم في (التأييد): ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾.

ولاحظوا مرة أخرى المفارقة: فإن الله تعالى يؤكد أنهما إثنان، و: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ ومع ذلك يحصر إنزال السكينة على أحدهما فقط، ويحصر التأييد بأحدهما فقط، وبذلك تظهر مذمة هذا (الصاحب) بشكل واضح جلي... ومع ذلك يقولون هذه فضيلة لأبي بكر وأية فضيلة؟!!

فكيف إذا كان الله يقول: (وجعلنا لهم لسان صدق عمر) أو (أبا بكرٍ) ما الذي كان سيحدث؟ أما علي بن أبي طالب (عليهما الصلاة وأزكى السلام)، وهو العظيم في السماوات العلى، فإنه مجهول القدر عندنا، إلى درجة أن بعضنا يستصعب حتى ذكر فضائله، رغم مختلف الشواهد عليها... فإنا لله وإنا إليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل.

المشكلة في قابلية القابل!

والحقيقة: إن من عجائب صنع الله سبحانه وتعالى إن صحّ هذا التعبير أن بعث فينا محمداً المصطفى رسولاً، وعيّن علياً المرتضى وصياً، وحكم بكونه

وأبناءه الأطهار وصولاً للإمام المهدي عجل الله فرجه خلفاءه، رغم أننا لا نستحق ولا نستاهل!! فكروا لماذا سيد الكائنات المهدي المنتظر عجل الله فرجه غائب الآن؟! أليس لأننا لا أهلية لنا، ولا توجد فينا قابلية؟ وما ذلك إلا من عظيم لطف الله الذي يشمل حتى من لا يستحق، ولا يستأهل حقيقة.

وفكروا مرة أخرى: أين الثلاثمائة والثلاثة عشر رجلاً؟ إنهم إذا كانوا موجودين وهؤلاء هم مَن لهم القابلية فقط، لكان الإمام يظهر، لكن.. ويا للغرابة ويا للأسى والأسف، في كل الستة مليارات من البشر لا يوجد حتى ثلاثمائة وثلاثة عشر شخصاً ممن يرتضيهم الله حقاً، ما معنى هذا؟! ستة مليارات من البشر يعيشون، ويتنعمون بنعم الله تبارك وتعالى، لكن ليست لهم قابلية ليتعرفوا مباشرة على خليفته في أرضه، بعد أن قتل أسلافُهم أنبياءَ الله ورسله والأوصياء على امتداد التاريخ، ولكن مع ذلك ورغم الجحود والكفران، جعل الله تعالى أفضل خلائقه من البشر وجعلهم في أرضه وجعله بينهم، وإن كان غائباً، أليس ذلك من عظيم فضل الله ولطفه وكرمه؟!

ولكن هل شكرنا النعمة؟!

أم جحدنا حق الأوصياء والأولياء؟!

وجحدنا كراماتهم وفضائلهم ومناقبهم؟! وإلى متى؟!

لنرجع مرة أخرى للآية الشريفة:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ ونؤكد إذا كان اسم شخص آخر هو المذكور هنا وإن احتمل كونه صفة ما الذي كانوا يصنعون؟ لكن حيثُ هو علي بن أبي طالب عليه السلام ورغم أن لدينا أكثر من رواية صحيحة على ذلك، إلا أنه حيث أننا لا قابلية لنا؛ ولذلك تجد البعض، بل الكثير (يتلجلج) أو (يتخوف) أو (يحتاط) أو ما أشبه من

ذلك، من العناوين الأولية، أو الثانوية، أو الثالثية، أو العاشرية، إن صحَّ هٰذا التعبير!!

والحق أقول لكم: أنه لا يوجد مجال للتقية ولا للخوف أبداً... وإنهم على الباطل الواضح الصريح، ومع ذٰلك يروجون لباطلهم بكل وضوح ودون خوف أو وجل!

لكن ماذا عن بعضنا رغم علمه بأنه على الحق؟!

عائشة تصرح بوجود أخطاء في القرآن!

وهذا نموذج آخر نسوقه عن (عائشة) فلاحظوا جيداً ماذا تقول؛ وهذه الرواية حسب إسنادهم صحيحة، فإن السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» ـ حسب الطبعة التي رأيتها ـ المجلد الأول صفحة ٥٣٦ الرقم ٣٤٨٢، يقول: هٰذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ماذا يقول؟ قال: سألت عائشة عن لحن القرآن عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾.[1]

وستعرفون بوضوح من هٰذه الرواية الصحيحة عند علماء السنة على شرط الشيخين: أن عائشة كانت (تجهل) النحو وقواعده، ولا تعرف القرآن وتفسيره، ثم هي تتجرأ على القرآن، فتعتبره محرفاً وتكذِّب القرآن ـ والعياذ بالله ـ حسب هٰذه الرواية الصحيحة عندهم...

ونقول: لماذا هنا لا تعترضون يا أهل العامة؟!

لكن عندما نقول لكم: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ يعني علي بن أبي طالب عليه السلام ورغم أنه لا يخالف العقل ولا النقل، بل تعضده مئات الروايات المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تأييد علي بن أبي طالب عليه السلام

(١) طه: ٦٣.

في مدحه والثناء عليه، والشكوى من الأمة لإعراضهم عنه، فإنكم تستوحشون من كلامنا!! أما هٰذه التي تصرح بتحريف القرآن العظيم، فلا تستوحشون منها؛ لأن اسمها عائشة!!.

ثم إن عائشة تخطِّئ القرآن بالصراحة لأنّها لم تقرأ حتى أبجديات علم النحو، فتقول بأن هٰذا القرآن الموجود بأيدينا، محرَّف؟!

الرواية: قال: **سألت عائشة عن لحن القرآن (يعني خطأ القرآن)**[1] **في قوله تعالى:** ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [فقد توهم السائل وأخطأت عائشة حيث تصورت أنه يجب أن تكون (هذين) يعني: (إن هذين لساحران) لأن (إن) تنصب الاسم وترفع الخبر، ولكن عائشة لا تعرف الجواب ولا تعرف القواعد النحوية، فتحكم بخطأ القرآن الموجود بين أيدينا والحال أن الجواب واضح وهو: أنّ (إِنْ) هنا بمعنى نعم، وليست هي (إنَّ) وأخواتها، (إن) يعني: (نعم هذان لساحران)] **وعن قوله تعالى:** ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[2] [وهنا أيضاً عائشة تخطِّئ القرآن بدل أن تعترف بجهلها على الأقل، أو ترجع السائل للعلماء بالقرآن ولأهل القرآن، والجواب عن هٰذه الشبهة: أن هٰذه على القطع، للإلفات، يعني الله قطع الكلام للالفات، وهذا الالفات ونظائره يتكرر كثيراً في القرآن الكريم] **وعن قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾[3].

(١) (لحن في كلامه: أخطأ الإعراب وخالف وجه الصواب في النحو) المنجد مادة لحن، وقال: (لَحن: مخالفة قواعد القراءة الصحيحة والإعراب والبناء كرفع المنصوب..)

(٢) النساء: ١٦٢.

(٣) المائدة: ٦٩.

[وأيضاً هنا نجد أن عائشة ـ مثل السائل الجاهل ـ تتصور أن الصحيح هو (الصابئين)، لكنها لا تعرف قاعدة القطع للالفات] فقالت ـ أي عائشة ـ : يا ابن أختي هٰذا عمل الكتَّاب ـ أخطأوا في الكتابة.[1]

لاحظوا، أنها لا تتجرأ أن تقول: الله أخطأ أو رسول الله أخطأ ولا يعرفان النحو والعياذ بالله، فتقول: «هذا عمل الكتّاب»!! ونقول لها: هٰذا هو النص كما هو في القرآن الذي بين أيدينا، فكلامك تخطئة للقرآن الكريم، كما هو رد وإنكار لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾، فإن القرآن الموجود بأيدينا نصه هو آية: ﴿إِنَّ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ﴾، وأيضاً: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ﴾، هٰذا هو القرآن نفسه، لكنها تخطِّئ القرآن ولو باسم تخطئة الكتّاب، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[2] «**فقالت: يا ابن أختي هٰذا عمل الكتاب، أخطأوا في الكتابة**».

وهل تجد أوضح من كلامها في (تحريف القرآن)؟! وفي الرد على: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾.

ومن الواضح أنه لو فتح هٰذا الباب، وأن يقول كل إنسان بأن القرآن ليس هٰكذا، وهذا من خطأ الكتّاب، لما استقر حجر على حجر، وللزم منه أكبر تلاعب بالقرآن الكريم؛ إذ كلما وجد شخص كلمة أو معنى لا يفهمه، أو لا توافق رأيه، يقول: هٰذا من خطأ الكتّاب! والصحيح هو كذا وكذا!

فهذا غيض من فيض، فإن لديهم العشرات من الروايات بل المئات، بل الألوف التي تؤكد تحريف القرآن، بشكل أو آخر، ونحن لسنا

---

(١) الدر المنثور: ج٢، ص٢٤٦.

(٢) الحجر: ٩.

الآن بمقام تفصيل كلماتهم، ورواياتهم الصحيحة ـ حسب طرقهم ـ والمستفيضة والمتواترة والضعيفة الكثيرة جداً أيضاً، التي تنص كلها على تحريف القرآن، ومنها ما يفيد أن ثلثي القرآن قد حُذف، كما سبق نقله.

لكن أقول: إن جمعاً من هٰؤلاء القوم على باطلهم يستأسدون على أهل الحق، رغم مضادة كلامهم ورواياتهم لنفس القرآن الكريم، أما أنتم يا أهل الحق فإنّ عندكم الروايات المطابقة للقرآن، ومع ذٰلك يحذر بعضكم أو يحتاط من الإصحار بالحق الناصع؟

فلنعد الآن إلى آيتنا القرآنية الكريمة: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ ولنُشِر إلى قرينة داخلية أخرى، ثم ننتقل للإشارة إلى بعض القرائن الخارجية في القرآن الكريم، وذلك بإيجاز واختصار:

٤. (المفعول) لـ«وهبنا لهم من رحمتنا»

القرينة الرابعة: وهي قرينة لطيفة، تتجلى بعد التدبر في أن (المفعول به) أين هو؟ فإن الآية الكريمة تقول: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾[1]، فإن الله تعالى في الآيات السابقة، واللاحقة ذكر المفعول به، لكنه في هٰذه الآية لم يذكره، لماذا؛ لكي يُلفت انتباهك إلى أن هناك أمراً ما، وأنه يوجد نوع من التغيير، فلابد من التعرف عليه وعلى السر وإكتشافه..

لاحظوا الآيات السابقة: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ﴾ ماذا؟ ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ هٰذه هي الآية السابقة؛ إذن الموهوب هو (إسحاق، ويعقوب)، وهو المفعول به وهو مذكور، ثم في الآية التي تأتي بعدها: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ الآية ٥٣، فـ﴿أَخَاهُ هَارُونَ﴾

(١) مريم: ٥٠.

هو المفعول به، لكن في آيتنا (المفعول به) أين هو؟ ليس بموجود ظاهراً، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ ماذا وهبنا؟ المفعول ليس بموجود، لماذا؟

وأجيب ـ كاحتمال والله أعلم ـ لأن هٰذا الجواب له أجوبة أخرى، وقد تكون تلك الأجوبة أيضاً محتملة، ولكنها تدل على المقصود أيضاً، إذا وصلنا إليها بإذن الله تعالى..

والاحتمال هو: إنّ ﴿عَلِيًّا﴾ المذكور في آخر الآية القرآنية الكريمة هو المفعول به للجملتين، يعني: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ أي: (ووهبنا لهم من رحمتنا «عليا» وجعلنا لهم لسان صدق عليا)، وهذه قاعدة نحوية معروفة، أشار إليها ابن مالك بقوله:

إن عـامـلان اقـتـضيـا فـي اسـم عمل
قـبـلُ فـلـلـواحـد مـنـهـمـا الـعـمـل

إذ أحياناً يتوارد عاملان على مفعول واحد، وقد أُستغني بذكر المفعول به أخيراً عن تكراره مرتين أو مراراً، فإنه نوع جمال وبلاغة، وذلك كما تقول: أكرم وأطعم زيداً، بدل أكرم زيداً وأطعم زيداً، فـ(زيداً) في الجملة الأولى هو المفعول به، لفعلي الأمر كليهما، وفي الآية فإن ﴿عَلِيًّا﴾ مفعول به للجملتين، أي لـ﴿وَهَبْنَا﴾ ولـ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ﴾، وذلك كما تقول في مثال آخر: وهبتُ له وجعلت له خليفة، فإن هٰذه الجملة صحيحة وبليغة، لكنها في الواقع تتركب من جملتين.

بل نقول: إنه ليس من البلاغة أن تكرر المفعول، مثلاً: لك أن تقول: وهبت لك المال، وأجزت وأبحتُ لك مطلق التصرف بالمال[1]، لكن

(١) أي الهبة ليست مشروطة بأن لا تهبها أو تبيعها للغير مثلاً..

الأفضل أن تقول: وهبت لك وأبحتك المال[١]، أو ما أشبه ذلك[٢]، فالأفضل عند توارد العاملين، أن لا يُكرر المفعول في كل الجمل، وإنما يُترك للجملة الأخيرة.

وفي الآية الشريفة يبقى الاستفهام: أين المفعول؟ والحال أننا نجد في الآية السابقة المفعول موجوداً: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ الآية ٤٩، لكن في هٰذه الآية: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ الآية ٥٠، لا نرى ذكراً للمفعول.

ولا يتوهمَنَّ متوهمٌ أن ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ مفعول، فإن الجار والمجرور لا يقعان مفعولاً به، والتقدير على خلاف الأصل.

إضافة إلى أن الآية ٥٣ اللاحقة يتضح منها أكثر، أن المفعول أمر آخر، وليس ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ مفعولاً والآية ٥٣ هي: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ لكن هنا: نجد فقط ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ فما هو الموهوب والمعفول به ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾؟ سكوت: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾، وحيث إن الفعل لابد له من مفعول، فلعل المفعول هو ﴿عَلِيًّا﴾ في آخر الجملة، كما هو مفعول ﴿وَجَعَلْنَا﴾، أو هو ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ و﴿عَلِيًّا﴾ بدل منه.

وعلى أي تقدير، فإن سياق ﴿وَهَبْنَا﴾ في الآيات السابقة واللاحقة يؤكد أن مفعول ﴿وَهَبْنَا﴾ هو (شخص معين) وليس معنى وصفة، فيراد بـ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ أيضاً الشخص كما سبق تفصيله، ويكون حاصل المعنى: (جعلنا لهم شخصاً ذا لسان صدق وهو علي عليه السلام).

(١) أو هبت وأبحتُ لك المال.

(٢) كـ(وقفت لك، ولذريتك من بعدك، الدار) بدل: (وقفت الدار لك ووقفتها لذريتك من بعدك).

نعم، يحتمل أن يكون مفعول ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم﴾ محذوفاً مقدراً، وهو (رسول الله) كما في الرواية التي تقول:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ (رسول الله) ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.(١)

بل لو تمّ سند الرواية فإن هٰذا هو المتعين.

وعلى هٰذه الرواية أيضاً قد يقال: إن ذٰلك شاهد على أن (علياً) هو علي بن أبي طالب، لأنه شَفْعُ رسول الله وخليفته ونائبه، والقائم بكل شؤونه وأموره، فكان المناسب أن يقول جل اسمه في مقام الامتنان على إبراهيم، إنه تعالى (وهبه) رسول الله و(جعل له) علياً كلسان صدق.

ويؤيد ذٰلك أن (جعلنا لهم) هنا تطابق كلمة (جعل) في آية استخلاف موسى لهارون: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾، حيث استخدمت (جعل) متعدية لمفعول هو شخص وليس صفة، أي استخدمت في خصوص الخليفة والوزير والنائب المطلق، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

٥. السياق يشهد بأن (علياً) علم وليس صفة

القرينة الخامسة: هي (السّياق) فإنه أيضاً يدل على أن ﴿عَلِيًّا﴾ هنا علم وليس صفة، لكن كيف؟

نجيب: لأنّ السياق في هٰذه الآيات القرآنية الكريمة هو سياق الحديث عن (الأشخاص)، وليس سياق الحديث عن (المعاني)، لاحظوا الآيات الشريفة في سورة مريم: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ

(١) بحار الأنوار: ج١٢، ص٩٣، ح٣ وهو عن علي بن إبراهيم عن الإمام العسكري عليه السلام.

ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾.

في هٰذه الآيات كلها الحديث عن الأشخاص، فإن الآية السابقة مباشرة هي: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾ وهي الآية ٤٩ بعدها تأتي آيتنا: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ وهي الآية ٥٠ ثم تجد الحديث كله عن أشخاص في الآية اللاحقة مباشرة هي: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ وهي الآية ٥١ ثم في الآية ٥٣: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا﴾ وبعدها الآية ٥٤: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَ﴾ كما أن مطلع هٰذه الآيات كلها كان حديثاً عن (الشخص) أيضاً حيث تبتدأ بالآية ٤١: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾.

إذن: هٰذه هي القرينة العامة في هٰذه الآيات القرآنية الكريمة وهي السياق، فإن السياق هو سياق الحديث عن الأشخاص، وليس حديثاً عن المعاني، فيكون السياق شاهداً على أن ﴿عَلِيّٗا﴾ في: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ المراد به العَلَم والشخص، وليس الصفة..

٦. (التوازن) بين جناحي اسماعيل واسحاق عليهما السلام!

القرينة السادسة: وهي قرينة أخرى على ما ذكرناه، وعلى ما التزم به وأكّده عدد من الأعاظم من العلماء، والفقهاء، نذكر هٰذه القرينة هٰذه الليلة، ونترك سائر القرائن العقلية والنقلية، إلى وقت آخر، إذا شاء الله تعالى.

والقرينة هي: إنه قد يقال أن هٰذه الآيات القرآنية الشريفة لا يوجد فيها حسب تفسيركم (توازن) كيف لا يوجد توازن؟!

توضيحه: أن الله تعالى ذَكر (إسحاق)، وذَكر (يعقوب)، كامتداد له من أنبياء بني إسرائيل، لكن أين (إسماعيل)، وأين امتداده وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو أي واحد من ذريته؟ فأين التوازن بين (الجناحين) في هٰذه الآية القرآنية الكريمة؟ وأين جد النبي، أو أحد أحفاد إبراهيم من إبنه الآخر إسماعيل؟ إن الذي نقوله ونذهب إليه بمقتضى عدد من روايات أهل البيت (عليهم سلام الله) يتحقق به (التوازن) ويتم، أما غيره فلا توازن ويجب أن تبحث عن حل، فإن النبي إبراهيم (على نبينا وآله وعليه السلام) خَلَّفَ مَنْ؛ خلف (إسماعيل) جد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وخلف أيضاً (إسحاق)، وإسحاق ابنه مَنْ؟ ابنه يعقوب، وابن يعقوب هو لآوي على حسب بعض المؤرخين، ابن لآوي هو قاهاث وابنه عمران وابن عمران هو موسى (على نبينا وآله وعليه السلام)، حسب بعض الروايات.

فإذن: إسماعيل وصولاً إلى النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم هو الجناح الأول، والجناح الثاني: هو (إسحاق)، وإذا قلت: ﴿لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ هٰذه صفة، أي: الذكر الحسن، فإن هٰذه السلسلة النورية من إسماعيل إلى النبي وأهل بيته عليهم السلام ومن عدّ الله تعالى نفسه نفسه[1]، محذوفة بالمرة، والحال أنّ الفخر الأعظم لإبراهيم كان هٰذا الجانب، ولا شك في أن أولئك أيضاً كانوا أنبياء عظماء، لكن الجناح الأعظم وهو الذي تضمن الرسول وأهل البيت عليهم السلام، أين هو!! ولكن حسب هٰذا الكلام الذي نقوله فإن التوازن موجود، والجناحان كلاهما قد ذُكِرا لاحظوا جيداً يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ ماذا صنعنا له؟ ﴿وَهَبْنَا لَهُ

(١) إشارة لقوله تعالى ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾.

إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ إذن، هٰذا هو جناح إسحاق ويعقوب فقط، ولا يوجد ذكر لأي واحد من الجناح الأعظم الآخر حسب تفسيركم، ولكن حسب التفسير الآخر الذي ذكرناه لهذه الآية فإن التوازن يتُم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ فلو كان المقصود من ﴿عَلِيًّا﴾ هو علي بن أبي طالب عليه السلام، فإن التوازن يتمُّ.

فإن (علي بن أبي طالب) هو أحد أعظم أحفاد إبراهيم، بل أعظمهم على الإطلاق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو نفس رسول الله بنص الآية الكريمة: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ فذكره ذكر لرسول الله أيضاً، وبه يتم التوازن.

بل في ذٰلك من الروعة والجمال ما لا يخفى؛ إذ لعل ذٰلك يبعث على التساؤل: لماذا لم يذكر أيضاً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ ونبحث عن الجواب فنجده في قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ فقد تضمن ذكر (علي) فائدتين في الوقت نفسه وهو من معاجز الكلام.

ولو ذهبنا للتفسير الآخر وهو: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ أي علي بن أبي طالب، كان التوازن أوضح لكونه صريحاً؛ إذ قد ذكر الله تعالى من ذٰلك الجناح شخصين هما: إسحاق ويعقوب، وذكر من هٰذا الجناح شخصين هما: محمد وعلي (عليهم جميعاً الصلاة والسلام).

لا يقال: إن (إسماعيل) قد ذكر اسمه بعد ذٰلك في الآية ٥٤ حيث قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

إذ يقال: أولاً على حسب روايات عديدة وردت في المقام، فإن هٰذا هو (إسماعيل بن حزقيل) وهو نبي آخر وليس (إسماعيل بن إبراهيم).

ثانياً: إن كونه إسماعيل بن إبراهيم خلاف (التوازن الداخلي والخارجي في الآيات) دققوا جيداً إذ أن التسلسل العام هو:

أ- ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾ الآية ٤١ ثم تحدث الله تعالى عن حواره مع أبيه (آزر) أي عمه وإنه عندما اعتزلهم وهب الله له إسحاق ويعقوب الآية ٤٩ (وجعل له لسان صدق علياً) الآية ٥٠.

ب- ثم قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ الآية ٥١.

ج- ثم قال: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ الآية ٥٤ ولو كان إسماعيل هٰذا هو إسماعيل بن إبراهيم لكان من المناسب أن يذكر قبل مضمون الآية ٥٠، أي أن يذكر في ضمن ما أعطاه الله لإبراهيم جزاءً على جهاده وإعتزاله القوم، أي عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾ الآية ٤٩ ويضيف: (ووهبنا له إسماعيل) مثلاً، فإن الله وهبه هذين الإبنين وجعلهما نبيين، وهذا أنسب أيضاً بمقام الامتنان، لا أن يذكر أنه وهبه إسحاق ويعقوب ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ﴾ ثم يستمر في السياق العام لـ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ فيمر على موسى ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ الآية ٥١ ثم يستمر في السياق العام ويقول: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَ﴾ الآية ٥٣ ثم يواصل السياق العام حتى بعد ذلك، فيقول: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾ الآية ٥٦ مما يعني ضمناً الإعراض عن ذكر إسماعيل في مقام ما وهبه الله لإبراهيم جزاءاً على جهاده وإعتزاله القوم، والله العالم.

والحاصل في المقام: أنّ هناك أولاً روايات عديدة صحيحة. وثانياً: إن الروايات مستفيضة. وثالثاً: إن الروايات في المضمون متواترة، وقد وردت وتوزعت على مختلف الآيات القرآنية الكريمة. ورابعاً: قد نقل بعضها كبار علماء أهل السنة، هٰذا كله إضافة إلى الشواهد والأدلة القرآنية المختلفة التي كلها تفيد وتؤكد أنّ ﴿عَلِيّٗا﴾ هنا علمٌ واسم شخص هو علي بن أبي طالب عليه السلام، وليس صفةً، وبقيت قرائن عقلية أخرى،

ومنها قرينة قرآنية دقيقة ترتبط بمسألة نحوية دقيقة نتركها إذا شاء الله للمستقبل، حول المفعولين أوالمفعول، في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.

فـ﴿عَلِيًّا﴾ ما هي؟

هل هي بدل؟

أو مفعول ثاني؟

أو مفعول أول؟ يوجد كلام دقيق ومفيد، سنتعرض له في البحوث القادمة، بإذن الله تعالى.[1]

٧. القرينة السابعة قوله تعالى: ﴿لَهُمْ﴾[2]

وربما أمكن الإستناد إلى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ﴾ فإن طلب إبراهيم من ربه تعالى كان هو: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ فقد طلب (لسان الصدق) في الآخرين (له) صلوات الله عليه.

لكن الله تعالى في استجابته لطلب إبراهيم لم يقتصر على مورد طلبه وحجم مطلوبه، بل أعطى لسان الصدق ﴿لَهُمْ﴾ أي لإبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ إذ يقول جل اسمه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾، فماذا يعني ذلك؟

ربما يكون ذلك فيما يكون للإلفات إلى أن (المعطى) و(العطية الإلهية) كانت أشمل مما طلبه النبي إبراهيم وأعمق، فإن طلب النبي

---

(١) وقد أشرنا لبعضه سابقاً.

(٢) للتوضيح: فقد أضفنا هذه القرينة إلى آخر المبحث، كتابةً، إضافة إلى ما ذكرناه في (درس التفسير).

إبراهيم حتى لو فرض[1] أنه كان «الذكر الحسن». لكن الله تعالى (أعطاه وأبناءه وأحفاده): (الأفضل) وهو (التجسيد الأكبر) للسان الصدق وهو ﴿عَلِيًّا﴾ عليه السلام، فكان تغيير مرجع الضمير من ﴿لَهُۥ﴾ إلى ﴿لَهُمْ﴾ كأنه تمهيد للإلفات إلى أنه كما تغير (المعطى له) فقد تغير (المعطى) فكان أفضل مما طلب.

ويؤيد هذا الاحتمال: أن إسحاق ويعقوب عليهما السلام ليس لهما: ﴿لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ بالمعنى المشهور من حسن الذكر الكبير بل إنه لإبراهيم فقط، فإنه أبو الأنبياء والمشهور والمتكاثر ذكره في كل مكان، دون إسحاق ويعقوب، فإن ذكرهما الحسن ليس بتلك المثابة، بل هما ككثير من الأنبياء، بل أقل ذكراً من أمثال (يوسف) و(موسى) فإين (الذكر الحسن) لإبراهيم، وأين (الذكر الحسن) ليعقوب وإسحاق (على نبينا وآله وعليهم السلام؟

وبعبارة أخرى: واضح وضوح الشمس تحقق ﴿لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ للنبي إبراهيم دون إسحاق ويعقوب، أي أن الفارق في درجة الذكر الحسن بين إبراهيم وبين إبنه وحفيده، كبير جداً.

---

(١) قلنا: (حتى لو فرض) إذ بعض الروايات تؤيد، والعقل يعضد: أن طلب إبراهيم عليه السلام كان من البداية أن يجعل له (ذرية ذات ذِكر حسن) حيث اطلّع على أنوار محمد وعلي عليهما السلام من قبل، حيث أخبره الله تعالى عن (صدّيق) ذلك النبي الذي سيبعث فيهم في آخر الزمن، فطلب من الله تعالى أن يجعلهما من ذريته، فاستجاب الله له دعاءه.

وسنذكر دليلاً عقلياً على ذلك، في القرينة التاسعة بإذن الله تعالى.

وعلى هذا فإن تغيير السياق من (له) إلى (لهم) كان فيما كان للإلفات إلى أن (طلبه) عليه السلام لم يكن هو ما يتوهم من أنه الذكر الحسن، بل الأعمق من ذلك... أي ان الله تعالى جعل تغيير (المُعطى له) حيث صار أعم وأشمل في إستجابة الدعاء، مما كان عند الطلب ظاهراً، وسيلة للإلفات إلى أن (الطلب) و(المعطى) أيضاً كان أمراً آخر دقيقاً، أدق مما يتوهم أنه مجرد الذكر الحسن، بل هو (الذرية) و(التجسيد) وشخص علي بن أبي طالب عليه السلام.

فلعله تعالى أراد بإرجاع الضمير ﴿لَهُمْ﴾، الإلفات إلى أن (لسان صدق علياً) لا يراد به المعنى المشهور لدى المفسرين، بل يراد به شخصٌ عَلَمٌ هو علي بن أبي طالب عليه السلام؛ فإنه ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ لإبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ فإنه الوارث بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكل الأنبياء والمحيي لهم ولذكرهم، ولولاه لاندثرت أسماؤهم وآثارهم؛ إذ لولاه لقلب (المنقلبون على الأعقاب) الأمور وأفنوا الدين والإسلام والشريعة ومناهج الأنبياء بأكملها.

ولذا قال الله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.[١]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«أنا مدينة العلم وعلي بابها»**.[٢]

والأدلة على أنه: لولا علي وذريته الأطهار وصولاً للمهدي المنتظر (عليه وعليهم السلام) لأفنى قادة الانقلاب[٣] ضد الرسول الأعظم، ثم أشباه معاوية[٤] والطغاة، الدين كله ومحوا كل آثار الأنبياء، كثيرة، وقد ذكرها جمع من العلماء في كتبهم فلتراجع.[٥]

---

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٧، ص٣٤، ح(٣٣١٤٦)١١.

(٣) حيث (حرفوا القرآن) بزعمهم راجع «البخاري» وقد سبق بعض الكلام عن ذلك، وسيأتي في المجلد الثالث بعضه بإذن الله تعالى وحيث منعوا رواية أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذريعة واضحة البطلان هي (حسبنا كتاب الله) المعارض لصريح قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾. وحيث أفسحوا المجال لليهود أمثال كعب الأحبار ليكونوا مستشارين وفي موقع الصدارة.

(٤) حيث قال (لا والله إلا دفناً دفناً) وحيث غير كل معالم الدين وأحكامه وقوانينه في السياسة والاقتصاد والحقوق وجعلها (ملكاً عضوضاً) وحيث قتل الأبرار والأخيار: أمثال حجر بن عدي وغيره.

(٥) ومنها «النص والاجتهاد» للعلامة شرف الدين قدس سره، ومنها «سيرة الرسول الأعظم» للشيخ الطائي وغيرهما.

٨. القرينة الثامنة

طلب إبراهيم متعلق بالأشخاص لا المعاني

إن طلب إبراهيم بقوله: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ الظاهر أنه طلب يتعلق بعلاقته (بالأشخاص) لا (بالمعاني) فلنلاحظ الآيات ٨٣ـ ٨٥ جيداً.

فالآية السابقة وهي الآية ٨٣: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ تتعلق بطلب النبي إبراهيم إلحاقه بالصالحين الذين مضوا أي (بمن قبلي من النبيين في الدرجة والمنزلة)[1]، إذن، فالآية تتحدث عن طلب يتعلق بـ(أشخاص) من (الماضي).

والآية اللاحقة وهي الآية ٨٥: ﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾، طلب النبي إبراهيم من الله تعالى لكي يكون من ضمن الأشخاص الذين يرثون جنة النعيم. إذن، فالآية تتحدث عن طلب يتعلق بعلاقته بـ(أشخاص) من المستقبل البعيد، أي: ما بعد الدنيا.

وهذه الآية، وهي الآية ٨٤: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ على القاعدة تكون طلباً يتعلق بشخص، أي لكي يكون له من ذريته مَن يكون له لسان صدق في الآخرين.

إذن، فالآية تتحدث عن طلب يتعلق بالمستقبل القريب أي في الدار الدنيا أي عن (شخص) أو (أشخاص)[2] من المستقبل القريب، فهذه ثلاث حلقات متسلسلة...

---

(١) مجمع البيان: ج٧، ص٣٣٧، في تفسير سورة الشعراء الآية ٨٣.

(٢) المقصود (بالأشخاص) هم: علي بن أبي طالب والأئمة من ذريته (سلام الله عليهم أجمعين) إلى المهدي المنتظر عليه السلام.

قال في «مجمع البيان»: (وقيل: إن معناه واجعل لي ولد صدق في آخر الأمم، يدعو إلى الله، ويقوم بالحق، وهو محمد[١] ﷺ).[٢]

وقد استظهرنا أن طلبه كان أن يجعل علياً عليه السلام من ذريته، ولو قلنا بأن طلبه كان هو أن يجعل محمداً ﷺ من ذريته فنقول: ذلك لا ينفي ما نقول بل يؤكده؛ إذ قد أجابه الله تعالى بـ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ لأن علياً هو نفس محمد (صلى الله عليهما وآلهما) بصريح آية ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾.

وبعبارة أخرى: إن الله تعالى زاده على طلبه، فلأنه جعل له ﴿عَلِيًّا﴾ لسان الصدق وهو تلميذ محمد وامتداده وخليفته ووزيره ووصيه فقد جعل له (محمداً) لسان الصدق بطريق أولى.

بل يؤيد كون الحديث كله عن (العلاقة بالأشخاص)، الآية اللاحقة أيضاً وهي الآية ٨٦: ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾.

٩. القرينة التاسعة

حسن ترجيح الراجح الأفضل

فإن (إبراهيم) من أعظم أنبياء الله تعالى، حكمة وعقلاً وعلماً ومعرفة، فلا يصح أن يطلب (الأقل) و(الأدنى)، ويترك (الأفضل) و(الأسمى) و(الأعلى)، خاصة وأنه أعلم من غيره بأن الله جواد كريم، يجيب دعوة الداعي، فكيف إذا كان نبيه إبراهيم!

---

(١) ولعل قول «مجمع البيان»: (وهو محمد) كان تقية؛ لعلمه بشدة إنكار المنكرين على القول بأنه: (علي) في تلك الأزمنة.

(٢) المصدر.

و(الأدنى والأقل): هو أن يطلب مجرد (الذكر الحسن) في الأمم اللاحقة.

و(الأفضل والأسمى): هو أن يطلب (من يجسِّد الذكر الحسن) أي أن يطلب أن يكون من ذريته مَن يجسِّد كل القيم والفضائل ويحمل مواريث كافة الأنبياء، فيكون له به (الذكر الحسن) إضافة إلى عظيم الأجر بكونه ذرية صالحة له، وصدقة جارية له على إمتداد الأزمان ومر العصور وكر الدهور.

ولا قياس بين الأمرين أبداً.

ولو فرض أنه طلب الأقل، فقد عَدَل الله تعالى به لفضله وجوده وكرمه إلى الأكثر.

وقد يتساءل عن: سر طلب إبراهيم أن يكون (علي) من ذريته ولم يطلب أن يكون (محمد) من ذريته (لسان الصدق) له؟

والجواب:

- **أولاً**: قد يقال: الظاهر أنه طلب الاثنين معاً.

ويؤكده ما ذكرناه من الرواية في تفسير الآية: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ رسول الله محمداً ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ أمير المؤمنين عليه السلام.

ثانياً: لو فرض أنه طلب أن يكون (علي) من ذريته، فلعله لأجل علمه[1] بكون علي وصي الرسول (صلى الله عليهما وآلهما)، فطلَبُ هٰذا يستلزم طلب ذاك بشكل أولى، فقد طلبهما معاً لكن بهذا اللسان.

(١) فإن الله تعالى حسب الرواية اطلعه على كونه وصي رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثالثاً: ولعله لعلمه بكونه نفس النبي، لقوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ فكان طلب أحدهما طلباً للآخر أيضاً، قطعاً.

رابعاً: ولعله كان تأدباً مع رسول الله ﷺ وحياءاً منه، لما يعرف من عظيم مقامه، فطلب ما يؤول إلى ذلك أيضاً ودون تصريح.

خامساً: ولعله طلب ذلك؛ لأنه علم أن الإمامة من نسل علي بن أبي طالب عليه السلام إلى يوم القيامة، فقد طلب (الاستمرار) و(الفروع) التي يضمن بها (المبتدأ) و(الأصل) وهو رسول الله ﷺ.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا وإياكم لكي نكون من أتباع ﴿الصَّدِّيقِينَ﴾ حقاً وصدقاً، ولكي نكون من الذين يتبعون ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ علياً عليه من الله السلام، حقاً وصدقاً، إنّهُ سميع مجيب..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

مصادر الكتاب

خير ما نبتدئ به:.

القرآن الكريم.

نهج البلاغة .

١. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للحافظ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري.
٢. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.
٣. الإحتجاج للشيخ الطبرسي قدس سره.
٤. الإختصاص للشيخ المفيد قدس سره.
٥. أسباب النزول للواحدي.
٦. الاستبصار للشيخ الطوسي قدس سره.
٧. الأسفار لصدر الدين الشيرازي .
٨. أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين قدس سره.
٩. الأغاني لأبوفرج الأصفهاني.
١٠. إكمال الدين للشيخ الصدوق قدس سره.

١١. الأمالي للشيخ المفيد قدس سره.
١٢. الإمام علي عليه السلام وحروب التأويل لحسين أحمد السيد.
١٣. أمل الآمال للشيخ الحر العاملي قدس سره.
١٤. بحار الأنوار للعلامة المجلسي قدس سره.
١٥. بحر الفوائد في شرح الفرائد للمحقق الآشتياني قدس سره.
١٦. بحوث في العقيدة والسلوك للمؤلف.
١٧. البرهان في علوم القرآن للسيد هاشم البحراني قدس سره.
١٨. البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي قدس سره.
١٩. تاريخ الإسلام للذهبي.
٢٠. تاريخ الطبري.
٢١. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .
٢٢. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر.
٢٣. التبيان لشيخ الطائفة الطوسي قدس سره.
٢٤. تجريد الاعتقاد للشيخ الطوسي قدس سره.
٢٥. تحف العقول لابن شعبة الحراني قدس سره.
٢٦. تفسير الأصفى للفيض الكاشاني قدس سره.
٢٧. تفسير الآلوسي.
٢٨. تفسير الصافي للفيض الكاشاني قدس سره.
٢٩. تفسير القرطبي.
٣٠. تفسير القمي للمحدث الشهير علي بن إبراهيم القمي قدس سره.
٣١. تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي قدس سره.
٣٢. تفسير نور الثقلين للشيخ الحويزي قدس سره.

٣٣. تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين لمحسن إبن كرامة.
٣٤. تنقيح المقال للمامقاني قدس سره.
٣٥. تنوير الحوالك للسيوطي.
٣٦. تهذيب الآثار للطبري.
٣٧. تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي قدس سره.
٣٨. التهذيب لأبن حجر .
٣٩. التوسل والوسيلة لابن تيمية.
٤٠. الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي .
٤١. ثم اهتديت للدكتور محمد التيجاني.
٤٢. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم لمحمد بن فتوح الحميدي.
٤٣. جواهر الكلام للشيخ محمد حسن الجواهري قدس سره.
٤٤. الدر المنثور للسيوطي.
٤٥. رجال الشيخ الطوسي .
٤٦. رجال النجاشي.
٤٧. روضة الواعظين للفتال النيسابوري.
٤٨. سنن الترمذي .
٤٩. سنن الدارمي .
٥٠. السنن الكبرى للبيهقي.
٥١. السنن الكبرى للنسائي.
٥٢. سير أعلام النبلاء للذهبي.
٥٣. سيرة الرسول الأعظم للشيخ الطائي.
٥٤. شواهد التنزيل للحسكاني.

٥٥. شورى الفقهاء ـ دراسة فقهية ـ أصولية للمؤلف.
٥٦. صحيح البخاري .
٥٧. صحيح مسلم .
٥٨. الضوابط الكلية لضمان الإصابة في الأحكام العقلية للمؤلف.
٥٩. الطبقات الكبرى لابن سعد.
٦٠. العبقات للسيد حامد الموسوي قدس سره.
٦١. علل الشرائع للشيخ الصدوق قدس سره.
٦٢. علي في القرآن للمرجع الكبير السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله .
٦٣. العمدة لابن البطريق.
٦٤. عوالي اللئالي لإبن أبي جمهور الإحسائي قدس سره.
٦٥. عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق قدس سره.
٦٦. عيون المعجزات لحسن بن عبد الوهاب.
٦٧. الغدير للعلامة الأميني قدس سره .
٦٨. فصوص الحكم لإبن عربي.
٦٩. فضائل الصحابة للنسائي.
٧٠. الفضائل لشاذان بن جبرائيل القمي.
٧١. فقه التعاون على البر والتقوى للمؤلف.
٧٢. الفهرست للشيخ الطوسي قدس سره.
٧٣. قاعدة لا ضرر للمرجع الكبير السيد علي السيستاني دام ظله.
٧٤. قاعدة لا ضرر للمرجع الكبير السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله.

٧٥. قرب الإسناد للحميري القمي.
٧٦. القواعد الفقهية للبجنوردي قدس سره.
٧٧. القواعد الفقهية للشيخ الإيرواني.
٧٨. الكاشف في معرفة من له رواية في كتب السنة للذهبي.
٧٩. الكافي الشريف للشيخ الكليني قدس سره.
٨٠. كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق قدس سره.
٨١. كنز العمال للمتقي الهندي.
٨٢. لأكون مع الصادقين للدكتور محمد التيجاني.
٨٣. اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية للمحدث الشهير السيد هاشم البحراني قدس سره (أو ألف آية نزلت في الإمام علي سلام الله عليه).
٨٤. ليالي بيشاور للعلامة الشيرازي قدس سره .
٨٥. المراجعات للعلامة شرف الدين قدس سره .
٨٦. مستدرك الوسائل للميرزا النوري قدس سره.
٨٧. مستدرك سفينة البحار للنمازي الشاهرودي.
٨٨. المستدرك للحاكم النيسابوري.
٨٩. المسترشد للطبري.
٩٠. مسند الشهاب.
٩١. مسند زيد بن علي.
٩٢. مصنف عبد الرزاق.
٩٣. المعجم الأوسط للطبراني.
٩٤. المعجم الوسيط.

٩٥. المغازي للواقدي.
٩٦. مقدمة شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبدة.
٩٧. من فقه الزهراء عليها السلام لسيد الفقهاء السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره.
٩٨. مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب.
٩٩. مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني.
١٠٠. المنجد.
١٠١. منهاج السنة لابن تيمية.
١٠٢. موسوعة الفقه لسيد الفقهاء السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره.
١٠٣. الميزان في تفسير القرآن للعلامة الطباطبائي.
١٠٤. النص والاجتهاد للعلامة شرف الدين قدس سره.
١٠٥. وركبت السفينة لمروان خليفات.
١٠٦. وسائل الشيعة للحر العاملي قدس سره.
١٠٧. وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان لابن خلكان.
١٠٨. ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي الحنفي.

المؤلف في سطور

الأسرة:

- السيد مرتضى بن المرجع الديني المجدد المجاهد السيد محمد قدس سره بن المرجع الكبير المقدس السيد ميرزا مهدي الحسيني الشيرازي قدس سره.
- **جده الأعلى**: المجدد الشيرازي الكبير السيد محمد حسن قدس سره قائد ثورة (التبغ) ضد الإستعمار البريطاني في إيران.
- **خاله الأكبر**: المرجع الأعلى الميرزا محمد تقي الشيرازي قدس سره قائد ثورة العشرين ضد الإستعمار البريطاني في العراق.
- **من أعلام أسرته**: آية الله العظمى السيد عبد الهادي الحسيني الشيرازي قدس سره الذي كان المرجع الأعلى في زمانه.
- ومن أعلام أسرته:عمه المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله.
- **ومن أعلام الأسرة**: عمه المفكر الإسلامي آية الله الشهيد السيد حسن الحسيني الشيرازي قدس سره مؤسس الحوزة العلمية

في دمشق، ومن أوائل الذين حملوا راية أهل البيت عليهم السلام إلى أفريقيا.

- **ومن أعلام الأسرة:** أخوه الأكبر آية الله السيد محمد رضا الحسيني الشيرازي قدس سره الذي تربى على يديه عشرات الألوف من العلماء والمثقفين والعاملين.
- ولد في مدينة الامام الحسين عليه السلام كربلاء المقدسة في شهر محرم الحرام من سنة ١٣٨٤ للهجرة، وهو النجل الثاني لسيد الفقهاء السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره.

الدراسة الحوزوية

- في بدايات سنة ١٤٠٠ ومع إنتقال والده المرجع الكبير إلى قم المقدسة، كرّس السيد المؤلف أيامه للدراسة الحوزوية، فأتم السطوح العليا من الرسائل والكفاية والمكاسب في مرحلة مبكرة ثم اشترك في بحوث خارج المراجع الكبار، فحضر بحوث خارج كل من آيات الله العظام: والده، وعمه، والشيخ وحيد الخراساني، والشيخ الميرزا جواد التبريزي.
- بدأ بتدريس (الكفاية) و(الرسائل) وهو في الثانية والعشرين من عمره، كما بدأ بتدريس كتاب (شرح المنظومة)، وهو في ٢٣ من عمره.
- كما استمر في حضور مجالس البحث العلمي الخاصة التي كان يعقدها آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني دام ظله وآية الله العظمى الميرزا كاظم التبريزي قدس سره وآية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي قدس سره وآخرون.

شورى الفقهاء:

▣ مع إطلالة عام ١٤١٠هـ وفي مولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو في السادسة والعشرين من عمره فرغ من تأليف الجزء الأول من كتاب «**شورى الفقهاء دراسة فقهية أصولية**»، وهو الكتاب الذي حصل على إثره على عدة إجازات إجتهاد من العديد من فقهاء ومراجع وعلماء الحوزة العلمية في قم المقدسة.

وهذا الكتاب يتناول بحثاً من أهم البحوث وأعقدها، والذي لم يتطرق لها بهذا الشكل المستوعب والمعمق من قبل، فكان كتاباً علمياً فقهياً ـ أصولياً، أصَّل فيه نظرية شورى الفقهاء في الشؤون العامة، وأثبت بأدلة متعددة وجوب ذلك.

والكتاب يقع في ٥١٠ صفحات.

وقد حصل بعد تأليفه كتاب «شورى الفقهاء» على شهادات عديدة بالإجتهاد، من عدد من المراجع والأعلام، وكان منهم:

١. المرجع الديني الاعلى آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي رضوان الله تعالى عليه.
٢. المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله.
٣. المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد الفاطمي الابهري قدس سره.
٤. آية الله العظمى الشيخ مسعود السلطاني قدس سره.
٥. آية الله العظمى الشيخ مرتضى الاردكاني قدس سره.

العطاء:

- أسس وساند وساهم في تأسيس مؤسسات دينية وإنسانية وثقافية في مختلف مناطق العالم، كبريطانيا وأمريكا والكويت، وسوريا ولبنان والإمارات، والعراق والهند وأفغانستان والباكستان وغيرها.
- كان منها مركز الرسول الأعظمﷺ، ثم مركز الإمام عليعليه السلام في واشنطن، وحسينية الرسول الأعظمﷺفي لندن، ومركز وحسينية الإمام الصادقعليه السلام في الدانمارك.
- أسس وساهم في تأسيس العشرات من المواقع الدينية والثقافية في (الإنترنت).
- كما أسس عدداً من مراكز الدراسات في العراق وسوريا وأمريكا.
- كما كان الموجّه والمؤسس لبعض الجامعات الإسلامية ـ المعترف بها رسمياً.
- وفقه الله تعالى لإحداث طفرة نوعية في التبليغ الديني، وإيصال صوت أهل البيتعليهم السلام إلى العالم، عبر تأسيسه لأول فضائية شيعية غير حكومية، بفضل الله تعالى، وأئمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.
- لم يكتف سماحته بالقناة العربية، فبادر بتأسيس أول قناة فضائية غير حكومية ناطقة باللغة الفارسية.. كما ساهم في تأسيس عدد آخر من القنوات الفضائية ومنها قناة باللغة الأوردية.. كما كانت مبادرته الجريئة في تأسيس القنوات الفضائية، الباكورة والملهم لتأسيس العشرات من القنوات الشيعية اللاحقة.

◘ كما اشتهر بـ(مقارعة الاستبداد) ومناهضة العديد من (الأنظمة الجائرة) وعرف عنه (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) والإهتمام بشؤون الاسلام والمسلمين.

مؤلفاته:

١. «**أضواء على حياة الإمام علي**عليه السلام» كتبه وهو في السادسة عشرة من عمره ـ مطبوع.

٢. «**لمحات من حياة الإمام الحسن**عليه السلام» كتبه وهو في السابعة عشرة من عمره ـ مخطوط.

٣. «**شورى الفقهاء / دراسة فقهية ـ أصولية**»، انتهى من المجلد الأول عام ١٤١٠ للهجرة ـ طبع مراراً.

٤. «**السيدة نرجس**عليها السلام **مدرسة الأجيال**» ـ مطبوع.

٥. «في السجن كانت مقالات» ـ طبع مراراً.

وهما كتابان خطّهما أبان وجوده في السجن.

٦. «**شعاع من نور فاطمة**عليها السلام» ـ طبع مراراً.

دراسة قيمة مهمة عن القيمة الذاتية لمحبة الزهراءعليها السلام ـ كتبها عام ١٤١٨ للهجرة.

٧. «**الإمام الحسين وفروع الدين**»، دراسة عن العلاقة الوثيقة بين سيد الشهداءعليه السلام وبين كل فرع فرع من فروع الدين ـ مخطوط.

٨. «**فقه التعاون على البر والتقوى**»، الجزء الأول، يقع في ٤٩٦ صفحة، كتب عام ١٤٢٩ الهجري ـ مطبوع.

دراسة فقهية أصولية، على ضوء الآية الشريفة: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ وقد أجاد سماحته في الكتاب وأبدع في إستنباط الأفكار، وفي طرح الأدلة.

٩. **«شرح دعاء الافتتاح»**، الجزء الأول ـ مخطوط.

١٠. **«دروس في (أصول الكافي)»**، الجزء الأول، كتاب العقل والجهل ـ مخطوط.

١١. **«الضوابط الكلية لضمان الإصابة في الأحكام العقلية»** وهو كتاب يؤسس لعلم (الضوابط) الذي يوازي علم (المنطق) في الأهمية إن لم يزد عليه، كونه يبحث عن (الضوابط) لضمان الإصابة من حيث محتوى القضية ومضمونها و(علتها المادية)، بينما (المنطق) يبحث عن الضوابط للحفظ من الوقوع في الخطأ من جهة شكل القضية و(علتها الصورية) ـ مخطوط.

١٢. **«الأصول، مباحث القطع»** في مجلدين وهو عبارة عن الدروس التي ألقاها في البحث الخارج طوال عامي ١٤٣٠ و١٤٣١ في الحوزة العلمية الزينبية المقدسة ـ مخطوط.

١٣. **«قاعدة الملازمة بين حكمي العقل والشرع»**، وقد قام بدراسة القاعدة من كلا وجهيها الكلامي والفقهي ـ مخطوط.

١٤. **«فقه الخمس»** المجلد الأول، مخطوط، وهو عبارة عن (دروس الخارج) التي ألقاها عام ١٤٣١ في الحوزة العلمية الزينبية المقدسة.

١٥. **«كونوا مع الصادقين»** ـ مطبوع.

١٦. **«لماذا لم يصرح بإسم الامام علي عليه سلام الله في القرآن الكريم؟»** ـ مطبوع.

١٧. كتيب باسم «**الحوار الفكري**»ـ مطبوع.

١٨. «**الأوامر المولوية والإرشادية**» الجزء الأول، يقع في ٦٥٠ صفحة، كتب عام ١٤٣٠ الهجري»ـ مطبوع.

وهو بحث هام جداً نظراً لأنه يتناول دراسة المئات من الآيات الكريمة والألوف من الروايات الشريفة، بالبحث والدراسة عبر دراسة إعادة تصنيفها من دائرة الأوامر والنواهي والأحكام الإرشادية، إلى دائرة الأوامر والنواهي والأحكام المولوية، مع ذكر الفوائد الكبرى التي تترتب على ذلك كله.

١٩. «**بحوث في العقيدة والسلوك**» من سلسلة (دروس في التفسير والتدبر)ـ مطبوع، وهو عبارة عن مجموعة من محاضراته العقدية، والأخلاقية والاجتماعية والفكرية على ضوء الآيات القرآنية الكريمة، فيه تأملات دقيقة.

المحتويات

Reflective Lessons in the Exegesis of the Holy Qur'an

A Series with The Truthful (2)

Why Imam Ali's Name is not Explicitly Stated in the Holy Qur'an?

Ayatullah

Murtadha Al-Husseiny Al-Shirazi

عن الكتاب

لماذا لم يصرح الله تعالى في القرآن الكريم، باسماء (الأئمة) الاثني عشر:

الإمام علي والحسن والحسين والسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا

والجواد والهادي والعسكري والمهدي المنتظر صلوات الله عليهم؟

ولماذا لم يتحدث القرآن بشكل صريح عن (الإقتصاد الإسلامي)

وحدوده ومعالمه؟

ولماذا لانجد تصريحاً حول (حقوق المرأة) و(الطفل) و(المعارضة)؟

ولا عن (التعددية السياسية) و(فصل السلطات) و(ولاية الفقيه أو

شورى الفقهاء)؟

ولا عن (الهرمنيوطيقيا)؟...

في هذا المجلد من سلسلة (مع الصادقين)، استعرض (المؤلف القدير)

واحداً وثلاثين جواباً عن (السؤال الأول) وأكثر من عشرة أجوبة عن سائر

الأسئلة...وهناك المزيد...

لماذا لم يصرح باسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم؟ آية الله السيد مرتضى الحسيني الشيرازي